السَّلفيَّة منهَج ربَّاني وليسَت حزباً سياسيًّاً

وفيه دراسة شرعية للأحداث بعد الثورة المصرية
وبيان براءة مذهب السلف الصالح
مما يدعو إليه مَن ينتسبون كذباً وزوراً إلى الدعوة السلفية

كتبه

محمد بن عبد العليم الماضي

غفر الله له ولوالديه

سلسلة كتب تصدر عن
دار السلف الصالح وتنشر على صفحة الشيخ فى الفيس بوك



مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، ثم أما بعد:

فإن من سنن الله عز وجل سنة الابتلاء لتمحيص الصف وتنقيته من أهل الأهواء والبدع، وإظهاراً للسنة وأهلها كما قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ...) الآية.

فالفتن والمحن وإن كانت شراً فإنها من الاختبار والتمحيص، تظهر فيها حقيقة المعتقدات، فيتميز أهل السنة والجماعة-أتباع السلف الصالح- عن أهل الأهواء والبدع، كلٌ بمواقفه وأهدافه وأعماله.

ومن ضمن هذه الفتن ما أصاب المسلمين اليوم من الخروج على الحكام فى غالب البلاد، وما جرى فى مصر فى الخامس والعشرين من يناير، وما حدث فيها من خروج على الحاكم وإجباره على التنحي عن الحكم، وما تبع ذلك من تدمير وتخريب وإفساد فى الأرض.

وذلك ما جرى إلا على أيدي أقوام من العلمانيين والمفسدين مع شرذمة من العوام الطغام الذين لا خلاق لهم ولا علم عندهم، بل هم همج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يركنوا منه إلى ركن وثيق.

فقد خرج هؤلاء جميعاً بغير نظر إلى الحكم الشرعي ولا اعتداد بأقوال أهل العلم والرأي، وإنما مدفوعين من الأحزاب العلمانية والقوى الغربية الكافرة التى لا تريد لبلاد المسلمين استقراراً ولا أمناً؛ خرج هؤلاء الساقطون تساندهم وسائل الإعلام العالمية والتصريحات الدولية التى تؤيدهم وتُطالب الحكام بالتنحي عن مناصبهم، كل ذلك مع تعاون واضح من الأجهزة الأمنية؛ وتواطؤ ظاهر من المؤسسة العسكرية؛ وتهديدات واستنكار من الدول الغربية؛ وإفسادٍ منظم للممتلكات العامة والخاصة؛ وذلك بهدف الضغط على الحكام وتنبيههم إلى أن هذا جزء من مخطط أكبر إن لم يتركوا الحكم؛ ربما ينتهي بحرب أهلية بين الحاكم وأنصاره من جهة،

والثوار وأنصارهم من جهة أخرى، وما يجرى فى ليبيا واليمن خير شاهد على أن هذا المسخ المشوه الذى يسمونه بالثورة ما هو إلا صناعة الغرب العلمانى لنشر أفكاره الديموقراطية، وحربِ الإسلام وإشغال المسلمين بأنفسهم، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، فأى استقرار أو إعانة نرجوها من أعدائنا وهم كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ..﴾، وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾؟.

ومَن تأمل مواقف هذه الدول الكافرة تجاه المظاهرات والثورات فى البلاد الإسلامية علم يقيناً أن هذا الأمر قد دُبِّر بليل، وأن الهدف من وراء ذلك هو تقسيم ديار المسلمين إلى دويلات صغيرة متناحرة، وبث الفرقة والاختلاف بين الشعوب الإسلامية؛ فهم يبذرون بذور الفتنة ثم يساندون جميع الأطراف، فمن غلب فهم أولياؤه وأنصاره وهم فى جمع الأحوال ينشرون أديانهم الباطلة ومناهجهم الفاسدة.

وإن مما يلفت النظر فى هذه المرحلة ظهور القطبيين الذين يسيرون على منهج سيد قطب التكفيرى فى ثوب الدعوة إلى منهج السلف الصالح، فرغم قناعتهم بكفر النظام الحاكم بل وجميع حكام المسلمين إلا أنهم لم يشاركوا فى هذه التظاهرات والاعتصامات فى أول أمرها، بل كانوا يحذرون منها وينصحون بعدم الخوض فيها، ثم لما اشتدت المظاهرات وظهر تأثيرها، وقفوا موقف المتفرج ينصحون الجميع بالتهدئة، فلما تنحى النظام عن الحكم قاموا يناصرون الثورة المباركة!! التى أسقطت الطاغوت!!. ويثنون على شهداء !! الثورة ورجالها!! بل ونسائها!!.

فركبوا الموجة واهتبلوا الفرصة، وركبوا الصعب والذلول، وأتوا من الفتاوى والأقوال بكل قول معلول، وسلكوا فى تحقيق أهدافهم كل سبيل مع أنه قد اتضح أن الثورة لا يساندها إلا كل عليل، وأن الدين عند الثوار ليس عليه تعويل، ولا يحق له أن يتدخل فى أى تعديل.

وبدأت تظهر المواقف الباطلة المناقضة لشرع الله تبارك وتعالى من مؤاخاة النصارى وموالاتهم وتكوين الأحزاب ومناصرة أهل البدع والأهواء.

وإن هذه الفتن والأهواء قد فضحت خلقاً كثيراً وكشفت أستارهم عن أحوال قبيحة [1]، كما قال الحسن –رحمه الله–: "إن الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل أحد".

وصار هؤلاء الحزبيون يزينون للناس الباطل ويُقَبِّحُون الحق، فلا هم بآداب وعقائد أهل الإسلام تخلقوا، ولا بأخلاق أهل الجاهلية أخذوا، وإنما صاروا يتخبطون ويخبطون خبط عشواء.

ومن عجيب أمرهم أنهم يزعمون أن خروج هؤلاء الساقطين فى الميادين واعتصامهم إنما هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من محاسن شريعة الإسلام، ومن شعب الإيمان.

وممن تفوه بهذا الكلام العليل: محمد عبد المقصود، ومصطفى العدوى، وأسامة القوصى، ومحمد حسان، وأضرابهم من أهل الأهواء، بل وصفهم حسان بأنهم شباب طاهر نقي خرج ليطالب بحقوقه المشروعة ومطالبه العادلة!!.

والجواب عن ذلك أننا نقول:

إن هذا الشباب الذي خرج لتغيير المنكر كما تزعمون لم يترك منكراً إلا اقترفه، وما عرف معروفاً إلا دفنه وهدمه، فهذا ميدان التحرير–فى مصر– الذى جمع بين الرجال والنساء مختلطين متلاصقين، يبيتون معاً فى خيام تجمعهم، قد جرى فيه جميع أنواع المنكرات التى حرمها الله ورسوله، وأنكرها كل عقل صحيح وفطرة سليمة، بداية من شرب الخمور والمسكرات وارتكاب الفواحش والمحرمات من الغناء والرقص والعُري والزنا والفجور، وناهيك بموطن يجتمع فيه الرجال والنساء بغير رقيب، وفي الحديث: "ما تركت فتنة بعدى أضر على الرجال من النساء"، وما تبع ذلك أيضاً من خروج عن الطاعة وتفريق للجماعة وسلب ونهب وقتل وترك للصلوات وما حدث من حوادث الاغتصاب التى تربوا على أربعة آلاف حادثة فى الأيام الأولى للمظاهرات، ثم ما يَعُم البلاد اليوم من ظهور للكفر البواح، واستعلاء أهله، والدعوة إلى بناء كنائسهم والدعوة للدولة المدنية والديموقراطية وحرية الأديان، ورفع شعارات وحدة الأديان: (مسلم مسيحي كلنا مصريين)، (لا فرق بين مسلم ومسيحي كلنا إخوة)، بل ونظم

(1) من كلام الإمام ابن بطة (الإبانة ١/٢٦١).

المسلمون يوماً من الأيام لمناصرة النصارى، خرجوا وهم يحملون لافتات وشعارهم (أنا مسيحي اليوم)، ورفع المصحف مع الصليب، وصلى المسلمون مع النصارى، وسجدوا جميعاً سجدة الشكر التى دعا إليها القرضاوي –لعنه الله وأخزاه–، وكذلك القداس الشركي الذى جمع الثوار المسلمين مع النصارى فى لُحمة وطنية –كما قال القوصي أخزاه الله–[1]

وغير ذلك من أصول الكفر مع اختلال كامل للأمن وانتشار للفساد والمفسدين وضياع للأموال، بسبب ما جرى من إحراق للمباني العامة والممتلكات الخاصة ونهبها مما يقدر بالمليارات.

فهل هؤلاء خرجوا لتغيير المنكر؟ وهل هذا هو الشباب الطاهر النقي؟ وهل بقى منكر لم يرتكبه هؤلاء الثوار، إما بأنفسهم أو بسبب ما أحدثوه من الفوضى واختلال الأمن وسقوط نظام الحكم؟، وفى الحديث: "ومن دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً".

وأما عن المطالب العادلة المشروعة التى خرج يطالب بها هؤلاء –كما يزعم محمد حسان– فهي المطالبة بتطبيق الديموقراطية والتعددية الحزبية وحقوق المواطنة والانتخابات الحرة النزيهة، والحفاظ على الوحدة الوطنية والمطالبة بإقامة دولة مدنية وشعارهم (لا دينية ولا عسكرية عايزينها دولة مدنية)، و(الدين لله والوطن للجميع).

فهذه هى مطالب الشباب الطاهر!! فإنا لله وإنا إليه راجعون، والعجب كل عجب ممن يتصدرون للدعوة وهو لا يحسنون شيئاً من علوم الشريعة ولا من الفقه الواقع، فالله المستعان.

وقد بين النبي ﷺ صفة النصيحة للحكام وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر كما فى حديث عياض بن غنم رضي الله عنه: "من أراد أن ينصح لذى سلطان فلا يبده علانية ولكن ليأخذ بيده، فإن قبل منه وإلا كان قد أدى الذي عليه"، وهذا الحديث فيه دليل على أن النصيحة للحكام لا تكون إلا سراً حتى لا تسقط هيبتهم، ومن المعلوم أن أحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحاديث عامة مجملة قد بينها حديث عياض السابق فى صفة الإنكار على الولاة مع هدي

(1) بل قال القوصي فى أحد لقاءاته التليفزيونة : "البابا شنوده حفظه الله تعالى"، وقام الإخوان المسلمون فى سرادقاتهم الانتخابية بتشغيل ترانيم النصاى دليلاً على الوحدة الوطنية.

السلف الصالح فى ذلك، والخروج على الحكام المسلمين ليس من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وهؤلاء الحزبيون قد ظهر للناس انحرافهم وجريهم وراء المناصب والرياسات بدعوى الحرص على مصلحة الدعوة ولاشك أنها حجة باهتة فاسدة فإن من أهم مصالح الدعوة العمل بالدعوة وعدم مخالفة أصول وقواعد الدين.

ومن فساد مناهجهم صاروا اليوم يرحبون بالدستور وتشكيل الأحزاب ودخول البرلمان بغير دليل ولا برهان سالكين طريق الإخوان فى اتباع القاعدة اليهودية (الغاية تبرر الوسيلة)، هذا إذا صدقوا فى الغاية التى يدعون إليها وإلا فإنه من المعلوم أن الانحراف فى الوسائل دليل على فساد الغايات والأهداف.

ومن تأمل أحوال بلاد المسلمين التى تبنى الإسلاميون فيها الوسائل الديموقراطية علم أنهم لم يصلوا إلى شئ، ففى السودان اختلف البشير مع شيخه الترابي وشكَّل كل واحد منهم حزباً منفصلاً عن الآخر إلى أن انتهى الأمر إلى تقسيم السودان، ولم يحدث ذلك فى عهد النميرى، فتأمل.

وأما فى الجزائر فقد سلكت جبهة الإنقاذ (الإخوانية) نفس الطرق العلمانية فتحولت البلاد إلى حمام من الدماء، فهل تم تطبيق الإسلام كما يزعمون وأى دين هذا الذى يريدون تطبيقه مع إراقتهم لدماء المسلمين؟

وقد نجح العلمانيون فى جر هؤلاء القطبيين إلى الساحة السياسية العلمانية باستخدام الإعلام، فكانت المشاركة فى الاستفتاء هى أول التنازلات، وفُتح الباب لتكوين الأحزاب ودخول الانتخابات والانقسام فى الصف، فسارعوا إلى صناديق الاستفتاء لحماية المادة الثانية فى الدستور كما صور لهم الإعلام العلمانى تمهيداً للدخول فى الانتخابات التى لن يكون لهم منها إلا الاتهامات بتزورها ورفع الشعارات ومداهنة الكفار وأهل الضلالات.

ومما يجهله هؤلاء الحزبيون أمور تحتاج إلى تنبيه:

١ـ **أن خيوط اللعبة السياسية** العلمانية ليست فى أيدي هؤلاء الإسلاميين وإنما الذى يحرك دفتها هم العلمانيون الديموقراطيون الذين يحاربون الدين بكل صوره ويسعون إلى إقصائه بشتى الوسائل والطرق، ولو فاز الإسلاميون فى الانتخابات فسيتم إلغاؤها كما حدث فى الجزائر من قريب.

٢- **الدخول فى السياسة الديموقراطية** سيؤدى إلى ضياع مكانة هؤلاء الإسلاميين –بين جمهورهم على الأقل– فيؤدي ذلك لى التمييع فيذوب هؤلاء مع جمع الأصوات والحملات الانتخابية و ...إلخ، كما ذاب الإخوان فى هذه المهاترات قديماً وحديثاً – وهذا هو مطلب العلمانيين والكافرين – ورغم تصريحهم المستمر أن الدعاة لن يشاركوا فى الانتخابات بأنفسهم وإنما سيعاونون الإخوان أو يدعمون الإخوان أو يدعمون الأحزاب الإسلامية فقد وقع التناقض فى فترة وجيزة، فها هو محمد حسان يؤيد حزب الفضيلة ويدعمه وبعد أقل من شهر يُعلن أن الحزب يقوم على أصول تناقض أصول الإسلام، ثم يسحب تأييده له، ويعلن تأييده لحزب الأصالة الذى يجري إعداد إجراءاته!! وهذا فى أقل من شهر والبقية تأتي!!.

٣- **أن الغاية فى الإسلام لا تبرر الوسيلة**، فلابد من صحة الوسيلة وخلوها من الانحراف حتى تصل إلى الغاية الصحيحة، فلا يستقيم الحكم بالشرع مع سلوك الوسائل المنحرفة إليه، فالانتخابات وسيلة علمانية ديموقراطية باطلة، فلايجوز سلوكها لتطبيق الشريعة كما يزعم هؤلاء.

٤- **أن دعوة النبى ﷺ** لم تكن موجهة إلى مصادمة الحكومات القائمة أو مشاركتها فى الباطل، وإنما كانت دعوة للتوحيد وتعليم الناس وتعبيدهم لربهم، وأما رض الشريعة بالقوة أو المشاركة مع أهل الباطل ومداهنتهم هذا ليس من أساليب الإسلام، ومَن تأمل حال النجاشي ملك الحبشة الذي كان مسلماً ولم يطعه قومه ورفضوا الدخول فى الإسلام علم يقيناً أن الحل فى الدعوة إلى الإسلام وتعليم الناس أمور دينهم وليس فى فرض الدين بالقوة مع أن هؤلاء يريدون فرضه بقوة الدستور والقانون الذي يحمي الحريات ويرعى حرية الأديان!!.

وصدق القائل:

أيّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيانِ
هي شاميّةٌ إذا ما اسْتَقلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يَماني

٥- **القيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية** ليس لها وزن فى السياسة العلمانية المعاصرة وإنما تقوم هذه السياسة على النفاق والمكر والنفعية وشراء الذمم، فمن يدخل فيها لابد أن يتخلى عن مبادئه وأخلاقه ويتزيى بزي هؤلاء العلمانيين فمن أعرض أعرضوا عنه، وصدق العلامة الألباني إذ قال:" أنا أقول إن من السياسة اليوم ترك السياسة".

٦- **تلعب وسائل الإعلام** فى هذا العصر دوراً كبيراً فى طمس الحقائق ومحاربة المخالفين وإسقاطهم، مستغلين جهل المجتمع، فيحاربون الدين بحجة الرجعية ومخالفة الديموقراطية والفتنة الطائفية وغيرها من المصطلحات العلمانية.

وما جرى من الفتن بعد سقوط النظام ومن التحريش بين سائر الطوائف وكذا من إثارة المخاوف فى الاستفتاء مما دفع الناس إلى الذهاب إلى الصناديق بكل قوة وتدقيق؛ أكبر دليل على الدور الضخم الذى يلعبه الإعلام فى تزيين الباطل وتقبيح الحق، فهل ستقف هذه المؤسسة العلمانية ضد الإسلاميين إذا دخلوا الانتخابات أم ستقف معهم؟ والعاقل يعرف الجواب!!.

٧- **تقسيم الشعوب والمجتمعات** إلى فرق وطوائف وأحزاب من أنجح السبل لإحكام السيطرة عليها وفق السياسة اليهودية (فرق تسد)، فهل يجوز لهؤلاء الإسلاميين أن يشاركوا فى تمزيق وتفريق المسلمين؟

وأما عن هذه المحبة المصطنعة بين الفرق الإسلامية فستنقلب إلى حرب كلامية وربما بدنية عند تأسيس الأحزاب والدخول فى البرلمان طلباً للأصوات والمناصب وجرياً وراء المقاعد النيابية والحقائب الوزارية.

فهذا كله تنفيذ للمخططات الغربية العلمانية بإبعاد المسلمين عن عقيدهم وتطبيق الديموقراطية بينهم وإشغال بعضهم ببعض، ولعل أول من سن ذلك هو فرعون عليه لعنة الله كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾، ففرعون سلف لكل من ينادي بالتعددية الحزبية.

واليوم يبث الكفار هذه المبادئ العلمانية فى الأمة تحت ستار التغيير وحرية الشعوب والمساواة والمواطنة وهى مصطلحات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والفرقة والردة عن الإسلام، وأول الصرعى فيها هم أول المرحبين بها.

٨- **قيام الدعاة الإسلاميين** بتقديم التنازلات عن الواجبات عن أصول الدين وارتكاب المحرمات التى لا يقرها الشرع هو أهم مطالب العلمانية حتى ينسلخ المسلمون من دينهم ومن تأمل ما يجرى من الفتاوى المنحرفة بالمساواة بين الإسلام وغيره من الأديان الباطلة ومن الدعوة إلى بناء الكنائس وحرية الأديان تحكيم القوانين الغربية والدعوة إلى الدولة المدنية يعلم أن

الهدف من وراء ذلك كله هو مجاراة هؤلاء الكفار فى معتقداهم ونشر مذاهبهم العلمانية لإخراج المسلمين من دينهم على أيدى من ينتسبون للدين شاءوا أم أبوا؟

ولقد أصبحت مناهج العلمانية والديموقراطية بمجالسها النيابية وحملاتها الانتخابية وأساليبها اللاأخلاقية معروفة عند كثير من المثقفين، ومع ذلك ترى أقواماً من المسلمين –بل وللأسف من الدعاة– يستخدمون هذه المناهج المنحرفة المخالفة للإسلام شكلاً ومضموناً للوصول إلى المناصب والرياسات والنبي ﷺ يقول: "من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعمله إلا ليصيب به حظاً من الدنيا لم يجد عرف (رائحة) الجنة يوم القيامة".

فأشغلهم الأعداء بهذه الأساليب الخبيثة فكانوا بذلك خنجراً مسموماً وداء عضالاً ينهش فى جسد الأمة، فضيعوا أنفسهم وشغلوا غيرهم من أهل العلم بالرد عليهم، وانحرفوا بالعامة إلى طرائق ومناهج العلمانيين، وهم يزعمون أنهم يسعون لتطبيق الدين، وقد أخبرنا ربنا –سبحانه– عن الوسيلة الشرعية لتطبيق الدين والتمكين فى الأرض فقال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، وقال: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا).

قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي: " أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وُظِّف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هممهم، ووفروا نفوسهم للقيام بــه وتكميلــه، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط.

ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور:

(أحدها) الخيرية في قوله: { لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أُمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.

(الثاني) حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا بـه مـن الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفـتن في الأوامـر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد، فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضـا أو للشكر؛ فيتزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.

وأيضا فإن العبد القائم بما أُمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويـشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.

(الثالث) قوله: { وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } أي: في العاجل والآجل الذي يكـون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطـر علـى قلب بشر.

(الرابع) الهداية إلى صراط مستقيم، وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهدايـة إلى الـصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفـلاح على ذلك، فمن هُدِيَ إلى صراط مستقيم، فقد وُفِّقَ لكل خـير وانـدفع عنـه كـل شـر وضير"اهـ.

وقال الإمام مالك –رحمه الله-: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وأخيراً أقول:

إن هؤلاء الحزبيين سيجرون وراء المخطط الذي رسمه لهم أعداء الإسلام جاهلين أو متجاهلين هذه التحذيرات، ولن يجنوا من ورائه إلا مزيداً من الإنحراف والتفرق والبعـد عـن مبـادئ الإسلام وأحكامه، وقد أصبحوا لعبة فى أيدي السياسيين الديموقراطيين يدفعونهم إلى الـسقوط والانحراف فى كل وقت وحين، وليس هذا الكلام تكهناً منَّا أو إدعاء للعلم، وإنما هو التـاريخ مَن قرأه اعتبر، والسعيد من وُعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفـسه، وفى كـلام علـي ﷺ: "واستدل بما كان على ما لم يكن فإن الأمور اشتباه"، (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).

وقد جعلت هذا البحث مقسماً إلى فصول:

الفصل الأول: فى بيان من هم السلف.

الفصل الثاني: فى بيان وجوب اتباع منهج السلف.

الفصل الثالث: فى بيان بعض أصول وقواعد منهج السلف.

الفصل الرابع: فى بيان حقيقة الحزبية وعلامات أهلها.

الفصل الخامس: فى بيان موقف السلفية من الديموقراطية.

الفصل السادس: فى بيان حكم الانتخابات.

الفصل السابع: فى الرد على بعض الشبهات حول الدولة المدنية والدولة الدينية.

و سميته:

السلفية منهج رباني وليست حزباً سياسياً

وفيه قراءة شرعية لمواقف الحزبين فى الثورات والمظاهرات وما تبعها من أحداث، وأسأل الله – جل وعلا– أن يجعله عملاً صالحاً خالصاً لوجهه، وأن يجنب بلاد المسلمين الفتن إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتب

محمد بن عبدالعليم الماضي

مصر– سوهاج– إدفا



الفصل الأول

من هم السلف؟

الفصل الأول

من هم السلف؟

قال السمعاني –رحمه الله–: " **السَّلَفي**: بفتح السين واللام وفى آخرها الفاء هذه نسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم" اهـ.[١]

وقال ابن الأثير–رحمه الله–: " وقيل سلف الإنسان من تقدم بالموت من آبائه وذوى قرابته ، ولهذا سمى الصدر الأول من التابعين السلف الصالح" اهـ. [٢]

وفى لسان العرب لابن منظور–رحمه الله–: " السلف والسليف والسلفة: الجماعة المتقدمون" اهـ.[٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية فإنه لابد أن يضل ويتناقض ويبقى في الجهل المركب أو البسيط".[٤]

وقال السفَّاريني–رحمه الله– : "**المراد بمذهب السلف**: ماكان عليه الصحابة الكرام– رضوان الله عليهم– وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعُرف عظم شأنه فى الدين وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف دون من رُمى ببدعة أو شُهر بلقب غير مرضى مثل: الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والجبرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرَّامية ونحو هؤلاء" اهـ.[٥]

وقال القلشانى –رحمه الله–: "والسلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون فى العلم المهتدون بهدى النبى ﷺ، الحافظون لسنته ، اختارهم الله لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه....." اهـ. [٦]

---

(1) الأنساب(٢/١٢٦).

(2) النهاية فى غريب الحديث (٢/٣٩٠).

(3) لسان العرب (٦/٣٣٠).

(4) درء التعارض" (٥/٣٥٦).

(5) لوامع الأنوار(١/٢٠).

(6) تحرير المقالة من شرح الرسالة (ص٣٦).

وقال الشيخ حافظ حكمى –رحمه الله–: " وَقَدْ أَخْبَرَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ أَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلاءِ –يقصد أهل البدع– كَذَلِكَ ، بَلْ إِنَّهُمْ (قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلا مِنْ طَرِيقِ سُنَنِهِ الْمَرْوِيَّةِ وَآثَارِهِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ الشَّرِيعَةُ الْغَرَّاءُ وَالْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ"اهـ.[1]

وقال العلامة محمد أمان الجامى –رحمه الله–: " عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غضاً طرياً في أصوله وفروعه ، كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم "خير الناس" ، حيث يقول ﷺ : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين"اهـ.[2]

وسُئلت اللجنة الدائمة: ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟

فأجابت :" **السلفية**: نسبة إلى السلف ، والسلف هم صحابة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى ﷺ الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير في قوله: {خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته}. رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم، **والسلفيون**: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم".

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء.[3]

عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبدالله بن قعود	عبدالله الغديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزيز بن باز

(1) معارج القبول (٢٠/١).
(2) الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة النبوية (ص٥٧).
(3) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة رقم {١٣٦١} {٢٤٣/٢٤٢/٢}.

والسلفيون أيضاً هم الطائفة المنصورة مصداقاً لحديث النبي ﷺ :" لاتزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة". رواه أحمد والترمذى ، وبعضه فى الصحيحين بلفظ :" لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون".

وهذه الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة (السلفيون) كما نص على ذلك الأئمة:

قال الإمام البخارى –رحمه الله–: "هم أهل العلم"اهـ .

وقال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله–: " إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم"اهـ.

وقال القاضى عياض –رحمه الله–: " إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث"اهـ.[1]

والواقع يشهد لذلك فمن استقرأ التاريخ علم أن أهل السنة والجماعة هم الطائفة المنصورة وهم أتباع السلف الصالح ، فإن الله جل وعلا ، يُجدد بهم هذا الدين للأمة ، أمثال: الإمام أحمد بن حنبل والدارمى ، وغيرهما من علماء السنة لما انتشرت بدعة الجهمية وإنكار صفات الله جل وعلا ، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم لما عمَّت المذاهب الكلامية والآراء الفلسفية والأشعرية ، ثم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده بعد انتشار عبادة القبور والأضرحة فى القرن الثانى عشر الهجرى ، وأهل السنة والجماعة هم السلفيون لاتِّباعهم منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين .

مما سبق يُعلم أن الانتساب للسلف شرف واجب ينبغى على كل مسلم أن يسير عليه ، يعنى أن يكون مقتدياً بالسلف الصالح فى كل أمر ، وهم النبى ﷺ وأصحابه ﷺ وليست هذه النسبة بدعة ، كما يقول الجهال من أهل البدع ، بل إنَّ تَرْكَهَا بدعة ضلالة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه ، واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً" اهـ.[2]

---

(1) شرح النووى على صحيح مسلم (٦٦/١٣) ، وانظر فتح البارى (١٦٤/١) ، والسلسلة الصحيحة للألبانى (٣/١ ص ١٣٤-١٤٢).

(2) مجموع الفتاوى (١٤٩/٤).

وقد يظن بعض النـاس أن السلفية حزب من الأحزاب الموجودة أو جماعة من الجماعات الحزبية التى لها بيعة وإمام ، وهذا خطأ محض ، فليس للسلفيين إمام إلا رسول الله ﷺ ، وإمام وقتهم من حكام المسلمين ، وإنما السلفية هى العودة لمنهج النبى ﷺ وأصحابه ﷺ، فليست طائفية ولا حزبية ولا فرقة جديدة فى المسلمين ، بل إن أهل البدع قد خالفوا منهج الصحابة وأحدثوا الفرق المبتدعة وتفرقوا عن منهج السلف.

وسئل الشيخ الألبانى –رحمه الله- عن هذا الموضوع:

السؤال: "لماذا التسمي بالسلفية؟ أهي دعوة حزبية أم طائفية أو مذهبية ؟ أم هي فرقة جديدة في الإسلام ؟

فأجاب –رحمه الله–: " إن كلمة السلف معروفة في لغة العرب وفي لغة الشرع؛ وما يهمنا هنا هو بحثها من الناحية الشرعية: فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته للسيدة فاطمة ﷺ : "فاتقي الله واصبري، ونعم السلف أنا لك" ، ويكثر استعمال العلماء لكلمة السلف، وهذا أكثر من أن يعد ويحصى، وحسبنا مثالاً واحداً وهو ما يحتجون به في محاربة البدع:

وكل خير في اتّباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف.

ولكن هناك من مُدَّعي العلم من ينكر هذه النسبة زاعماً أن لا أصل لها! فيقول: {لايجوز للمسلم أن يقول : أنا سلفي } وكأنه يقول : {لا يجوز أن يقول مسلم: أنا متبع للسلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك} .

لا شك أن مثل هذا الإنكار ـــ لو كان يعنيه ـــ يلزم منه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصالح، وعلى رأسهم النبي ﷺ كما يشير الحديث المتواتر الذي في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلوهم ، ثم الذين يلوهم" .

فلا يجوز لمسلم أن يتبرأ من الانتساب إلى السلف الصالح ، بينما لو تبرأ من أيَّة نسبة أخرى لم يمكن لأحد من أهل العلم أن ينسبه إلى كفر أو فسوق ..... وأما الذي ينتسب إلى السلف الصالح ، فإنه ينتسب إلى العصمة ـــ على وجه العموم ـــ ، وقد ذكر النبي ﷺ من علامات الفرقة الناجية أنها تتمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه ﷺ.

فمن تمسك به كان يقيناً على هدى من ربه ... ولا شك أن التسمية الواضحة الجلية المميزة البينة هي أن نقول : أنا مسلم على الكتاب والسنة وعلى منهج سلفنا الصالح، وهي أن تقول باختصار : {أنا سلفي} " اهـ.[١]

وسئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان –حفظه الله– سؤالاً نصه: "فضيلة الشيخ، هل السلفية حزب من الأحزاب ؟ وهل الانتساب لهم مذموم؟.

فأجاب: " السلفية هي الفرقة الناجية ، هم أهل السنة والجماعة ، ليست حزباً من الأحزاب التي تسمى الآن أحزاباً، وإنما هم جماعة، جماعة على السنة وعلى الدين، هم أهل السنة والجماعة، قال ﷺ: {لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم }، وقال ﷺ: {وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي}.

فالسلفية طائفة على مذهب السلف على ماكان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، وهي ليست حزباً من الأحزاب العصرية الآن وإنما هي جماعة قديمة من عهد الرسول ﷺ متوارثة مستمرة لا تزال على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة كما أخبر ﷺ " اهـ.[٢]

وقال أيضاً: " كيف يكون التمذهب بالسلفية بدعة، والبدعة ضلالة ؟!وكيف يكون بدعة وهو اتباع لمذهب السلف، واتباع مذهبهم واجب بالكتاب والسنة ، وحق وهدى ؟ قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، وقال النبي ﷺ: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ...}، فالتمذهب بمذهب السلف سنة وليس بدعة، وإنما البدعة التمذهب بغير مذهبهم"اهـ.[٣]

وقال أيضاً –حفظه الله– : " كل من خالف أهل السنة والجماعة ممن ينتسب إلى الإسلام فى الدعوة أو فى العقيدة شئ من أصول الإيمان فإنه يدخل فى الاثنتين وسبعين فرقة ، ويشمله الوعيد ، ويكون له من الذم والعقوبة بقدر مخالفته" اهـ.[٤]

---

(1) مجلة الأصالة – العدد التاسع (ص ٨٦-٩٠) بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢٦هـ.
(2) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (٢٥٨/٢٥٩) .
(3) في كتابه البيان (ص١٥٦).
(4) الأجوبة المفيدة (ص٣٦).

التحديد الزمنى لاستعمال لفظة السلف:

من ذلك ما رواه البخارى ومسلم واللفظ له عن عائشة وفيه: أن النبى ﷺ قال لفاطمة :" إنك أول أهلى لحوقاً بى ، ونعم السلف أنا لك".

قال النووى –رحمه الله–: " والسلف: المتقدم ، ومعناه : أنا متقدم قُدَّامك فتردين علىّ " اهـ.[1]

وقال أنس بن مالك ﷺ : لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً ، قال ووضع يده على خده ثم قال: "إلا هذه الصلاة" ، ثم قال:" أما والله على ذلك لَمَنْ عاش فى هذه النُكر ولم يدرك ذلك السلف الصالح ، فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه ، فعصمه الله عن ذلك ، وجعل قلبه يحنُّ إلى ذلك السلف الصالح ، يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ، لِيُعَوض أجراً عظيماً ، وكذلك فكونوا إن شاء الله" اهـ.[2]

والسلف الصالح فى كلام أنس ﷺ هم النبى ﷺ ومن مضى من الصحابة قبل أنس ، فإنه تأخرت وفاته حتى شاهد الفتن وظهور البدع والأهواء فقال هذا الكلام.

وقال البخاري –رحمه الله– : " (باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل):

وقال ابن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر ، قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– مفسراً كلمة السلف: " أي من الصحابة ومن بعدهم"اهـ .[3]

وقال أيضاً (٢٠٦٨/٥): (باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره)اهـ.

وقال أيضاً (٣٤٢/١) : قال الزهري في عظام الموتى – نحو الفيل وغيره – :" أدركت ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها، ويدّهنون بها ولا يرون بأساً " اهـ.

والزهري تابعي جليل يقصد بسلف العلماء (أصحاب رسول الله ﷺ).

---

(1) شرح مسلم (٧/١٦).
(2) الاعتصام للشاطبى (٣٤/١).
(3) فتح الباري (٦٦/٦).

وأخرج مسلم فى مقدمة الصحيح من طريق محمد بن عبد الله قال سمعت علي بن شقيق ، سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف.

وقال الأوزاعى –رحمه الله–: "اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم ، وقُل بما قالوا وكُفَّ عما كفوا واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم" اهـ.[١]

وقال أيضاً –رحمه الله–: " عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول" اهـ.[٢]

وقال ابن كثير –رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ :" فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك ، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً " اهـ.

وقال الذهبى –رحمه الله– : " فالذى يحتاج إليه الحافظ أن يكون ذكياً نحوياً لغوياً زكياً حيياً سلفياً ..... إلخ " اهـ.[٣]

ثم ذكر رحمه الله تراجم كثير من أهل العلم السائرين على طريقة السلف الصالح فلتراجع ، كالدارقطنى والحافظ أبي طاهر السلفى ، ويحيى بن إسحاق الشيبانى وغيرهم.

وقال أيضاً: "فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة ، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير فى هذه الآيات وما حكوه من مذاهب السلف ، فإما أن تنطق بعلم أو تسكت بحلم...." اهـ.[٤]

والسلف مازالوا يميزون أتباع السنة عن غيرهم من المبتدعة والفرق الضالة ومؤلفاتهم مملوءة بذلك.

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى (١/١٥٤).
(2) الشريعة للآجرى (٦٣).
(3) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٨٠).
(4) مختصر العلو للألبانى (ص٨٠).

قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله–: ". يخطئ من يقول : إن أهل السنة والجماعة ثلاثة: سلفيون، وأشعريون، وماتريديون، فهذا خطأ،نقول : كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون! (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)، وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد على الآخر؟! هذا لا يمكن إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين فنعم ، وإلا فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة ، فمن هو ؟! الأشعرية ؟ أم الماتريدية ؟ أم السلفية ؟ نقول : من وافق السنة فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة فليس صاحب سنة، فنحن نقول : السلف هم أهل السنة والجماعة ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً، والكلمات تعتبر بمعانيها ، لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل السنة لا يمكن، وكيف يمكن أن نقول: عن ثلاث طوائف مختلفة إنهم مجتمعون فأين الاجتماع ؟ فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقداً حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريق النبي ﷺ وأصحابه فإنه سلفي" اهـ.[1]

وقد كان أهل القرون الثلاثة الأولى على المنهج النبوى (السلفية) ثم ظهر أهل البدع والأهواء ، وتفرقت الأمة ، وبقيت منها طائفة على الحق ظاهرين هم أتباع السلف الصالح.

قال ابن القيم –رحمه الله–: " فالناس كانوا طائفتين: سلفية وجهمية فحدثت طائفة السبعية [2] واشتقت قولاً بين القولين ، فلا السلف اتبعوا ولا مع الجهمية بقوا " اهـ.[3].

وقد جمع العلماء أصول منهج السلف الصالح فى مصنفات مستقلة، وذلك بعد ظهور أهل البدع والأهواء ، وقد اتخذت هذه المؤلفات طريقين مختلفين:

الأولى: طريقة الرد: أى عرض شبه الخصوم من أهل البدع ، ثم بيان الحق والرد عليهم مدعماً ذلك بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، ومن هذه المؤلفات:

١- "كتاب الإيمان" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).

٢- "الرد على الزنادقة والجهمية" للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

---

(1) شرح العقيدة الواسطية (ص ٣١ ط الإيمان).

(2) السبعية: هم الذين لا يثبتون لله عز وجل إلا سبع صفات فقط ، كما فى جوهرة التوحيد وغيرها من كتب الأشاعرة

(3) الصواعق المرسلة (٢٢٦/١).

٣- "خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل" للإمام البخارى (ت ٢٥٦هـ).

٤- "الرد على بشر المريسى" لعثمان بن سعيد الدارمى (ت ٢٨٠هـ).

ثم تتابعت ردود أهل العلم على أهل البدع والأهواء إلى يومنا هذا .

الطريقة الثانية: منهج العرض: وهو عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ويهدف هذا المنهج إلى العودة بالأمة إلى الاتصال المباشر بنصوص الكتاب والسنة ، وكلام السلف الصالح ، وعدم عرض كلام أهل البدع والأهواء، ومن هذه المؤلفات:

١- "السنة" للإمام أحمد.

٢- "السنة" للمروزى محمد بن نصر.

٣- "التوحيد" لابن خزيمة.

٤- "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" لأبى القاسم الطبرى اللالكائى.

٥- "الإبانة عن أصول الديانة" لابن بطة.

٦- "الشريعة" للآجرى.

وغيرها من الكتب المصنفة لبيان منهج السلف الصالح.



الفصل الثاني

بيان وجوب اتباع منهج السلف الصالح وسلوك طريقهم

الفصل الثانى

بيان وجوب اتباع منهج السلف الصالح وسلوك طريقهم

إن الرجوع إلى منهج السلف الصالح-الصحابة والتابعين- فى فهم نصوص الكتاب والسنة فرض واجب على المسلمين وليس نافلة أو فضيلة، وقد بيَّن الله -جل وعلا- ذلك فى كتابه وسنة نبيه ﷺ، فمن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

ولاشك أن المؤمنين عند نزول الآية هم أصحاب رسول الله ﷺ، فمن اتبع غير سبيلهم فقد تعرض لعذاب الله وسخطه وسلك طريق الشقاق والاختلاف.

وقد أورد ابن أبي حاتم فى تفسير هذه الآية بسنده عن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله– أنه قال: "سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوُلاةُ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا ولا تَبْدِيلُهَا، وَلا النَّظَرُ فِيمَا خَالَفَهَا، مَنِ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، ووَلاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وأصلاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"اهـ.(١)

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ:"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، عليكم بالأمر العتيق"اهـ.

وقال أبَيُّ بن كعب ﷺ: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه مِن خشية الله فتمسه النار أبداً، وإنَّ اقتصاداً فى سنة وخيرٍ: خيرٌ من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة"اهـ.

وقال أبوالعالية: "عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا"اهـ.

وقال الإمام مالك: " لم يكن شئ من هذه الأهواء على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان"اهـ.

---

(1) تفسير ابن أبى حاتم (٤/٢٥٦)، وراجع عون المعبود شرح سنن أبى داوود(٢٢/١٩٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية (٢٨)، ومجموع الفتاوى (٤/١٠٨)، وابن القيم فى إغاثة اللهفان (١٥٩) وغيرهم.

وقال الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع"اهـ.

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على السلف الصالح ومَن تبعهم بإحسان **فقال**: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فمن هذه الآيات يتبين أن الصحابة هم أهل الهداية والسبق والفضل، وأن من اتبع سبيلهم فهو المهتدي، ومَن تخلّف عنها، فقد ضل وتنكب الصراط المستقيم.

قال محمد بن الحسين الآجري: "علامة مَن أراد الله -عز و جل- به خيراً: سلوك هذه الطريق: كتاب الله عز و جل وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه رضي الله عنهم، ومَن تبعهم بإحسان -رحمة الله تعالى عليهم-، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومَن كان على مثل طريقهم ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء"اهـ.(1)

وقال أبوحاتم الرازي فى بيان عقيدته: " مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل،

---

(1) الشريعة (ص١٤).

وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والشافعي، ولزوم الكتاب والسنة، والذب عن الأئمة المتَّبِعةِ لآثار السلف.

واختيار ما اختاره أهل السنة –مِن الأئمة في الأمصار مثل: مالـــك بـــن أنـــس في المدينـــة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري، وحماد بن زياد بـــالعراق–مِـــن الحوادث مما لا يوجد فيه رواية عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين [١]، وتـــرك رأي الملبـــسين المموهين المزخرفين الممخرقين الكذابين، وترك النظر في كتب الكرابيسي، ومجانبة من يناضـــل عنه من أصحابه"اهـــ.[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى بيان وجوب اتباع مذهب السلف الصالح: "وما أحسن ما جاء عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة [٣] أنه قال: عليك بلزوم السنة فإنها لك بـــإذن الله عصمة، فإن السنة إنما جعلت لِيُستن بها ويقتصر عليها، وإنما سنها مَن قـــد علـــم مـــا في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم، فإنهم عـــن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وَلَهُم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها لـــو كـــان فيهـــا أحرى، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حَدَثٌ حَدَثَ بعدهم فما أحدثـــه إلا مَن اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبـــيهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يـــشفي، فمـــن

---

(1) فى هذا الكلام رد على مَن يدَّعي الانتساب للسلف ثم هو يطالب أتباعه بحرق كتـــب المـــذاهب، وكلام أئمة العلم فى الفقه، وهذا من الجهل والضلال، وإنما يجب على طالب العلم الاستفادة من كتـــب السابقين من أهل العلم وعدم التعصب لأى مذهب مع العمل بما دلت عليه الأدلة الشرعية داعين للأئمة بقوله سبحانه: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا)، فهذا من حقهم علينا رحمة الله عليهم أجمعين.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى (١/١٨٠).

(3) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، وشهرته الماجشون، الإمام المفتي الكبير، أبو عبد الله، وأبو الأصبغ التيمي مولاهم المدني، الفقيه، والد المفتي عبدالملك بن المجاشون، صاحب مالك، وابـــن عـــم يوسف بن يعقوب الماجشون. راجع سير أعلام النبلاء.

دونهم مقصر ومن فوقهم مفرط، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم"اهـ.(١)

وفى الحديث الذى رواه البخاري عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم". قال عمران: لا أدري أذكر بعده قرنين أو ثلاثة، قال:" ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن".

وهذا الحديث إخبار منه ﷺ بحال الأمة، يتضمن توجيهاً نبوياً أن الدين يُفهم بفهم السلف الصالح-أهل القرون المفضلة- وأن الأهواء لا تظهر فيهم، وإنما تظهر فيمن جاء بعدهم، ممن خالف طريقهم واتبع هواه وسلك غير سبيلهم، فهم أعلم الأمة بدين الله، فيهم نزل القرآن، وعليهم أثنى، وأمر باتباع هديهم.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "مَن كان منكم متأسياً، فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"اهـ. (٢)

وقال أيضاً: "إنكم أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة، فعليكم بالهدي الأول"اهـ.

وقال حذيفة رضي الله عنه: "كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد، فلا تعبدوها، فما ترك الأول للآخر شيئاً"اهـ.

وكان ابن عون يقول: "رحم الله رجلاً لزم هذا الأثر ورضي به وإن استثقله واستبطأه"اهـ.(٣)

وقد قال النبي ﷺ: "مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، فهذا لحديث يدل على أن البدع والمحدثات، لم تظهر فى عصر الصحابة، بل ظهرت فيمن جاء بعدهم، وتنكب طريقهم،

(1) مجموع الفتاوى (٤/٧).
(2) جامع بيان العلم وفضله (١١١٨).
(3) الإبانة (٢٥٤)..

وخالف هديهم، وقد أخبر النبي ﷺ بافتراق الأمة واتباعهـا للأهـواء والمحـدثات، فقـال: "وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين ملة–وفى رواية: فرقة– كلها فى النار إلا واحدة"، فقـالوا: مَن هي يارسول الله؟ فقال:" مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

فأخبر أن النجاة فى اتباع ما كان عليه هو وأصحابه، فدل ذلك على وجوب اتباع هـديهم واقتفاء آثارهم.

قال الشاطبي: " فبين النبي ﷺ ذلك بقوله: "ما أنا عليه وأصحابي"، ووقـع ذلـك جوابـاً للسؤال الذي سألوه إذ قالوا: من هي يا رسول الله ؟ فأجاب بأن الفرقة الناجية مَن اتـصف بأوصافه عليه الصلاة و السلام وأوصاف أصحابه، وكان ذلك معلوماً عندهم غـير خفـي، فاكتفوا به، وربما يحتاج إلى تفسيره بالنسبة إلى مَن بعد تلك الأزمـان، وحاصـل الأمـر أن أصحابه كانوا مقتدين به، مهتدين بهديه، قد جاء مدحهم في القرآن الكـريم، وأثـنى علـى متبوعهم محمد ﷺ وإنما خلقه عليه السلام القرآن فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُـقٍ عَظِـيمٍ﴾، فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة، وجاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبـع للقـرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك، فكل مَن اقتدى بهم فهو مَن الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، وهو معنى قوله عليه السلام: "ما أنا عليه وأصحابي"، فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم وما سواهما من الإجماع وغيره فناشيء عنهما، هذا هو الوصف الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهو معنى ما جاء في الرواية الأخرى من قوله : "وهي الجماعة"، لأن الجماعـة في وقت الإخبار كانوا على ذلك الوصف"اهـ.(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يبين طريق أهل السنة والجماعة: " وطريقتهم هى دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً، لكن لما أخبر النبى أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة، وهى الجماعة وفى حديث عنه أنه قال: "هم مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى"، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل الـسنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومـصابيح الـدجى،

(1) الاعتصام (٢/٧٥٩).

أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال [١] الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبى: "لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة"، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هـو الوهـاب والله أعلم"اهـ. آمين.

وقد أمرنا النبي ﷺ عند حصول الاختلاف بالتمسك بهدي السلف الصالح-أصحاب رسـول الله- كما فى حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا النبي ﷺ موعظة بليغـة وجِلـت منـها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: " أوصيكم بتقوى الله، والسمع الطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، وإنه مَن يعش منكم فـسيرى اختلافـاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين مِن بعدى، عضوا عليهـا بالنواجـذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة".

وقال شيخ الإسلام أيضاً: " ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسـول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله حيث قال: "عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"اهـ.[٢]

فقرن النبي ﷺ سنة الخلفاء الراشدين بسنته، وأن مَن اتبع سنتهم اتبع سـنته، وأن المحـدثات خلاف ذلك ليست منها فى شئ، لأنهم ﷺ فيما سنوا متبعون لسنته فى الجملة والتفصيل.

قال ابن رجب: " وقوله ﷺ : "فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كـثيراً، فعلـيكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"، هذا إخبار منـه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأعمـال والأقـوال والاعتقادات، وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي ما كان عليه وأصحابه، وكذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق

(1) هذا المصطلح يقصد به شيخ الإسلام: أهل الحديث والمجددين فى الدين الذين إذا مات واحد منهم أبدل الله الأمة واحداً غيره، فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، كما في الحديث: "إن الله يبعث لهـذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها".

(2) (مجموع الفتاوى ٣/١٥٧).

والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله، وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض"اهـ.(١)

قلت: والمقصود هنا أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم أهل العلم والحديث السائرون على طريقة السلف الصالح، ومَن تمسك بطريقتهم من العامة والخاصة، وهم الذين عناهم النبي ﷺ بقوله: "ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

وليس المقصود بالتمسك بهدي السلف أن يوافقهم فى كل شئ من الواجبات والمندوبات فإن هذا لا يقدر عليه إلا الكاملون من أهل العلم، وإنما المقصود فهم الدين بفهمهم وعدم الإحداث والابتداع، والرجوع إلى أقوالهم وأعمالهم فى قواعد الدين وأصوله وتطبيق ما أمكن مِن هديهم فى المندوبات، وقد نبه إلى ذلك سفيان الثوري–رحمه الله– بقوله: "إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل"اهـ.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن المقصود من الأدلة السابقة ليس مجرد الانتساب إلى السلف مع عدم الالتزام بمنهجهم فى الاعتقاد والعمل والسلوك فهذا انتساب باطل، فالعبرة بالحقائق لا بالأقوال والدعاوى.

انتساب الفرق المبتدعة للسلفية دعوى خالية من الدليل

إن كثيراً من الفرق المبتدعة قد تدَّعى أنها على منهج السلف الصالح ، ولكن هذه الدعوى لا تنفع بمفردها بل لابد من الدليل والبرهان ، **وفى الحديث**:" لو يعطى الناس بدعواهم لادّعى أناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه". متفق عليه واللفظ لمسلم ، وفى سنن الترمذى:" البينة على المدَّعِي واليمين على المدَّعَى عليه".(٢)

قال النووى –رحمه الله–: " وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع ، ففيه: أنه لا يقبل قول الإنسان بمجرد دعواه ، بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعى عليه" اهـ.(٣)

---

(1) جامع العلوم والحكم (٥٦١).

(2) صححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٢/٣٧-٣٨).

(3) شرح النووى على مسلم (١٢/٧).

وقال الإمام البربهاري –رحمه الله–: " ولا يحل لرجل مسلم أن يقول فلان صاحب سنة ، حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة ، لا يقال له صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها" اهـ.[1]

فليس كل من أعلن الانتساب للسلف يقبل منه هذا الانتساب بل لابد من القيام بأصول وقواعد منهج السلف الصالح والتي بينها العلماء في مصنفاتهم ، فالمسألة مسألة اعتقاد وعمل وليست بالدعاوى الفارغة عن حقيقتها وما أحسن قول الشاعر:

والدعاوى مالم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

(1) شرح السنة (رقم ١٤٨).



الفصل الثالث

من أصول وقواعد منهج السلف

الفصل الثالث
من أصول وقواعد منهج السلف

ومن ضمن خصائص وأصول منهج السلف الصالح:

١) الدعوة إلى توحيد الله -عز وجل- وإفراده بالعبادة دون ما سواه، ونشر العقيدة الصحيحة بين المسلمين، ومحاربة الشرك والخرافات وعبادة القبور والأضرحة التي انتشرت بين المسلمين.

ودعوة التوحيد هي دعوة جميع الأنبياء كما قال –جل وعلا– : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، وقال عن نوح:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾، وقال: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وقال: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وقال عن خاتمهم محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

فدعوة التوحيد هي دعوة الأنبياء ومن سار على طريقهم وهي الدعوة التي بدأ بها النبي ﷺ من أول يوم، كما قال لأهل مكة: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

وفي حديث معاذ لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال:" ليكن أول ما تدعوهم إليه أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ... الحديث".متفق عليه.

فالبدء بالتوحيد هو شعار منهج السلف وعلامة أتباعهم، فمن بدأ دعوته بغير التوحيد، فقد ضل وتنكب طريق الأنبياء ولا يصح نسبته إلى منهج السلف الصالح، فالعبرة بمن يسير على نهجهم وليست العبرة بالدعاوى الخالية من البينات.

وقد انقسم الحزبيون تجاه دعوة الأنبياء إلى فرق مختلفة:

فمنهم أقوام لا يلتفتون للتوحيد ولا يسعون لنشره بل يحاربونه بكل ما أوتوا من قوة لاعتقادهم أنه يفرق الصف، فيهتمون بالدعوة إلى مبادئ أخلاقية عامة–زعموا– مثل الصبر

والصدق وحسن الخلق والكلام على الدار الآخرة وبيان نعم الله على عباده ويدعون الناس إلى الإنفاق على الفقراء والمساكين وإلى الزهد فى الدنيا فلا يتعرضون للتوحيد من قريب ولا بعيد، بل يجافون أهل التوحيد وينبذونهم ولا يقبلون الدعوة إلى التوحيد فى صفوفهم، وهؤلاء من أمثال جماعة التبليغ والدعوة الجماعة الصوفية الديوبندية الجشتية ، وكذلك جماعة الإخوان المسلمين الذين لا يهتمون إلا بالسياسة والوصول إلى المناصب والكراسى.

وقسم من الدعاة إلى الإسلام اليوم يجعلون التوحيد هو السياسة فحسب، ويفسرون كلمة التوحيد تفسيراً سياسياً كما فعل سيد قطب وأخوه محمد وكل من سار على نهجهما من القطبيين الذين جعلوا من مؤلفات سيد منهجاً لهم، ويعتقدون أن سبب الخلل الموجود فى المسلمين هو عدم تحكيم الشريعة، وأن الإصلاح لا يكون إلا بمصادمة الحكومات أو بالخوض مع العلمانيين فى الطرق السياسية الديموقراطية أو الاشتراكية.

قال صلاح الصاوى: " أما القطبيون ... فقد قام منهجهم ابتداء على بلورة قضية التشريع وبيان صلتها بأصل الدين وأن الخلل الذى يغشى أنظمة الحكم فى مجتمعاتنا المعاصرة ناقض لعقد الإسلام وهادم لأصل التوحيد، ومعلوم أن الكتب التى تمثل هذا الاتجاه وتعبر عن منهجه هى كتب الأستاذ سيد قطب –رحمه الله–فى مجال الدعوة والمخاطبة العامة ، وكتاب حد الإسلام للأستاذ عبد المجيد الشاذلى فى مجال التأصيل والتنظير".[(١)]

ويقول سيد قطب مفسراً كلمة التوحيد بأنها الحاكمية لا غير : "لا إله إلا الله كما يدركها العربى العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية إلا لله ولا شريعة إلا من الله ،ولا سلطان لأحد على أحد لأن السلطان كله لله"اهـ. [(٢)]

ويقول أيضاً :" فلابد أولاً أن يقوم المجتمع المسلم الذى يقر عقيدة أن لا إله إلا الله وأن الحاكمية ليست إلا لله ويرفض أن يقر بالحاكمية لأحد من دون الله، ويرفض شرعية أى وضع لا يقوم على هذه القاعدة"اهـ. [(٣)]

ويقول أيضاً: "إن أخص خصائص الألوهية–كما أسلفنا– هى الحاكمية"اهـ. [(٤)]

---

(1) مدى مشروعية الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية ص ١٧١.

(2) (الظلال ٢/١٠٠٦).

(3) (الظلال ٢/ ١٠١٠).

(4)(الظلال ٢/ ٨٩٠).

بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: " فقضية الألوهية لم تكن محل خلاف ، إنما قضية الربوبية هى التى كانت تواجهها الرسالات ،وهى التى كانت تواجهها الرسالة الأخيرة ، إنها قضية الدينونة لله وحده بلا شريك والخضوع لله وحده بلا منازع ،ورد أمر الناس كلهم إلى سلطانه وقضائه وشريعته وأمره..."اهـ. (١)

وعلى نفس هذه الطريقة يسير القطبيون الحزبيون، فالخلاف بينهم وبين الناس فى الحاكمية لذا يسعون جاهدين بكل الطرق لإقامة الخلافة الإسلامية كما يزعمون، بل ويرون أن الغاية من إرسال الرسل هى إيجاد هذه الدولة، وهذا مخالف لمنهج الأنبياء، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)، فالدولة الإسلامية التى تطبق شرع الله–جل وعلا– وسيلة وليست غاية، وذلك حتى يعبد المسلم ربه فيها بطمأنينة، فالمقصود من خلق الخلق هو العبادة لله وحده لاشريك له.

يقول ياسر برهامى وهو يبين موقع الحاكمية عنده:"من المعلوم أن قضية إفراد الله بالحكم وحده لا شريك له من أهم قضايا العقيدة، وركن من أركان التوحيد ومخالفتها من أعظم أسباب الشرك على ظهر الأرض، وقد بينت هذه الآية أن الحكم والتشريع والتحليل والتحريم من أخص معانى الربوبية كما سبق بيانها"اهـ.(٢)

---

(1) (الظلال٤/١٨٤٦)، يكثر سيد من الكلام على العقيدة ووجوب تربية المسلمين عليها كما فى مذكراته (لماذا أعدمونى)، وهذه العقيدة ليست هى عقيدة السلف وإنما عقيدته هو التى قررها فى كتبه من التكفير للمسلمين والقول بوحدة الوجود ومناهج أهل البدع والضلال وقد أوضح ذلك أحمد عبد المجيد فى كتابه (الإخوان وعبدالناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥) تحت عنوان: (مما دار مع الشهيد: العقيدة):" لن أنقل هنا ما تناوله بشأن العقيدة مع المجموعة لأنى مهما حاولت لن أستطيع النقل الكافى فى ذلك وسيكون كلاماً مكرراً منى، ولا يصل أبداً إلى درجة الشهيد فى العرض، ولقد ورد بالتفصيل فى كتبه لمن أراد الرجوع إليها، مثل: تفسير سورة الأنعام فى الظلال، خاصة العقيدة، تفسير السور المكية خلاف الأنعام من الظلال، خصائص التصور الإسلامى خاصة باب التوحيد، لا إله إلا الله منهج حياة من المعالم، وأخيراً آخر ما كتبه: مقومات التصور الإسلامى خاصة باب: ألوهية وعبودية ..."اهـ، ومن تأمل ما ذكره المصنف يعلم جيداً ما قرره سيد فى هذه المؤلفات من تكفير المسلمين وأقوال المرجئة والجهمية وحصر الدين فى السياسة والأحكام.

(2) فضل الغنى الحميد تعليقات مهمة على كتاب التوحيد (١٥٦–١٥٧).

ويقول محمد حسين يعقوب: "وسط كل هذا أنتم يا صفوة الخلق معاشر الملتزمين مطالبون بتغيير وجه الأرض، وإقامة دولة الإسلام، ولا يتأتى لكم ذلك حتى تقيموا فى نفوسكم للإسلام دولة"اهـ. (١)

ويقول أبوإسحاق الحوينى فى شريط مسجل: "أخص خصائص توحيد الألوهية هو توحيد الحاكمية"اهـ.

وعلى نفس الطريق يسير محمد حسان، وقد بينت ذلك فى كتابَيَّ (حقية التوحيد عند محمد حسان)، و(نظرات سلفية)، وكذلك أصحاب مدرسة الإسكندرية القطبية، ومحمد عبدالمقصود، وفوزى السعيد، وأضرابهم من القطبيين.

ولا يظن أحد من الناس أننا نقلل من شأن تحكيم شرع الله –جل وعلا– بل إننا نطالب به، ونطالب بأن يكون شرع الله –جل وعلا– هو الحاكم فى وسيلة إصلاح المجتمع دون إحداث البدع والضلالات، فإن الغاية لا تبرر الوسيلة، فالتوحيد معناه إفراد الله بالعبادة، وأما الحكم بالشرع فداخل فيه ومن مكملات، فكيف يقال إن التوحيد هو الحاكمية فحسب؟

بل إن القطبيين يشجعون الناس على الانقلابات والثورات من أجل إيجاد الدولة المسلمة كما يزعمون.

ويقول المودودي: "غاية الدين الحقيقية إقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة"اهـ.

ويقول: " لعله قد تبين لكم من كتاباتنا ورسائلنا أن غايتنا النهائية التى نقصدها من وراء ما نحن بصدده الآن من الكفاح إنما هي إحداث الانقلاب فى القيادة وأعنى بذلك أن ما نبتغى الوصول إليه والظفر به فى هذه الدنيا أن نطهر الأرض من أدناس قيادات الفسقة الفجرة وسيادتهم ونقيم فيهم نظام الإمامة الصالحة الراشدة"اهـ. (٢)

فلما حدثت الانقلابات والثورات فى بلاد المسلمين قام القطبيون يطبلون لها ويزمرون ويركبون موجتها، وعلى الفساق والعلمانيين يثنون ويمدحون (شهداء الثورة كما يزعمون) وما قامت هذه المظاهرات (المباركة) إلا على أكتاف العلمانيين والفاسقين، وبمساندة الكفار

(1) الأخوة أيها الإخوة (١٥)، وهذا الكتاب شأنه شأن كل كتب يعقوب ملئ بالأخطاء المنهجية والبدع القولية والفعلية والأحاديث الواهية ومن ذلك قوله فيه بمنهج الموازنات وأتى بالقواعد المخترعة فى الحكم على الناس وطعن في العلماء من أمثال الشيخ ابن باز –رحمه الله–.

(2) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية (١٦).

الغربيين ورفعت فيها الشعارات المحاربة للدين، فهل تقوم الدولة الإسلامية كما يزعمون تحت حماية هؤلاء ومناصرهم؟.

٢) **ومن أصول منهج السلف الصالح لزوم الجماعة** والدعوة إلى الاجتماع والألفة ونبذ الاختلاف والفرقة وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح، كما قال جل وعلا:" ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وكما فى قوله : "وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا علها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة".
فكل اجتماع ليس على منهج السلف هو فرقة واختلاف وتنافر ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أما ما يسعى إليه أهل البدع من التمييع ومحاولة إذابة الفروق بين السلفيين وأهل البدع كالصوفية والإخوان والتبليغ والقطبية، ويدعون أنهم يسعون لجمع كلمة المسلمين وإلغاء الجماعات فيما بينهم، فهذا ضلال واضح مخالف لأمر الله الكونى والشرعى، فالواجب على الجميع الرجوع إلى ما كان عليه النبى وأصحابه حتى يجتمع المسلمون كما اجتمع الصحابة ، أما التجميع على حساب الدين فمثله كمثل النقش على الماء، كما قال –جل وعلا–: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.
وقد كان أهل الجاهلية متفرقين متناحرين فجمعهم الله بالإسلام ، وألف بين قلوبهم باتباعهم للكتاب والسنة، وامتن –جل وعلا– على الصحابة بذلك فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، وقال وهو يحذر نبيه من المتحزبين المتفرقين : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.
قال ابن كثير –رحمه الله– بعدما نقل الأقوال فى معنى ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: " والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق

ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه (وَكَانُوا شِيَعًا) أي: فرقًا كأهل الملل والنحل –وهي الأهواء والضلالات –فالله قد بَرَّأ رسوله مما هم فيه، وهذه الآية كقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)، وفي الحديث: "نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلاَّت، ديننا واحد"، فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل، من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل بُرآء منها، كما قال: (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)"اهـ.

وفى القرآن الكريم الكثير من الآيات فيها الأمر بالاجتماع والنهى عن التفرق والاختلاف والتحزب وفى السنة النبوية كذلك أحاديث، **فمنها:**

حديث الحارث الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: "أنا آمركم بخمس الله أمرنى بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعى الجاهلية فإنه من جثا جهنم، فقال رجل: يارسول الله وإن صلى صام؟ قال: "وإن صلى وصام فادعو بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله" رواه أحمد والترمذى حسنه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :" لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بسمع وطاعة"اهـ.

قال البربهارى –رحمه الله– : "اعلموا أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً، والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم أجمعين وهم أهل السنة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع وكل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار"اهـ. [1]

فالدعوة إلى الاجتماع ونبذ الفرقة إنما تكون بنبذ البدع والمحدثات وتركها والرجوع إلى ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وليس الاجتماع بالتغاضى عن البدع والمحدثات وعدم إنكارها

---

(1) شرح السنة (ص٥).

أو بسلوك قاعدة المعذرة والتعاون (نتعاون فما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فما اختلفنا فيه)، فإنها قاعدة بدعية خبيثة تهدف إلى إبطال الشرع وتعطيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى أخبر الله جل وعلا أنه سبب لخيرية أهل الإسلام (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)، وهذه القاعدة أيضاً تدمر أصل الولاء والبراء الذى هو أحد أركان المعتقد كما قال سبحانه : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ).

فهذه القاعدة توجه أصحابها إلى غض الطرف عن المنكرات والبدع والضلالات لأن إنكارها يؤدى إلى تفريق الصف كما يزعمون.

قال العلامة عبدالعزيز بن باز –رحمه الله– فى بيان حقيقة هذه القاعدة: " أما عُذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه؛ فليس على إطلاقه، بل هو محل تفصيل؛ فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها؛ فالواجب عدم الإنكار فيها من بعضنا على بعض، أما ما خالف النص من الكتاب والسنة؛ فالواجب الإنكار على من خالف النص بالحكمة، والموعظة الحسنة".(١)

وقال العلامة محمد الصالح العثيمين –رحمه الله–: " فقولهم: (نجتمع فيما اتفقنا فيه)؛ فهذا حق، وأما قولهم: (ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)؛ فهذا فيه تفصيل: فما كان الاجتهاد فيه سائغاً؛ فإنه يعذر بعضنا بعضاً فيه، ولكن لا يجوز أن تختلف القلوب من أجل هذا الخلاف. وأما إن كان الاجتهاد غير سائغ؛ فإننا لا نعذر من خالف فيه، ويجب عليه أن يخضع للحق. فأول العبارة صحيح، وأما آخرها فيحتاج إلى تفصيل" اهـ.(٢)

٣) <u>ومن أصول منهج السلف السمع والطاعة للأئمة (الحكام)</u> فى المعروف أبراراً كانوا أو فجاراً، وعدم الخروج عليهم، أو تهييج الرعية عليهم بالخطب أو بالكتابة أو بغيرها من الوسائل.

---

(1) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٥٨/٣–٥٩) جمع د. محمد الشويعر.

(2) (الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ٢١٨/١–٢١٩جمع علي أبو لوز).

وهذا الأصل هو التطبيق العملى للزوم الجماعة كما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه :" لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بسمع وطاعة"اهـ.وقد كان أهل الجاهلية يرون أن السمع والطاعة للحكام ذل ومهانة وأن مخالفتهم وعدم الانقياد لهم فضيلة، فخالفهم النبى فى ذلك فأمر بالسمع والطاعة للحكام فى المعروف وإن ظلموا وجاروا ونهى عن الخروج عليهم أشد النهى، وأمر بالصبر على جورهم، والدعاء لهم بالصلاح والنصيحة لهم فى السر، حتى لا تسقط هيبتهم من نفوس الرعية، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)، وفى الصحيح : "إن الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم" البخارى.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال:" على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية لا سمع ولا طاعة". متفق عليه.

قال المباركفورى:" قال المطهر: يعنى سمعُ كلام الحاكم وطاعته واجب على كل مسلم، سواء أمره بما يوافق طبعه أو لم يوافقه، بشرط أن لا يأمره بمعصية فإن أمره بها فلا تجوز طاعته، لكن لا يجوز له محاربة الإمام"اهـ. [١]

وفى حديث عبادة بن الصامت قال: دعانا رسول الله فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان". متفق عليه.

وفى كتاب السنة لابن أبى عاصم عن معاوية عن النبى قال: " إن السامع المطيع لا حجة عليه، وإن السامع العاصى لا حجة له".

فلا حجة لمن يخالف الإمام ويمتنع من طاعته، فما بالك بمن يسعى فى الخروج عليه ويهيج الرعية طلباً للفتك به؟

وإذا ابتلى المسلمون بحاكم ظالم جائر وجب عليهم السمع والطاعة له فى المعروف والصبر على جوره ومناصحته مع إصلاح حالهم مع الله –جل وعلا– فإن فساد الحاكم لا يكون إلا بتغيير الرعية لأمر الله –جل وعلا–.

وقد ثبت هذا الحق للإمام حتى مع جوره وظلمه بالأحاديث المتواترة عن النبى، ومنها:

---

(1) (تحفة الأحوذى ٥/٢٩٨).

حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية ". متفق عليه. وفى لفظ لمسلم: "من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية".

والمعنى أن ميتته بعد خروجه عن طاعة الإمام مشابهة لميتة أهل الجاهلية الذين كانوا لا يجتمعون على إمام ولا يرون السمع والطاعة لأحد.

ومنها حديث ابن مسعود أن رسول الله قال: "إنها ستكون بعدى أثرة وأمور تنكرونها ، قال يارسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم" متفق عليه.

والأثرة: هى الانفراد بالأموال ونحوها ومنع الناس من حقوقهم فيها، وقوله: "أمور تنكرونها" يعنى من أمور الدين من التقصير فى القيام به وإحداث البدع فيه.

قال النووى فى شرح الحديث: " فيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولى ظالماً عسوفاً، فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع بل يتضرع إلى الله تعالى فى كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه"اهـ.[1]

وبهذه النصوص النبوية وغيرها أخذ السلف الصالح وأودعوها فى كتب العقائد، فما من مصنف فى العقيدة إلا وفيه الأمر بالصبر على جور الأئمة وعدم نزع يد الطاعة، ولم يخالف فيه إلا أهل البدع والأهواء –لاسيما الخوارج– ، ثم يخرج علينا اليوم من يدَّعى الانتساب للسلف وهو يكفِّر الحكام ويطعن فى السمع والطاعة لهم ، ويرى أنهم ليسوا ولاة أمور وإنما هم دعاة على أبواب جهنم [2] ، وذلك بدون دليل ولا برهان وإنما بشبهات وكذب وتلفيق يوافق كلام الخوارج القدماء ، فهل هؤلاء على منهج السلف الصالح أم أنهم على منهج الخوارج الطالح؟.

---

(1) شرح صحيح مسلم (١٢/٢٣٢).

(2) راجع كلام ياسر برهامى فى كتابه (فقه الخلاف ص٥٣-٥٤) ، وكلام محمد عبد المقصود فى سلسلة تصحيح المفاهيم!! (الشريط الأول).

ولكل قوم وارث!! فإذا ببعض الجهال يَعُد هؤلاء الخوارج العصريين من العلماء!! بل ومن أتباع السلف الصالح فأى جهل بعد هذا؟ وأى ضلال وتلبيس أكبر من هذا؟ إن صاحب هذه المقالة إما أنه جاهل بمنهج السلف وأصوله وإما أنه خارجى يدعو للخوارج وينصر مذهبهم ويعتقد عقيدتهم وكلاهما أمران أحلاهما مر!! فلا حول ولا قوة إلا بالله!!.

بعض شبهات من أجاز الخروج:

ومما سبق يُعلم أن الاجتماع في الدين ونبذ التفرق والاختلاف أصل عظيم من أصول الإسلام، فلا يستقيم الدين إلا باجتماع الآراء والمذاهب على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وباجتماع الأبدان على إمام مسلم يجب له السمع والطاعة في المعروف.

ومما يدندن به أهل الأهواء اليوم للتشغيب على هذا الأصل العظيم قولهم: "**إن الخروج على الحكام محرم لغيره، وليس محرماً لذاته، فإذا قمنا بالمظاهرات على الحاكم الظالم أو قمنا بالاعتصامات ليتنحى عن الحكم ولم تؤد هذه الوسائل إلى ضرر أو مفسدة، فهذا جائز ولا يعد من الخروج لعدم وجود المفسدة**"، ويقصدون بذلك أن الخروج على الحكام محرم لأنه يؤدى إلى المفاسد فإن كان الخروج سلمياً بدون مفسدة فلا يحرم !!!

<u>والجواب عن ذلك من وجوه:</u>

<u>أولها:</u> تعريف المحرم لذاته والمحرم لغيره حتى تتضح هذه الاصطلاحات التي وضعها العلماء للتفهيم، فنقول:

المحرم لذاته (أو لعينه) هو: ما حكم الشارع بتحريمه ابتداء وليس لأمر خارج عنه، بمعنى أنه أول ما جاء الحكم الشرعى له وهو على صيغة التحريم مثل الكفر بالله تعالى والسحر وقتل النفس، والزنا، والربا.

فهذه المحرمات ونحوها من المحرم لذاته وليس لحكم خارج عنه.

والمحرم لغيره: هو ما كان مشروعاً بأصله لكن احتف به أمر نقله من الحل إلى الحرمة مثل البيع بعد النداء الثاني يوم الجمعة، فالبيع مباح في ذاته، فلما كان بعد النداء فى الجمعة حُرم، لأنه يؤدي إلى ترك الصلاة فهو محرم لغيره لا لذاته.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريماً، وأعظمها إثماً، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع

والأديان، ولا تباح بحال بل لا تكون إلا محرمة وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال، فإن المحرمات نوعان:

محرم لذاته لا يباح بحال، ومحرم تحريماً عارضاً في وقت دون وقت.

قال الله تعالى في المحرم لذاته: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثماً، فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله.

فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ولا أشد إثماً، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم.

ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد، وقد أنكر تعالى على مَن نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾"اهـ.[(١)]

ومن تعريفنا للمحرم لذاته يُعلم أنه:

١- حرمه الشارع لعينه، لا لأمر خارج عنه.

٢- لم يَرِدْ فيه إباحة فى حال دون حال.

٣- قد يذكر الشارع الحكمة من تحريمه وهي وجود المفاسد فى ذاته، وقد تكون المفسدة غير مذكورة في النص لظهورها.

وهنا نسأل: هل الخروج على الحكام المسلمين ينطبق عليه ما سبق فى شروط الحرام لذاته أم لا؟

---

(1) مدارج السالكين (٣٧٢/١)، وانظر: مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (ص٣١)، وروضة الناظر لابن قدامة (ص٧٠) وما بعدها، وشرح منظومة أصول الفقه، النظم والشرح للشيخ ابن عثيمين (ص٧٢) وما بعدها.

والجواب: إن الخروج محرم لذاته، والحكمة من ذلك هي وجود المفاسد الكثيرة فيه، والعلة فى تحريمه تفرق المسلمين أحزاباً وشيعاً يحارب بعضهم بعضاً، ولأنه يؤدي إلى اختلال الجماعة وفسادها، وتقويض أحكام الدين والدنيا، **ومن هذه الوجوه التى تدل على ذلك:**

١- أن التفرق والاختلاف أمر منكر محرم لذاته، قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)، وقال تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا)، والآيات فى ذلك كثيرة.

٢- الأمر النبوي باعتزال الفرق عند عدم وجود إمام ولا جماعة للمسلمين، كما فى حديث حذيفة[1] عند وقوع الفتن أنه قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها"، فلو كان التفرق والتحزب محرم لغيره لَما جاء الأمر باعتزال الفرق.

٣- أن النبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة للحكام فى المعروف والصبر على ظلمهم وجورهم، ولم يبح لأحد الخروج عليهم ماداموا مسلمين.

٤- أن الشرع أباح الخروج على الحاكم إذا ظهر منه كفر بواح؟، فيه من الله برهان، إذ لا ولاية لكافر على مسلم، فعلم منه أن الخروج على الحكام المسلمين محرم لذاته.

٥- أن الحكمة من تحريم الخروج على الحكام أن الخروج يؤدي إلى سفك الدماء وانتهاك الأعراض وضياع أمور الدين والدنيا، فظن هؤلاء الحزبيون أن هذه الحكمة هي علة التحريم؟، فقالوا بجواز الخروج إذا لم يكن مسلحاً لأنه لا يؤدي إلى هذه المفاسد، وهذا خطأ ظاهر لأنهم لم يفرقوا بين الحكمة والعلة، التى يدور الحكم معها وجوداً وعدماً، وجميع مسائل الشريعة معللة، لكن تارة تكون العلة معلومة وتارة تكون مجهولة، وليس معنى ذلك أن ما عُلمت علته لا يكون محرماً لذاته، فهذا خطأ محض، فقد حرم الله قتل النفس والزنا والسرقة، وذكر العلة فى ذلك وعِللها معلومة بالنظر والشرع، ومع ذلك فهى محرمة لذاتها، فكذلك الخروج على الحكام محرم لذاته حتى وإن علمت العلة منه، علماً بأن ما ذكره الأئمة إنما هو الحكمة من تحريم الخروج، وهي حكمة مستنبطة من الأدلة والنظر الصحيح، فكيف يقال إن الخروج محرم لغيره؟.

وأزيد الأمر وضوحاً فأقول:

---

(1) متفق عليه، وقد سبق ذكره.

الحكمة هى المصلحة التى قصد الشارع تحقيقها أو تكميلها بتشريعه للحكم، أو المفسدة التى قصد الشارع تقليلها أو درأها بتحرم الشئ.

وأما العلة فهي الوصف الظاهر المنضبط الذي بُني الحكم عليه ورُبط به وجــوداً أو عــدماً، فالحكم يدور مع علته لا مع حكمته وجوداً وعدماً.

فاتضح بهذا التفريق ما ذكرناه من خطأ هؤلاء فى وضع الحكمة موضع العلة، فبطل قولهم من أصله.

٦- ومنها: أن الخروج على الحكام ونزع يد الطاعة مشابهة لأهل الجاهلية وهذا الأمر محرم لذاته كما فى الحديث:" ومن تشبه بقوم فهو منهم"، وفى الكتاب والــسنة الأمــر بمخالفــة المشركين والكفار من سائر الأصناف، فهو أمر مأمور به لذاته، واتباع سبيل المشركين محــرم لذاته.

٧- ومنها: أن قائل هذا الكلام لا سلف له من أهل العلم، وإنما سلفه الخوارج، فــالخروج على الحكام لم يقل أحد من أهل العلم بجوازه فى أى صورة من صوره، والأحاديث فى ســياق واحد تأمر بالصبر على جور الأئمة وتحذر من الخروج عليهم، وإن ظلموا وجاروا، فكيــف يقال إن هذه البدعة (الخروج على الحكام) محرمة لغيرها، والبدع محرمة لذاتها؟

٨- ومنها: أنه لو قلنا أن الخروج على الحكام محرم لأنه يؤدى إلى إراقة الــدماء وضــياع الأموال وانتهاك الأعراض، فإننا نسأل: أليست هذه الكليات- النفس والمال والعرض- قــد أوجب الشرع حفظها على كل مسلم، بل إن حفظها من أهم مقاصد الدين؟

فأين غاب هذا عن أصحاب فقه الواقع الذين يفرضون الصورة الخيالية ويهدمون الأصــول الشرعية والقواعد الكلية للدين من أجل إصدار الأحكام لهذه الصور التى لن تتعدى أذهانهم وخيالهم؟

٩- ومنها: أن هذا القول يفتح الباب على مصراعيه للفتن والفساد واختلال النظــام فى دار الإسلام بحجة أن الخروج محرم لغيره فيخرج علينا أنصاف المتعلمين بل وأهل الأهواء ليقرروا جواز الاعتصامات والتظاهرات والاضرابات السلمية –طبعاً- وتصبح الأمــوال والــدماء والأعراض والأديان عرضة للفتاوى الباطلة الفاسدة بحجة هذا التقسيم الاصطلاحى الــذى

وضعه الفقهاء للتوضيح والشرح، فهل بعد فساد البلاد والعباد مفسدة؟ وهل يقال فى هـذه الشرور والفتن إنها محرمة لغيرها؟ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

فهؤلاء الذين يطنطنون بهذه البدع إنما يسعون لتقويض الأصول الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة ويسعون للتهوين من معتقد الخوارج الخبيث ليروجوه فى ديار المسلمين مستغلين جهل كثير من المسلمين بالعلم الشرعي ومنهج السلف الصالح.

وقد أنكر أهل العلم الخروج على الحكام لمخالفته للأدلة الشرعية الواردة بالأمر بالصبر على جور الأئمة، ولما يترتب عليه من المفاسد الكبيرة التى تعارض أصول الشريعة، فهـذا الإمـام أحمد بن حنبل –رحمه الله– وقد تبنى الولاة فى زمنه أحد المذاهب الفكرية المنحرفة وحملوا الناس عليها بالسيف، وفُرض على الأمة القول بخلق القرآن، وقُرر ذلك فى الكتاتيب على الصبيان، والإمام أحمد –رحمه الله– لا يترعه الهوى ولا تستجيشه العواطف (العواصف) بل ثبت على السنة ينهى عن الخروج، ولم يعلل هذا بحرمة الدماء والأعراض والأموال فحسب، وإنما أحال إلى أمر عظيم وهو أن الخروج مخالف للآثار مناقض ومصادم للأدلة الشرعية، فهل هناك مصلحة شرعية معتبرة تصادم دليلاً صحيحاً صريحاً؟

قال الخلال: "أخبرني محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: سألت أبا عبدالله في أمر كان حدث ببغداد وهمَّ قوم بالخروج، فقلت: يا أبا عبدالله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟ فأنكر ذلك عليهم وجعل يقول: "سبحان الله الدماء الدماء، لا أرى ذلك ولا آمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة، يسفك فيها الدماء ويستباح فيها الأموال وينتهك فيها المحارم، أما علمت ما كان الناس فيه يعني أيام الفتنة؟" قلت والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبدالله؟ قال: "وإن كان فإنما هي فتنة خاصة فإذا وقع السيف عمت الفتنة وانقطعت السبل، الصبر على هذا ويسلم لك دينك خير لك"، ورأيته ينكر الخروج على الأئمة وقال الدماء لا أرى ذلك ولا آمر به"اهـ. [1]

وقال حنبل بن إسحاق: " في ولاية الواثق اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبدالله، أبو بكر بن عبيد وإبراهيم بن علي المطبخي وفضل بن عاصم، فجاؤوا إلى أبي عبدالله فاستأذنت لهم، فقالوا: يا أبا عبدالله هذا الأمر قد تفاقم وفشا – يعنون إظهاره القول بخلق القرآن وغير

(1) السنة (١٣٠).

ذلك– فقال لهم أبو عبدالله : فما تريدون؟، قالوا: أن نشاورك في أنَّا لسنا نرضى بإمرتـــه ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبدالله ساعة، وقال لهم: عليكم بالنُّكرة بقلوبكم ولا تخلعوا يــداً مــن طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، ودار في ذلك كلام كثير لم أحفظـــه، ومضوا ، ودخلت أنا وأبي على أبي عبدالله بعدما مضوا، فقال أبي لأبي عبـــدالله: نـــسأل الله السلامة لنا ولأمة محمد، وما أحب لأحد أن يفعل هذا، وقال أبي: يا أبا عبدالله هـــذا عنـــدك صواب، قال: لا هذا خلاف الآثار التي أُمرنا فيها بالصبر، ثم ذكر أبو عبدالله قال: قال الـــنبي ﷺ: (إن ضربك فاصبر وإن ... وإن ... فاصبر، فأَمَرَ بالصبر"اهـــ. (١)

فتأمل كيف علل الإمام أحمد –رحمه الله– المنع من الخروج على الحكام بأنه خـــلاف الآثـــار الواردة وأنه يؤدى إلى ضياع الدين والأنفس والأموال؟

فهل يعتبر أصحاب الفتن بهذه المواقف السديدة لأئمة السنة الراسخين فى العلم أم ينـــساقوا خلف أهوائهم وشهواتهم؟

وهل يقول عاقل إن الإمام أحمد كان يجامل حكام عصره أو يرضى عن انحـــرافهم؟ وصـــدق القائل:

ومن يك ذا فم مُرٍّ مريض ..... يجد مراً به الماء الزلالا

وقد يظن بعض النــاس أن ذكر أهل العلم لمساوئ المظاهرات ومفاسدها دليل على أنها إذا كانت سلمية فإنها جائزة، وهذا غلط، لأن :

١) المظاهرات من التشبه بالكفار وهذا محرم فى كل أحواله (محرم لذاته).

٢) المظاهرات بدعة ليست من هدي السلف الصالح، وإنما هي من منهج الخوارج الطـــالح، والبدع محرمة لذاتها فكل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.

٣) المظاهرات خروج على الحكام وإن كانت سلمية، فإنه يحرم الخروج على الحكام باللسان أو بالسيف والسنان، فكل ما أدى إلى تفريق الكلمة وإثارة الاختلاف والفرقة فهو محرم.

(1) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/١٩٥-١٩٦)، وذكرها الخلال فى السنة (١٣٣).

٤) المظاهرات إفساد للمال العام وإزهاق للأرواح ونشر للفوضى، وحفظ المال والنفس والعرض من كليات الدين التى أوجب الشرع حفظها وصيانتها، وفى الحديث: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل إمرئ مسلم بغير حق"، وفى خطبة الوداع يقول النبى:" إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا"، فأين تقع هذه الوصية النبوية عند هؤلاء المتظاهرين والمعتصمين؟ فاللهم غفراً.

٥) فى المظاهرات مخالفات شرعية محرمة لذاتها وأخرى لغيرها ولو وجدت مخالفة واحدة منها لكانت كفيلة بتحريم المظاهرات، فكيف بها مجتمعة؟

٦) المظاهرات من أعظم الوسائل التى تمكن للكفار ودعاة الفتن من أهل البدع والأهواء، ولذلك تراهم يرحبون بها ويشيدون، بل ويحرسونها ويدعمون القائمين بها، ومَن تأمل الأحداث التى تجري فى ديار المسلمين علم أن هذه المظاهرات ما قامت إلا بمباركة أعداء الله الغربيين وبمساندهم، فهل التعاون مع الكفار وموالاهم من دين الله؟ وهل سيطبق الإسلام بهذه الوسائل الباطلة؟!!

ومما يدندن به أهل البدع فى هذه الأيام أيضاً قولهم: " إن الخروج على الحكام لا يكون إلا بالسيف وأما الخروج باللسان [1] والقيام بالمظاهرات السلمية والاعتصامات والتشهير بالحكام فى الخطب والدروس فهذا ليس من الخروج"، بل أبعد (محمد عبدالمقصود) و(مصطفى العدوي) و(أسامة القوصي)، فادَّعى جواز المظاهرات لأن الحاكم نص عليها فى الدستور الوضعي، فتأمل.

والجواب:

أولاً: أما كون الحاكم قد نص على جواز شئ من المحرمات فى الدستور وأباحه للناس ، فلا يجوز اتباعه فى هذا الانحراف فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق جل وعلا، بل يجب مناصحته وتذكيره بالحكم الشرعي فإن لم يغير هذا الباطل فلا سمع ولا طاعة فى تنفيذ هذه المحرمات كما فى حديث النبى: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر

(1) بل ذهب محمد حسان إلى أنه قد قرأ كتب أهل العلم كلها فلم يجد أحداً منهم ينص على أن الخروج على الحكام يكون باللسان؟ فلا ندرى هل نعجب من جهله أم من كذبه وتشبعه بما لم يُعط، وفى الحديث:" المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور"، وما أكثر الزور عند حسان وأتباعه، فإلى الله المشتكى من التعالم الفاضح والجهل الواضح، نعوذ بالله من الهوى.

بمعصية فلا سمع ولا طاعة"، يعنى لا سمع ولا طاعة فى هذه المعصية ولا يترع يداً من طاعة السلطان.

ثانياً: ما أكثر المحرمات التى رخصها الدستور أو لم يرد فيه عقوبة شرعية عليها كالزنا، وإنشاء دور السينما والمسارح وبيع الخمور والعري ونحوها، فهل هذه المحرمات جائزة لأن الحاكم قد نص عليها فى الدستور؟

ثالثاً: قد كنا نطالبك يا محمد عبدالمقصود بالسمع والطاعة للحكام فى المعروف كما فى الحديث: "إنما الطاعة فى المعروف"، وكنت تكفر الحكام صراحة ثم أنت اليوم تطيع الحاكم فى المنكر؟ فما هذا الجهل والضلال؟

رابعاً: قد كنت ترى أن تحكيم الدستور الوضعى كفر مخرج من الملة ومَن حكمه أو تحاكم إليه كفر، فما بالك تتحاكم إليه وتستدل به راضياً منقاداً إليه كأنه وحي من عند الله، ألا يدخل هذا فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾؟، فهذا ليس بمستغرب على الخوارج الذين قال فيهم النبى ﷺ: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان".

ويقول (محمد عبدالمقصود) وكأنه يرد على نفسه فى الشريط الأول من سلسلة تصحيح المفاهيم!!: "بفضل الله عز وجل الحمد لله أنني أبرأ إلى الله عز وجل من هذه القوانين الوضعية، ومن واضعيها، ومن الحاكمين بها، أبغضهم فى الله عز وجل، وأحكم عليهم بأنهم كفروا حين بدلوا شريعة الله تبارك وتعالى، وأبرأ إلى الله عز وجل منهم ومن قوانينهم، وممن شايعهم أو ولاهم على هذا الأمر، هذا الأمر مفخرة لى بفضل الله عز وجل"اهـ.

فهل هذا القول هو الصواب أم قوله السابق؟ والله يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾!!.

وأما قولهم بأن الخروج لا يكون إلا بالسيف، ولا يكون باللسان [1]، فالجواب عنه من وجوه:

---

(1) اتفقت كلمة الحزبيين فى هذه الأيام على ذلك التقسيم الفاسد، فقد صرح به حسان وعبدالمقصود ومصطفى العدوى وأسامة القوصي والزغبى ... إلخ القائمة المعلومة.

منها أنه من المعلوم أن الفعل يسبقه الكلام، وأن الفتن العظام والحروب الكبيرة تبدأ أولاً بالكلام والتشهير، وكما قيل: فإن الحرب أولها كلام.

وأصل الخوارج وإمامهم ذو الخويصرة التميمى الذى قال : "اعدل يا محمد"، فعدَّه النبى ﷺ خارجياً بل إماماً للخوارج الذين يأتون من بعده، فقال عنه: "يخرج من ضئضئ هذا أو فى عقب هذا قوم يتلون كتاب الله طرياً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"، مع أن ذا الخويصرة التميمى لم يشهر سيفاً، ولم يقاتل النبى ﷺ، وإنما قال: "اعدل يا محمد".

ثم جاء من بعده تلامذته فكفروا الصحابة المبشرين بالجنة، واستحلوا دماءهم فقاتلهم الصحابة مع علي بن أبي طالب، ويأتى اليوم من يُحيي سنة ذى الخويصرة فيُجاهر بالطعن على الأئمة ونشر معايبهم ومحاصرتهم فى دورهم بالاعتصام أمامها حتى يتخلوا عن الحكم أو يُقتلوا على فرشهم.

قال الإمام الآجرى-رحمه الله- وهو يقرر ما ذكرناه: " باب ذم الخوارج وسوء مذاهبهم ، وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه، قال محمد بن الحسين : لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وإن صلوا وصاموا ، واجتهدوا في العبادة ، فليس ذلك بنافع لهم ،ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليس ذلك بنافع لهم ؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون ، ويموهون على المسلمين ، وقد حذرنا الله تعالى منهم ، وحذرنا النبي ﷺ ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده ، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان ، والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس ، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً ، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين ، فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله ﷺ: هو رجل طعن على رسول الله ﷺ ، وهو يقسم الغنائم ، فقال : اعدل يا محمد ، فما أراك تعدل ، فقال ﷺ : « ويلك ، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ » فأراد عمر ﷺ قتله ، فمنعه النبي ﷺ من قتله وأخبر : « أن هذا وأصحاباً له يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين » وأمر في غير حديث بقتالهم ، وبين فضل من قتلهم أو قتلوه ، ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى ، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى قدموا المدينة ،

فقتلوا عثمان بن عفان ﷺ ، وقد اجتهد أصحاب رسول الله ﷺ ممن كـــان بالمدينـــة في أن لا يقتل عثمان ، فما أطاقوا على ذلك رضي الله عنهم ثم خرجوا بعد ذلك على أمـــير المـــؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولم يرضوا لحكمه ، وأظهروا قولهم وقالوا : لا حكم إلا لله ، فقال علي رضي الله عنه : كلمة حق أرادوا بها الباطل ، فقاتلهم علي رضي الله عنه فأكرمـــه الله تعالى بقتلهم ، وأخبر عن النبي ﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه ، وقاتل معه الصحابة فـــصار سيف علي رضي الله عنه في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة"اهـــ، ثم ساق الأحاديث الواردة بأسانيدها.[1]

وقد بدأ الخروج على عثمان بن عفان ﷺ بالطعن فيه والتشهير به زوراً وبهتاناً، وجمـــع الخوارج أخطاءه كما يزعمون وضخموا اجتهاداته بعد أن عدوها خطأ حتى كفروه ثم تواعدوا المدينة النبوية فلما اجتمعوا بها حاصروه فى داره يطالبونه أن يعزل نفسه عن خلافة المسلمين – يتنحى عن الحكم– فامتنع حتى لا تكون سنة كلما كره قوم إمامهم عزلوه كما ناصحه بذلك ابن عمر، عندمت أشار عليه المغيرة بن الأخنس أن يخلع نفسه، فقال له ابن عمر: "فـــلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو أميرهم قتلـــوه". رواه ابن سعد، وكان امتناع عثمان ﷺ بأمر النبي ﷺ له كما فى الحديث:" يا عثمان إن الله لعله أن يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه. ثلاثاً".الحديث، رواه الإمام أحمد فى المسند، وابن حبان فى صحيحه والترمذى وابن ماجة والحاكم وصححه، وفي رواية أحمد:" يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى به"، فحاصره الخوارج وضيقوا عليه حتى قتلوه شهيداً صابراً رضي الله عنه وأرضاه، فهل أفعال المتظـــاهرين والمعتصمين اليوم إلا سنة أسلافهم من الخوارج المفسدين؟[2]

---

(1) الشريعة (ص٣٠)، وراجع كلام العلماء في شرح الحديث (فتح البارى – شرح صحيح مـــسلم – عون المعبود).

(2) وفى هذا رد على المحدث !! أبي إسحاق الحوينى الذى زعم أن ما يجرى اليوم من تنحي الحـــاكم بسبب الاضربات والمظاهرات والاعتصامات، إنما هى نازلة من النوازل التى ليس لهـــا مثيـــل فـــى التاريخ الإسلامي وليس لها حكم فى كتب أهل العلم السابقين، ثم استدل من ذلك على جواز المظاهرات وأن الخروج على الحكام لا يكون إلا بالسيف، وهذا يدل على جهله بعلم الرواية فضلاً عـــن علـــم =

فهذه أفعال هؤلاء قد سبقهم بها الخوارج الذين ثاروا على عثمان ﷺ يطالبونه بـالتنحي، فالقوم على سنة مشايخهم الأوائل سائرون وعن منهجهم مدافعون وللباطل يناصرون، فاللهم هداك.

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-: "وقد وقال الرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: ((إنه يخرج من ضِئْضِئِ هذا الرجل من يحقر أحدكم صلاته عند صلاته، يعني: مثله، وهذا أكبر دليل على أن الخروج على الإمام يكون بالسيف، ويكون بالكلام، هذا ما أَخَـذَ السيفَ على الرسول – عليه الصلاة والسلام – لكنه أنكر عليه، وما يوجد في بعض كتب أهل السنة، من أن الخروج على الإمام: هو الخروج بالسيف، فمرادهم بذلك: هو الخروج النهائي الأكبر، كما ذكر النبي ﷺ الزنا يكون بالعين، ويكون بالأُذُن، ويكون باليد، ويكون بالرجل، لكن الزنا الأعظم: هو زنا الحقيقة، هو زنا الفرج، ولهذا قال: ((الفرج يُصدِّقه أو يُكذِّبه"، قال: ((فهذه العبارة من بعض العلماء: هذا مرادهم، ونحن نعلم علم اليقين بمقتضى طبيعة الحال: أنه لا يمكن خروج بالسيف إلا وقد سبقه خروج باللسان والقول، الناس لا يمكن أن يأخذوا سيوفهم يحاربون الإمام بدون شيء يثيرهم، لا بد أن يكون هناك شيء يثيرهم، وهو الكلام، فيكون الخروج على الأئمة بالكلام خروجًا حقيقة، دلّتْ عليه السنة، ودلّ عليه الواقع.

أما السنة فعرفتموها، وأما الواقع: فإنا نعلم علم اليقين: أن الخروج بالسيف فرع عن الخروج باللسان والقول، لأن الناس لم يخرجوا على الإمام (بمجرد أخذِ السيف) لا بد أن يكون توطئة وتمهيد: قدح في الأئمة، وستر لمحاسنهم، ثم تمتلئ القلوب غيظًا وحقدًا، وحينئذٍ يحصل البلاء"اهـ. [1]

وقد وردت الأحاديث النبوية والآثار السلفية تثبت جميعها أن الخروج على الحكام وإثارة الفتنة تكون باللسان قبل السيف والسنان، **ومن ذلك:**

=الدراية والفقه فى الدين، فهل كان فعل هؤلاء المتظاهرين الخوارج إلا فعل أسلافهم الذين اعتصموا وتظاهروا حول دار الخليفة الثالث عثمان؟ فهؤلاء يطالبون الحكام بالتنحى عن الحكم بالاضرابات والمظاهرات أو يقتلونهم على فراشهم.

(1) من تعليقه على كتاب "رفع الأساطين فى حكم الاتصال بالسلاطين" للشوكانى، الشريط الثانى/أ..

- قوله ﷺ فى حديث حذيفة: سيكون دعاة على أبواب جهنم مَن أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يارسول الله صفهم لنا، قال:" هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا".رواه مسلم، وفى رواية:" تكون فتن على أبوابها دعاة إلى النار، فأن تموت وأنت عاض على جذل شجرة خير لك من أن تتبع أحداً منهم".

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: " إنها ستكون فتنة تستنطف العرب [١] ، قتلاها فى النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف".[٢]

- وقال حذيفة رضي الله عنه:"أتتكم الفتن مثل قطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب مُوْضِع [٣] وكل خطيب مُصْقِع [٤]".[٥]

- وقال أيضاً: "وكِلَت الفتنة بثلاثة: بالحاد النحرير الذى لا يريد أن يرتفع لـه شئ إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذى يدعو إليه الأمور، وبالشريف المذكور، أما الحاد النحرير فتصرعه، وأما هذان فتبحثهما فتبلوا ما عندهما".[٦]

- وروى ابن سعد فى الطبقات عن عبدالله بن عكيم الجهني قال: "لا أُعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان"، قيل له: " يا أبا معبد أو أعنت على دمه؟ فقال: إنى أعد ذكر مساويه عوناً على دمه".[٧]

- وفى سنن الترمذى عن زياد بن كُسيب العدوى قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، قال أبوبلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبوبكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله".

---

(1) يعنى: تهلكهم وذلك فى طلب الملك والرياسة والقتال عليها.

(2) أخرجه أبوداود وابن أبي شيبة فى مصنفه وابن بطة فى الإبانة ويُروى مرفوعاً وموقوفاً من كلام عبدالله بن عمرو.

(3) يعنى: مسرع.

(4) يعنى: الماهر بالكلام والخطب. راجع لسان العرب..

(5) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه برقم (١) كتاب الفتن..

(6) المصنف رقم (٢٧).

(7) وأخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٤٧/١٢).

– وروى ابن أبي عاصم [(١)]: عن أنس بن مالك قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا لنا: لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب".

ففي هذا الأثر اتفاق أصحاب النبي ﷺ على حرمة سب الأمراء والوقيعة فيهم وهذا ليس تعظيماً لذوات الأمراء وإنما ذلك لعظم المسؤولية الموكولة إليهم ولأن سبهم يفضى إلى إيغار صدور العامة عليهم، وهذا السب والطعن فيهم هو نواة الخروج عليهم وقتالهم بالسيف، وهذا أصل فساد الدين والدنيا معاً نسأل الله العافية.

وعن أبي الدرداء قال: "إن أول نفاق المرء طعنه على إمامه" [(٢)]

وفى السنة لابن أبي عاصم عن أبي الدرداء قال: "إياكم ولعن الولاة فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة، قيل يا أبا الدرداء فكيف نصنع إذا رأينا منهم مالا نحب؟ قال: اصبروا فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت"، وفى الباب آثار كثيرة فى النهي عن سب الحكام والطعن عليهم واعتبار هذا من الخروج على الحكام.

قال ابن جماعة وهو يبين حقوق ولي الأمر:"رد القلوب النافرة عنه إليه وجمع محبة الناس عليه لما فى ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة، والذب عنه بالقول والفعل وبالمال والنفس والأهل فى الظاهر والباطن والسر والعلانية".[(٣)]

ومن المعلوم أن أول من بدأ بالطعن على الحكام تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عبدالله بن سبأ اليهودى لتفريق الأمة وإشعال نار الفتنة حتى انتهى الأمر بمقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقد قسم أهل العلم فيما مضى الخوارج إلى أقسام وعدوا منها بل شرها (الخوارج القعدية) الذين يثيرون الناس ويهيجونهم على الحاكم ومع ذلك لا يباشرون الخروج بأنفسهم، وهؤلاء من أشد الخوارج على المسلمين لما يظهرونه من حسن السمت والهدى ليصطادوا به البسطاء والمغفلين.

---

(1) السنة (٢/٤٨٨).

(2) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٧/٤٨) وابن عبد البر فى التمهيد (٢١/٢٨٧).

(3) تحرر الأحكام فى تدبير أهل الإسلام ص(٦٤).

فهذا النوع من الخوارج همهم الطعن على الحكام وذكر مساويهم ونشرها بين النـــاس فـــإن أصابهم من الحكام عطاء انقلب الذم مدحاً كما قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الــصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)، فهم يدفعون بالمسلمين إلى الفتن ثم بعد ذلك يستنكرون ما يجرى ويلزمون البيوت فإن حانت لهم فرصة بـــادروا إلى ركوبهـــا واهتبالها لا يراعون للأدلة الشرعية حرمة ولا يفقهون منها كلمة، يحلون ويحرمون بناء علـــى الأهواء، تختلف مواقفهم وتتباين فى لحظات، وهذا من أعظم الأدلة على انحرافهم كما قـــال النخعي: "كانوا يرون التلون فى الدين من زيغ القلوب"، نسأل الله العافية.

قال الإمام أحمد :" قَعَدُ الخوارج هم أخبث الخوارج".[(١)]

وقال الحافظ ابن حجر فى ترجمة (عمران بن حطان الخـــارجي):" عمـــران بـــن حطـــان السدوسي الشاعر المشهور كان يرى رأي الخوارج، قال أبو العباس المبرد: كان عمران رأس القعدية من الصفَرية وخطيبهم وشاعرهم. انتهى، والقعدية قوم من الخوارج كـــانوا يقولـــون بقولهم ولا يرون الخروج بل يزينونه، وكان عمران داعية إلى مذهبه، وهو الذي رثـــى عبـــد الرحمن بن ملجم قاتل علي عليه السلام بتلك الأبيات السائرة"اهــ.[(٢)]

وقال أيضاً:" والقعد من الخوارج كانوا لا يرون الحرب بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة، ويدعون إلى رأيهم ويزينون مع ذلك الخروج ويحسنونه"اهــ.[(٣)]

وأهل السنة لا يرخصون لرجل أن يلعن الأمراء أو يدعو عليهم، بل إنهم يعدون الـــدعاء عليهم دليلاً على ابتداع الرجل وفساد معتقده، **قال البربهاري** –رحمه الله–:" إذا رأيـــت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجـــل يـــدعو للـــسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله".

وقال الفضيل بن عياض:" لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها فى إمام، لأنـــه إذا صـــلح الإمام أمِنَ البلاد والعباد، قال ابن المبارك: يا معلم الخير من يجترئ على هذا غيرك"اهــ.[(٤)]

---

(1) مسائل أبى داود (٢٧١).

(2) هدي السارى مقدمة فتح البارى لابن حجر (ص٤٨٣).

(3) تهذيب التهذيب (١١٤/٨).

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨٨/١).

ومن سبر أحوال الناس علم يقيناً أن الذين يدعون على الحكام يبحثون عن الرياسة ويريدون الحكم بدلاً من الحكام، وأن الذين يدعون للحكام هم مِن أزهد الناس فيما عند الحكام، فلا يتبعون سقطاتهم ولا يهيجون الخلق عليهم ومَن أبصر هذا اعتبر.

وسئل الشيخ العلامة ابن باز–رحمه الله–: هل من منهج السلف نقد الولاة فوق المنابر، وما منهج السلف في نصح الولاة؟

فأجاب:" ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه أوالاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير.

وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل فينكر الزنا وينكر الخمر وينكر الربا من دون ذكر من فعله ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر فلاناً يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم.

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان ﷺ قال بعض الناس لأسامة بن زيد رضي الله عنهما ألا تكلم عثمان؟ فقال: إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ إني لأكلمه فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتتحه.

ولما فتحوا (أي الخوارج) الشر في زمان عثمان ﷺ وأنكروا على عثمان جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان بأسباب ذلك، وقتل جمع كثر من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علناً حتى أبغض الناس ولي أمرهم وقتلوه، نسأل الله العافية والسلامة لنا ولإخواننا من المسلمين من كل شر إنه سميع مجيب"اهـ. (١)

وسئل الشيخ الفوزان –حفظه الله–: هل الخروج على الأئمة يكون بالسيف فقط أم يدخل في ذلك الطعن فيهم وتحريض الناس على منابذهم والتظاهر ضدهم؟

فأجاب –حفظه الله–: " ذكرنا هذا لكم قلنا: الخروج على الأئمة يكون بالسيف وهذا أشد الخروج، ويكون بالكلام ، بسبهم وشتمهم والكلام فيهم في المجالس وعلى المنابر ، وهذا

---

(1) مجموع فتاوى ابن باز (المجلد الثامن ١٨٦).

يهيج الناس ويحثهم على الخروج على ولي الأمر وينقص قدر الولاة عندهم فالكلام خروج"اهـ. [1]

وأجاب الشيخ صالح السدلان –حفظه الله–عن سؤال فيمن قصر الخروج على ما إذا كان بالسيف وظن أن التهييج بالكلام لا يعد خروجاً.

فقال –حفظه الله–: " هذا السؤال مهم، فالبعض من الإخوان قد يفعل هذا بحسن نية ، معتقداً أن الخروج إنما يكون بالسلاح فقط، والحقيقة أن الخروج لايقتصر على الخروج بقوة السلاح، أو التمرد بالأساليب المعروفة فقط ، بل إن الخروج بالكلمة أشد من الخروج بالسلاح، لأن الخروج بالسلاح والعنف لا يُرَبِّيه إلا الكلمة، فنقول للأخوة الذين يأخذهم الحماس ، ونظن منهم الصلاح – إن شاء الله تعالى – : عليهم أن يتريثوا ،ونقول لهم : رويداً ،فإن صَلَفكم وشدتكم تربي شيئاً في القلوب، تربي القلوب الطرية التي لاتعرف إلا الاندفاع ،كما أنها تفتح أمام أصحاب الأغراض أبواباً، ليتكلموا وليقولوا ما في نفوسهم – إن حقاً ، وإن باطلاً –.

ولا شك أن الخروج بالكلمة ،واستغلال الأقلام بأي أسلوب كان ، أو استغلال الشريط ، أو المحاضرات ، والندوات، في تحميس الناس على غير وجه شرعي؛ أعتقد أن هذا أساس الخروج بالسلاح، وأُحَذِّر من ذلك أشد التحذير ، وأقول لهؤلاء :عليكم بالنظر إلى النتائج ، وإلى من سبقكم في هذا المجال، لينظروا إلى الفتن التي تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية، ما سببها، وما الخطوة التي أوصلتهم إلى ما هم فيه ؟!! فإذا عرفنا ذلك ؛ ندرك أن الخروج بالكلمة ، واستغلال وسائل الإعلام والاتصال للتنفير والتحميس والتشديد ؛ يربي الفتنة في القلوب " اهـ . [2]

---

(1) الفتاوى الشرعية فى القضايا العصرية (١٠٧).

(2) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري " (ص ٨٨).

درر غالية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

يقول رحمه الله وهو يبين بنظرة ثاقبة عاقبة الخوارج فى كل عصر: " ففي الجملة أهل السنة يجتهدون في طاعة الله ورسوله بحسب الإمكان، كما قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)، وقال النبي ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".

ويعلمون أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بصلاح العباد في المعاش والمعاد، وأنه أمر بالصلاح ونهى عن الفساد، فإذا كان الفعل فيه صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده رجحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه رجحوا تركه.

فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم، فإما أن يقال يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولى غيره كما يفعله مَن يرى السيف، فهذا رأى فاسد فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء، وغاية هؤلاء إما أن يُغلبوا، وإما أن يَغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، فإن عبد الله بن علي، وأبا مسلم، هما اللذان قتلا خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزموا وهُزم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً، ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك مِن أولياء الله المتقين ومِن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم، وكذلك أهل الحرة كان فيهم مِن أهل العلم والدين خَلْق، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم، وقد قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامر؟ قال: "كنت حيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصوَّت إنسان فكدت أطير

أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء".

وكان الحسن البصري يقول: "إن الحجاج عذاب الله فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)".

وكان طلق بن حبيب يقول:" اتقوا الفتنة بالتقوى"، فقيل له: أجمل لنا التقوى، فقال:" أن تعمل بطاعة الله، على نور مِن الله ، ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عذاب الله".

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث.

ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير مِن أهل العلم والدين ... ومَن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الباب، واعتبر أيضاً اعتبار أولى الأبصار، عَلِمَ أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور"اهـ.[1]

<u>**وقد نشر بعض أهل الأهواء منشوراً**</u> عند حدوث الثورة الخارجية على الحكام يبين أن ما جرى من الشباب المتظاهرين بميدان التحرير إنما هو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أن ما يجري إنما هو عين المنكر، وقد امتلأ الميدان بأصناف المنكرات من المخدرات والفجور والزنا والمفاسد العظيمة، فهل هؤلاء هم الذين يغيرون المنكر؟

<u>**وقد بين شيخ الإسلام**</u> -رحمه الله- أن الخروج على الحكام يشتبه كثيراً مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند مَن يصلح لهذه الوظيفة -إنكار المنكر- فقال -رحمه الله-: " ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب هذه الفتن تكون مشتركة، فَيَرِدُ على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب عن معرفة الحق وقصده، ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية، والجاهلية ليس فيها معرفة الحق ولا قصده، والإسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح؛ بمعرفة الحق وقصده.

(1) منهاج السنة النبوية (٤/٥٢٧).

فيتفق أن بعض الولاة يظلم باستئثار، فلا تصبر النفوس على ظلمه، ولا يمكنها دفع ظلمه إلا بما هو أعظم فساداً منه، ولكن لأجل محبة الإنسان لأخذ حقه ودفع الظلم عنه لا ينظر في الفساد العام الذي يتولد عن فعله، ولهذا قال النبي ﷺ:" إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك وأسيد بن حضير رضي الله عنهما أن رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً، قال:" ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" وفي رواية للبخاري عن يحيى بن سعيد الأنصاري سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يُقطِع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، فقال: "أما لا؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فإنه ستصيبكم أثرة بعدي"، وكذلك ثبت عنه في الصحيح أنه قال:" على المرء المسلم السمع والطاعة في يسره وعسره ومنشطه ومكرهه وأثرة عليه"، وفي الصحيح عن النبي ﷺ عن عبادة قال:" بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

فقد أمر النبي ﷺ المسلمين بأن يصبروا على الاستئثار عليهم، وأن يطيعوا ولاة أمورهم، وإن استأثروا عليهم، وأن لا ينازعوهم الأمر.

وكثير ممن خرج على ولاة الأمور أو أكثرهم إنما خرج لينازعهم مع استئثارهم عليه، ولم يصبروا على الاستئثار، ثم إنه يكون لولي الأمر ذنوب أخرى، فيبقى بغضه لاستئثاره يعظِّم تلك السيئات، ويبقى المقاتل له ظاناً أنه يقاتله لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ومِن أعظم ما حركه عليه طلب غرضه: إما ولاية وإما مال كما قال تعالى:(فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:" ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يمنعه من ابن السبيل، يقول الله له يوم القيامه اليوم : أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك، ورجل بايع إماماً لا يباعه إلا لدينا إن أعطاه منها رضى وإن منعه سخط، ورجل حلف على سلعة بعد العصر كاذباً لقد أُعطى بها أكثر مما أعطي".

فإذا اتفق من هذه الجهة شبهة وشهوة، ومن هذه الجهة شهوة وشبهة قامت الفتنة، والشارع أمر كل إنسان بما هو المصلحة له وللمسلمين، فأمر الولاة بالعدل والنصح لرعيتهم حتى قال:" ما من راع يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة".
وأمر الرعية بالطاعة والنصح كما ثبت في الحديث الصحيح :"الدين النصيحة ثلاثاً" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال:" لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".
وأمر بالصبر على استئثارهم ونهى عن مقاتلتهم ومنازعتهم الأمر مع ظلمهم، لأن الفساد الناشيء من القتال في الفتنة أعظم من فساد ظلم ولاة الأمر، فلا يُزال أخف الفسادين بأعظمهما"اهـ.[1]

٤)ومن أصول منهج السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ولا يصح قول بلا عمل ولا عمل بلا قول ، فهما جزءان لابد منهما ، وقد أجمع السلف على هذا الأصل وهو مذكور فى كتاب الله جل وعلا فى أكثر من خمسين موضعاً.
قال الإمام الآجرى فى كتابه (الشريعة) : " (باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، لا يكون مؤمناً إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث):
قال محمد بن الحسين : اعلموا –رحمنا الله وإياكم– أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً ، ولا تجزيء معرفة بالقلب ، ونطق باللسان ، حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال : كان مؤمناً دل على ذلك القرآن ، والسنة ، وقول علماء المسلمين" اهـ.[2]

وهذا الأصل قد خالف فيه أهل البدع والأهواء قديماً وحديثاً:
ومن ذلك فى عصرنا الحاضر قولهم: (إن الإيمان قول وعمل، والعمل شرط كمال ، وليس جزءاً من الإيمان ، فمن ترك أعمال الجوارح فهو مؤمن ناقص الإيمان ناج فى الآخرة ، وهذا هو الإرجاء الذى ذمَّه السلف وعابوه وبدَّعوا أصحابه قديماً ، وفى العصر الحاضر يخرج

(1) السابق (٤/٥٢٧).
(2) الشريعة (ص١١١).

علينا من يدَّعى الانتساب للسلف ، وهو يقول بهذا القول المبتدع بل ويؤصل له فى الكتب!!!.[1]

٥) **<u>ومن أصول منهج السلف الصالح منابذة أهل البدع وهجرهم</u>** والتبرؤ منهم أحياءً وأمواتاً وترك الجلوس معهم وترك مناظرتهم والإصغاء لكلامهم وضلالاتهم وعلى هذا إجماع السلف الصالح .

ثم يخرج علينا أقوام يدَّعون السلفية وهم يجالسون أهل الأهواء ويوالونهم ويناصرونهم من خوارج وقطبية وصوفية وإخوان وتبليغ ....إلخ

وفى الحديث: " الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" [2] ، و(الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل).[3]

وقال ابن مسعود ﷺ : " اعتبروا الناس بأخدانهم فإن الرجل لايصاحب إلا من يعجبه"اهـ.

وقال الأعمش: " كانوا لايسألون عن الرجل بعد ثلاث: مدخله وممشاه وإلفه من الناس"اهـ.

وقال الإمام أحمد –رحمه الله–: "إذا سلم الرجل على المبتدع فهو يحبه"اهـ [4].

وقال الآجرى: "(باب ذكر هجر أهل البدع والأهواء): ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه فى كتابنا هذا –وهو كتاب الشريعة– أن يهجر جميع أهل الأهواء من مثل الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وكل من ينتسب إلى المعتزلة، وجميع الروافض، وجميع النواصب، وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مبتدع بدعة ضلالة وصح عنه ذلك، فلا ينبغي أن يكلم، ولا يسلم

---

(1) انظر كتابَي ياسر برهامى" قراءة نقدية فى كتاب ظاهرة الإرجاء" و "شرح منة الرحمن" ، وكتابَي "صيحة نذير" ، و" التحذير من فتنة التكفير" لعلى الحلبى، وكذلك يصرح أبو إسحاق الحوينى فى شريط له بعنوان (قصة قارون)، وسائر إخوانه من القطبيين، وهذا يبين لك التناقض عندهم فى تكفير الحكام والقول بالإرجاء!!!.

(2) رواه البخارى معلقاً (٣٣٣٦) ، ومسلم (كتاب البر ١٥٩).

(3) رواه أبوداود (٤٨٢٥) ، وحسنه الألبانى.

(4) راجع شرح أصول الاعتقاد للالكائى (١٠٤/١) ، والإبانة لابن بطة (١٤٩/١) وما بعدها.

عليه، ولا يجالس، ولا يصلى خلفه، ولا يزوج، ولا يتزوج إليه من عرفه، ولا يشاركه، ولا يعامله، ولا يناظره، ولا يجادله، بل يذله بالهوان له، وإذا لقيته فى طريق أخذت فى غيرها إن أمكنك.

فإن قال قائل:فلم لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله؟

قيل له: لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلاماً يفسد عليك قلبك، ويخدعك بباطله الذي زين له الشيطان فتهلك أنت.

إلا أن يضطرك الأمر إلى مناظرته، وإثبات الحجة عليه بحضرة سلطان، أو ما أشبهه، لإثبات الحجة عليه، فأما لغير ذلك فلا.

وهذا الذي ذكرته لك مقول من تقدم من أئمة المسلمين موافق لسنة رسول الله ﷺ.

فأما الحجة فى هجرهم بالسنة فقصة هجرة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى الخروج معه فى غزاته لغير عذر، كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ﷺ، فأمر النبي ﷺ بهجرهم، وأن لا يكلموا وطردهم حتى نزلت توبتهم من الله عز وجل.

وهكذا قصة حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى قريش يحذرهم خروج النبي ﷺ إليهم، فأمر النبي ﷺ بهجرته وطرده، فلما أنزل الله توبته، فعاتبه الله تعالى على ما فعله فتاب عليه.

وقول النبي ﷺ: "أفضل العمل الحب فى الله والبغض فى الله".

وضَرْبُ عمر بن الخطاب ﷺ لصبيغ، وبعث إلى أهل البصرة ألا يجالسوه، قال: فلو جاء إلى حلقة ما هي قاموا وتركوه.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام".

وسنذكر عن التابعين وأئمة المسلمين معنى ما قلنا إن شاء الله"اهـ. [١]

والنقول عن السلف كثيرة فى بيان هذا الأصل العظيم أعنى هجران أهل البدع والأهواء ومنابذهم حتى يعودوا إلى منهج السلف.

(1) الشريعة (٢٥٤٠).

٦)ومن أصول منهج السلف أيضاً أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام (توحيد الربوبية ، توحيد الأسماء والصفات ، توحيد الألوهية).

فهذا التقسيم نقله أئمة السلف فى مصنفاهم جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف ،ثم يأتى من يشكك فيه اليوم ويدعى أنه تقسيم نظرى واصطلاحى لايعقد عليه ولاء ولا براء!!.

إن هؤلاء يريدون تشكيك الناس فى عقائدهم وزعزعة معتقد السلف حتى ينشروا مناهج أهل البدع والأهواء فلا حرج عندهم إن قسَّم القطبيون التوحيد إلى أربعة أقسام وأضافوا إليه قسماً رابعاً: توحيد الحاكمية -كما يزعمون!!- وسيأتى الرد على هذه البدعة عند الكلام عن أمارات الحزبية.

هذه الأصول التى ذكرناها وغيرها كثير هى التى تبين صحة انتساب الرجل إلى منهج السلف فمن قام بأصول منهج السلف علماً وعملاً تعليماً وسلوكاً يوالى ويعادى عليها فهو السلفى حقاً المتبع للنبى ﷺ وأصحابه ، وأما أصحاب الادعاءات فإنهم يفتضحون عند الامتحان وذلك بعرض كلامهم ومواقفهم على أصول منهج السلف الصالح.

ومن أصول منهج السلف فى العقيدة:

١- حرصهم أن يكون مصدر التلقي في باب الاعتقاد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- احتجاجهم بالسنة الصحيحة في العقيدة ولا يفرقون بين المتواتر والآحاد وما ورد في كتبهم من الأحاديث التي فيها مقال فلا يوردونها للتأصيل وإنما للاستئناس كما يوردونها بأسانيدها .

٣- فهم النصوص على ضوء أقوال السلف وتفاسيرهم وما نقل عنهم .

٤- التسليم بما جاء به الوحي وتقديمه على العقل مع إعطاء العقل دوره الحقيقي وعدم الخوض في الأمور الغيبية مما لا مجال للعقل فيه .

٥- عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة ورفض التأويل الكلامي .

٦- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة .

ـ ومن خصائص أتباع منهج السلف:

١ـ ثباتهم على الحق وعدم تقلبهم كما هي عادة أهل الأهـــواء **قال حذيفة** رضي الله عنه **لأبي مسعود** رضي الله عنه:"إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنـــت تعـــرف، وإياك والتلون في الدين فإن دين الله واحد".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة"اهـــ. [١]

وذلك ناتج بأن ماهم عليه هو الحق والهدى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " إن ما عند عوام المسلمين وعلمـــائهم أهـــل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم

بالحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه أمر لا ينـــازع فيـــه إلا مـــن ســـلبه الله العقـــل والدين".اهـــ.[١]

٢ـ اتفاقهم على أمور العقيدة وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان.

قال الأصبهاني:" ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وتباعد ما بينهم من الديار، وســـكون كـــل واحد منهم في قطر من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمـــط واحـــد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحـــد، لا ترى فيهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما على ألسنتهم ونقلـــوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء على قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا"اهـــ.[٢]

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٥١) .

(١) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني، نقلاً عن دروس منهجية للشيخ العبيلان.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٩) (٣) مجموع الفتاوى (٤/١٤٠-١٤١) وانظر ٤١/٢٦).

٣- اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هي الأسلم والأعلم والأحكم، لا كما يدعيه أهل الكلام أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

يقول شيخ الإسلام في رد هذه الفرية: " لقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف"اهـ.[٣]

٤- أنهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ وأفعاله وأقواله، لذلك هم أشد الناس حباً للسنة وأحرصهم على اتباعها وأكثرهم موالاة لأهلها.

يقول شيخ الإسلام :"فإنه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقومهم قولاً وحالاً، لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداءً به أفضل الخلق"اهـ.

وبذلك يتضح أنهم أحق الناس وأولاهم بأن يكونوا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية : **يقول شيخ الإسلام** -رحمه الله-:"وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها"اهـ.

٥- وسطيتهم بين الفرق.

يقول شيخ الإسلام :" أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام بين الملل"اهـ، ثم بين هذه الوسطية في مكان آخر، فقال: "فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة و الجهمية، وفي أصحاب النبي ﷺ بين الروافض والخوارج"اهـ.[١]

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٧/٣)،(١٠٩/٣-٩٧/٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٤١/٣) وانظر العقيدة الواسطية.



الفصل الرابع

بيان معنى الحزبية وعلامات أهلها

الفصل الرابع

بيان معنى الحزبية وعلامات أهلها [1]

- تعريف الحزبية:

قال الراغب الأصبهاني:" الحزب: جماعة فيها غِلَظٌ، قال عز وجل: ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾، وحزب الشيطان وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾: عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي ﷺ، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ يعنى أنصار الله"اهـ. [2]

وفي لسان العرب لابن منظور: " وحِزْبُ الرجل: أَصْحابُه وجُنْدُه الذين على رأْيِه، والجَمْعُ كالجمع، والمُنافِقُونَ والكافِرُونَ: حِزْبُ الشَّيطانِ، وكل قوم تَشاكَلَتْ قُلُوبُهم وأَعْمالُهم فهم أَحْزابٌ وإِن لم يَلْقَ بعضُهم بَعْضاً، بمنزلة عادٍ وَثُمودَ وفِرعَوْنَ أُولئك الأَحزابُ، ﴿وكل حِزْبٍ بما لَدَيْهم فَرِحُون﴾: كلُّ طائفةٍ هَواهُم واحدٌ"اهـ. [3]

وقال الصاحب بن عباد: " والحِزْبُ: أصْحابُ الرَّجُلِ مَعَه على رَأْيِه وأمْره، والجَميعُ: الأحْزَابُ، وتَحَزَّبَ القَوْمُ: اجْتمعوا فصاروا أحْزاباً، وحَزَّبَهُم فلانٌ، وحازَبْتُه: كُنْتَ من حِزْبِه، وفلانٌ يُحَازِبُ لفلانٍ: أي يَعْصَبُ به ويَنْصُرُه"اهـ. [4]

ومما سبق من كلام أهل اللغة وغيرهم، يُعلم أن الحزب: كل جماعة مِن الناس لهم رأس أو مجموعة من القادة يوالون ويعادون على أساس الحزب ومبادئه وقادته وينتصرون لإرادته ومقدراته، فالحق عندهم ما قاله الحزب ورؤساؤه، والباطل ما قاله غيرهم ولو وافق الكتاب والسنة، كما قال المقلدة للمذاهب قديماً:" كل آية أو حديث خالف مذهبنا فهو إما منسوخ أو مؤوَّل"، وهذا هو التحزب المذموم والتعصب البغيض الذي فرق شمل الأمة، فكل حزب بما لديهم فرحون ينتصرون لحزبهم بالباطل ويردون الحق إذا جاء من غير الحزب.

---

(1) انظر كتاب: " التجلية لأمارات الحزبية" لأبى فيروز الأندونيسي، وقد جمع كثيراً من علامات الحزبية، فاختصرت بعضها، فجزاه الله خيراً.

(2) مفردات غريب القرآن (١/١١٥).

(3) لسان العرب (١/٣٠٨).

(4) المحيط فى اللغة (١/٢٠٦).

وقد قسَّم الله –جل وعلا- الناس إلى حزبين لا ثالث لهما:

الحزب الأول: حزب الله: وهم المؤمنون الذين اجتمعوا على طاعة الله–جل وعلا– والعمل بمرضاته، واتباع سنة نبيه، وساروا على هدى السلف الصالح، **قال الله تعالى**: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وهم الفرقة الناجية من الوعيد، كما في حديث الافتراق: " كلها فى النار إلا واحدة"، قيل: مَن هي؟ فقال ﷺ: "مَن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"، وفي سنن الترمذي من حديث معاوية ﵁: "هي الجماعة".

وهم المذكورون فى حديث حذيفة ﵁: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ.

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟

قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بَغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ.

قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا.

فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا.

قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي، إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ.

قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ.

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟

قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذلِكَ".(1) (2) فهؤلاء هم حزب الله وخاصته.

والحزب الثاني: هم مَن تحزبوا واجتمعوا على الباطل ومخالفة طريق حزب الله، وهم أهل الفرقة والسبل المذكورون فى قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)، وفي قوله: (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)، وفي قوله: (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ).

وهم يُنسبون إلى الشيطان لأنه هو الذي دعاهم إلى مفارقة سبيل الله وحزبه، وإلى التفرق والاختلاف كما قال سبحانه: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ).

وفي حديث ابن مسعود ﷺ قال: "خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: وهذه سُبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)".(3)

وقد حرَّم الله التفرق والتحزب فى الدين، فالمسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَن سواهم، أما الحزبيون فيجعلون الولاء للحزب وقادته، ويبغضون ويعادون مَن لا ينتمي لحزبهم، والله –جل وعلا– يقول: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ).

---

(1) قلت: سبحان الله!! هذه هي الوصية النبوية فى حالة انعدام الإمام والجماعة (اعتزل تلك الفرق كلها)، ولا تشاركها فيما تخوض فيه، فما بال الحزبيين يتركون هذه الوصية المعصومة، ويلجأون إلى قول فلان وفلان، فيقول قائلهم: قال الجويني الأشعري المعتزلي فى "غياث الأمم"، يا قوم إن الغياث والنجاة في طاعة رسول الله!!.

(2) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٧٣)، ومسلم (١٨٤٧) واللفظ له.

(3) أخرجه ابن ماجة: باب اتباع السنة (رقم ١١)، وابن حبان باب الاعتصام بالسنة، ورواه الإمام أحمد فى المسند عن ابن مسعود (رقم ٤١٤٢)، وعن جابر (١٥٢٧٧)، مع اختلاف يسير فى الألفاظ.

وقد عبَّر عن هذا الولاء الضيق والحزبية البغيضة أحد قادتهم وهو (جاسم المهلهل الإخواني الكويتي، فقال: " بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون فى صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم، ولو كان أروع الدعاة فهماً للإسلام وعقيدته وأنظمته، وأكثرهم قراءة للكتب، ومن أشد المسلمين حماسة، وأخشعهم فى الصلاة، والإخوان لا يبالون بهم – وهم بهذه المزايا– إلا أن يقبلوا التقيد بخطط الجماعة والسعي لإقامة أهدافها، وهي إقامة دولة الإسلام، وذلك فضلاً عن المنحرفين والغافلين وغيرهم"اهـ.[١]

قلت: وإن تعجب فعجب!!، فهذا كلامه والله تعالى يقول: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ).

ومِن أمارات الحزبية وعلاماتها:

١-العصبية والولاء والبراء الضيق:

وذلك كما سبق النقل عن أحد قادة الإخوان المسلمين، وهؤلاء حزبيتهم معروفة ظاهرة، وأما أهل الحزبية المتسترة فيعرفون كما **قال العلامة الوادعي**–رحمه الله–:"إن الشخص يتستر ولا يُظهر حزبيته إلا بعد أن تقوى عضلاته ويرى أن الكلام لا يؤثر فيه، وأنا أعجب كل العجب، فبعضهم يقسم بالله ما هو حزبي، فلا أدري هل يعرف معنى الحزبية، لأن الحزبية تتضمن الولاء والبراء الضيق والحزبية الضيقة، والرسول ﷺ يقول: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه"اهـ.[٢]

وقال أيضاً فى معرفة الحزبية:" يعرف بالولاء الضيق، فمن كان معهم يكرمونه، ويدعون الناس إلى محاضراته، وإلى الالتفاف حوله، ومَن لم يكن معهم فهو يعتبر عدوهم"اهـ.[٣]

---

(1) للدعاة فقط (ص١٢٢).

(2) غارة الأشرطة (٢/١٤-١٥).

(3) تحفة المجيب (ص١١٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" فمن تعصب لأهل بلدته أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم، كانت فيه شعبة من الجاهلية حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله، فإن كتابهم واحد ودينهم واحد ونبيهم واحد وربهم إله واحد لا اله الا هو، له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون"اهـ. (١)

٢- التمييع والتلون فى الأحكام الشرعية والمواقف العامة:

إن الله تعالى أمر عباده بالتمسك بالكتاب والسنة وعدم التغير أو التلون عنها ، فقال: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا)، وقال: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)، وقال: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ)، وقال: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، وقال: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا).

والاستمساك أولى من التمسك وأشد، وأما التمييع والتلون فليس من دين الله تعالى.

وعن أبي الشعثاء قال: خرجنا مع أبي مسعود الأنصاري ﵁ فقلنا له: اعهد إلينا، فقال: عليكم بتقوى الله ولزوم جماعة محمد ﷺ، فإن الله لن يجمع أمة محمد على ضلالة، وأن دين الله واحد، وإياكم والتلون فى دين الله، وعليكم بتقوى الله واصبروا حتى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر". (٢)

وقال إبراهيم النخعي: "كانوا يكرهون التلون فى الدين"اهـ. (٣)

وقال:" كانوا يرون التلون فى الدين من شك القلوب في الله"اهـ. (٤)

---

(1) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٢٢).

(2) مستدرك الحاكم (٨٥٤٥)، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(3) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٨٤).

(4) السابق (٢/٨٥).

وإن من التلون الواضح في الحزبيين ما يجري اليوم في الأمة الإسلامية من الأحداث خصوصاً في مصر، ومن ذلك:

أ- **أسامة القوصي:**

١- تقسيمه السلفية إلى قسمين: سلفية وسائل وسلفية مقاصد.

٢- قوله: " السياسة علم دنيوي ليس للدين فيها دخل والسياسة للناس"اهـ.

٣- قوله: "أرجو أن الروح الطيبة التي كانت في ميدان التحرير تستمر، ما كان أحد من الناس يقول أنا مسلم أو أنا مسيحي، وإنما كان الجميع يقولون ارفع رأسك فإنك مصري، وأرجو أن تبقى هذه الروح كما كان إخواننا المسيحيون يحرسون المسلمين وهم يصلون وكان المسلمون يحرسون المسيحين وهم يصلون، والكل في لُحمة، أنا أسميها اللحمة الوطنية، هذه اللحمة لابد أن تستمر، ونحن شعب واحد، والسفينة واحدة ونحن ركابها...!!!"اهـ.

٤- يقول في خطبة الجمعة بمسجد (الهدي المحمدي) في أثناء المظاهرات: "كما بدأت هذه الفتنة من الفيس بوك، إن شاء الله، إن شاء الله، الانترنت رجع من الأمس، إن شاء الله شباب أيضاً صادقون طيبون ليس مغرراً بهم إن شاء الله سيضعون هذه المادة بإذن الله على الفيس بوك أو على الانترنت، وتنتشر حتى تكون سبباً في خمد هذه الفتنة، لابد من مجلس، أين عقلاء بلدنا؟ أن حكماء بلدنا؟ على الرئيس مبارك –حفظه الله ورعاه-، رمز، لا أنسى اليوم الذي وقف فيه الرئيس السادات على منصة مجلس الشعب، ووقف الطيار، فريق طيار (محمد حسني السيد مبارك) تحت، والرئيس السادات قال: حسني مبارك بيحترموه جداً في إسرائيل، ... هذا الشباب تم استغلاله ...، لماذا أنا جئت اليوم وهذه ليست عادتي، غداً يسموها جمعة الرحيل، لماذا؟ لأن هذه المسيرات الشبابية تنوي أن تتحرك لقصر العروبة، عندما تصل إلى قصر العروبة وتحاصره، وتبقى محاصرة له تمنع هذا الحاكم من التحرك، وتمنعه من الخروج وتحاصره، هل هذه صارت مظاهرة سلمية؟ هذه ليست، أين السلمية؟، السلمية أن أعبر عن رأي وأسكت وأدع الشعب هو الذى يختار"اهـ.

ثم هو يقول بعد سقوط النظام وتنحي الرئيس: " إن الخروج على الحكام لا يكون إلا بالسلاح، وإن المظاهرات السلمية لا تعد خروجاً عن الحكام، وإنما هي من التعبير عن الرأى، و... والحاكم الذي يطلق الرصاص الحي على صدور شعبه الأعزل هو الخارج على الجماعة المفارق للجماعة، فالعبرة عندى بالجماعة يعني إذا كان الحاكم يمثل الجماعة يعنى إرادة شعبه

فهذا هو الذى يحرم الخروج عليه، الحاكم الذى لا يمثل إرداة شعبه ليس حاكماً شرعياً، يعنى سلطة الحاكم عندنا فى الإسلام من سلطة شعبه"اهـ، ثم هو يبين لنا أن هذا هو منهجه الجديد فيقول: "أنا أعتبر الحاكم هو الخارج على الجماعة فى هذه الصورة، هذا فقه لى أنا جديد، كثير من إخوانى لا يوافقوننى عليه"اهـ.

٥- قوله: "دولة النبى كانت دولة مدنية وليست دولة دينية"اهـ. وسيأتى باقى كلامه عن الدولة المدنية، والرد عليه.

٦- قوله: "علوم الدنيا لا تخضع إلى مسائل الدين بل هي علوم يحق للناس فيها الاجتهاد"اهـ.[1]

ب- مصطفى العدوى:

١- ينصح بعدم المشاركة فى الاضرابات والمظاهرات قبل حدوثها، يقول:" أذكِّر فى هذا المقام بأن بعض الدول المسلمة (تونس ومصر) يعزم القوم فيها على إحداث إضرابات، فأقول وبالله تعالى التوفيق: أنصح ألا يشارك المسلمون فى هذه الإضرابات أولاً لأنها لم ترد عن رسولنا ﷺ، ولا عن أصحاب نبينا محمد ﷺ، ثانياً: أن فيها من المفاسد شئ كثير جداً، ثالثاً: أن منظموا هذه الإضرابات لا تعلم هويتهم ولا ينبغي أن يستقى الأمر أوالنهي إلا من ولاة الأمر، وأيضاً من أهل العمل الراسخين، الذين يعلمون المفاسد والمصالح،فلا أنصح أبداً بالمشاركة فى الاضرابات ولقد ورد عن النبى علاج وعلاجات طيبة للأزمات التى بأمة محمد ولكن لضيق الوقت لا يتسع الوقت إلا للتحذير من المشاركة فى الإضرابات وفى المظاهرات التى لا تصلح بل هي إلى الفساد وإلى الشر أقرب، فضلاً عن كونها شئ دخيل على أمة محمد ولم تصنع فى القرون المفضلة، وإذا نزلت بالمسلمين نازلة فعندنا من كتاب الله أمور، عندنا على سبيل المثال لغلاء الأسعار المتفشي قول الله عز وجل :(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ....، فثم أمور وعلاجات شرعية موجود فى الكتاب والسنة للأزمات التى تمر بأمة محمد، اما مشاركة المسلم العاقل الرزين فى شئ ينظمه أقوام لاخلاق لهم !!، ولا تعرف لهم هوية !!،

(1) لقاء تليفزيوني بقناة (O. tv) التى يمتلكها نجيب سويرس النصراني -عليه لعنة الله- وقد أتى فيه القوصي بالعجائب والغرائب من الأقوال والمعتقدات، ذكرنا كثيراً منها فى هذا الكتاب.

وليس منشؤهم بديني !! ،فلا أنصح أبداً بالمشاركة فى الإضرابات ولا بالمشاركة فى المظاهرات، لما تحمله هذه الإضرابات من شرور عظيمة، والمظاهرات من مفاسد عظيمة، ولاختلاط الحابل فيها بالنابل، ولم نجد الناس أيضاً أقاموا مظاهرة لإقامة دينهم!! ولكن أقاموا مظاهرات للقمة عيش، فهناك علاج للقمة العيش من كتاب الله وسنة رسوله، فلا أنصح ثم لا أنصح ثم لا أنصح فى المشاركة فى الإضرابات ولا فى المظاهرات ولا تسلم زمامك لأحد ومالك إلا رأس مال إلا نفس واحدة فأنفقها فيما يرضى الله واعلم من يقودك بارك الله فيك"اهـ.

٢- ثم سئل بعد سقوط النظام : هل المظاهرات تُعَدُّ خروجاً على الحاكم، فقال:" هى لا تعد خروجاً على الحاكم لأمرين: الأول: لأنهم لم يخرجوا شاهرين السيوف وإنما تكلموا بما يرونه تغييراً للمنكر، ثانياً: أن الحاكم نفسه أذن لهم فى ذلك، فلا تعد خروجاً على الحاكم لهذين السببين"اهـ. وقد ذكر نفس الكلام فى درس على قناة (الحافظ) الصوفية.

وهذا التلون والتمييع ليس غريباً على هؤلاء الحزبيين، فإن الفتن تظهر العقائد التى كانت مختفية فى الصدور، من تأمل حال القطبيين الحزبيين فى هذه الأيام يرى العجب العجاب، فاللهم احفظ علينا ديننا.

٣-التناقض والتعارض الواضح فى الأحكام والمواقف مما يدل على بطلان مذاهبهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، وهذا يدل على أن ما كان من عنده سبحانه لا يختلف، وأن ما اختلف وتناقض فليس من حكمه ولا شرعه سبحانه، إنما هو من الأهواء والضلالات.

قال شيخ الإسلام:" فكل مَن أعرض عن الطريقة السلفية الشرعية الإلهية، فإنه لابد أن يضل ويتناقض ويبقى فى الجهل المركب أو البسيط"اهـ.[1]

وقال أيضاً:"فإن التناقض أول مقامات الفساد"اهـ.[2]

(1) درء التعارض (٣/٨٠).

(2) مجموع الفتاوى (٦/٣٨٩).

ومِن تناقض الحزبيين ما يجري اليوم على الساحة مِن الفتاوى الفاسدة، فيحرمون الشئ اليوم، ثم يحلونه غداً بأوهى الحجج وأضعف الأدلة، **فمن مواقفهم فى هذه الفتن:**

١) موقف محمد حسان من تحريم المظاهرات، ثم تحليله لها بعد الثورة، وقوله بأن الخروج لا يكون إلا بالسيف.

قبل الثورة:

قال محمد حسان: وأنا أدين الله أن المظاهرات لم ولن تكون على الإطلاق منهجاً من مناهج التغيير، فاكرين القصة اللى بقولها دايما قلتها فى خطبة العيد بتاعة جحا، فاكرينها ولا متعرفوش جحا، راجل صانع ساقية على النهر، وعمال شغال ٢٤ ساعة تاخد المية من النهر وترجعها للنهر، فالناس قالوله ياجحا إنت بتعمل إيه يا راجل مش تخليك عاقل، بتعمل ايه يا عم ساقية على النهر تاخد ميه من النهر وترد نفس المية لنفس النهر، وشغاله كده، ايه اللى حصل، قال: يكفينى نعيرها، أهى الأمة عمالة تنعر وخلاص، مش كده الواقع، ومَنْشِتَّات وبتاع و ..، يعنى حاجة يعنى بكل أسف متغيرش حاجة، وممكن الناس تفضل ماشية فى المظاهرة يدى خمس ساعات أقسم بالله ومتصليش الظهر، طب ما إيه اللى عليك، الراجل عاوز ربنا يغير وهو ما أداش فرض"اهـ.

وقال فى ندوته التى حاضرها بمحافظة سوهاج:" مهما نكتب منشتات فى الجرايد وفي الصحف، ومهما نطلع فى مظاهرات، ونحرق الأعلام والماكتات، لن نغير الواقع بهذا، شأننا كشأن جحا، جحا الذى صنع ساقية على النهر، لتأخذ الماء من النهر، وترد نفس الماء لنفس النهر، فتعجب العقلاء، وقالوا عجباً لك يا رجل، ماذا تصنع يا جحا؟ تصنع ساقية على النهر لأخذ الماء من النهر ولترد نفس الماء إلى نفس النهر، فقال جحا: يكفيني صراخها، فلتصرخ الأمة، ولتهتف الأمة بحناجر ملتهبة، ولتكتب المانشتات، لن نقنع العالم إلا بعمل، إلا بواقع، إلا بخلق، إلا بسلوك، إلا بابداع وانتاج وتفوق على أنفسنا"اهـ.

وقال فى خطبة له على قناته الفضائية (نسائم الرحمة) بعنوان (أسطول الحرية):

" عاوزين عمل، قلتلكم قبل كده جحا عمل ساقية على النهر، آآآآه، وفضلت الساقية تاخد المية من النهر، وترجع المية تانى فى النهر، وجحا قاعد مبسوط، فناس عقلاء زى حلاتى كده بيدعو العقلنة قالوله يا جحا مش تخليك رجل عاقل يا راجل انت بتعمل إيه؟ تصنع ساقية على النهر لتأخذ الماء من النهر ولترد نفس الماء لنفس النهر، فقال جحا: يكفيني نعيرها، أهى بتنعر

وخلاص، أديني مطمئن بالصراخ، إنما مبتعملش حاجة، المية بتجيبها من النهر وتردهـا تـانى لنفس النهر، فهنفضل نصرخ وهتف ونكسر، طيب متكسر يا حبيبي، والله ما أنت مغير حاجة، احفظوا مني هذه العبارة يا أمتى الحبيبة، والله تحفظوها، أقول: (لا يجوز أن ننحرف عن الإسلام وسيلة ونحن نتجه إلى الإسلام غاية)، لا هقولها كمان مرتين، (لا يجوز أن ننحرف عن الإسلام وسيلة ونحن نتجه إلى الإسلام غاية)، يعني إيه يا مولانا؟ يعني الغاية لا تبرر الوسيلة، مش كـل اللى فى دماغه حاجة يعملها، إنما اعرض اللى فى دماغك ده على الشرع، علـى كتـاب الله وعلى سنة رسول الله، هل قولك يوافق الحق بدليله من القرآن والسنة، أم أنك ستضر وأنت تريد النفع، أم أنك ستفسد وأنت تريد الإصلاح، يبقى لابد أن تكون أقوالنا وأفعالنا وحماسنا وحركاتنا وسكناتنا منضبطة بضوابط القرآن والسنة، إذ لا يجوز أن ننحرف عـن الإسـلام وسيلة ونحن نتجه إلى الإسلام غاية، فالإسلام لا ينصر إلا بالوسائل المشروعة التى شرعها ربنا وشرعها نبينا ﷺ"اهـ.

وقال قديماً فى قناة (الناس) الفضائية فى إحدى حلقات (أحداث النهاية) وهو يتكلم عن المظاهرات التى قامت بعد حادث سب النبي ﷺ: " ممكـن الظهـر يـأذن والمظاهرة شغالة، وأفراد المظاهرة منهم من لا يصلى الظهر، منهم من ترفع العلم وهى تحاد الله ورسوله بعريها بتبرجها"اهـ.

٢) موقفه فى الكلام على ليبيا، فيمدح القذافي وابنته عائشة قبل عام ونصف تقريباً، ثم يشهِّر بالقذافي اليوم ويطالبه بالرحيل، ويدعو عليه بالهلاك.

قبل الثورة:

قال محمد حسان أثناء زيارته إلى ليبيا لحضور مسابقة (واعتصموا) النسائية العالمية الرابعة لحفظ القرآن الكريم: " واسمحوا لى أن أخص بالتحية الأخـت الكريمـة الفاضلة الدكتورة عائشة وأسأل الله –عز وجل– لها ولأخواتها وإخوانها فى جمعية "واعتصموا" مزيداً من التوفيق والسداد، وأسأل الله عز وجل ببركة [1] هذه المسابقة أن يحفظ (ليبيا) كلها، .... ، وما رأيته فى (ليبيا) أنا فوجئت به على المستوى الشخصي ، رأيت خيراً ما كنت أتصور

(1) وهذا التوسل توسل بدعي صوفي من وسائل الشرك وليس من هدي السلف الصالح.

أن يوجد بهذا الصفاء وبهذا النقاء، نعم أقولها لله: لقد سمعت فى (ليبيا) قرآناً عجباً، ورأيت من الجهود التى تخدم كتاب الله العجب العجاب، نعم، ما رأيته حين رأيت صبيان فى ريعان الصبى، ورأيت فتيات فى عمر الورد والزهور جعلنى أقول:

صبح تنفس بالضياء وأشرق ... والصحوة الكبرى تهز البريقا
وشبيبة الإسلام هذا فيلقٌ ... فى ساحة الأمجاد يتبع فيلقاً
وقوافل الإيمان تتخذ المدى ... دربا وتصنع للمحيط الزورقا
وما أمْر هذى الصحوة الكبرى ... سوى وعد من الله الجليل تحققا
هى نخلة طاب الثرى فنما ... لها جزع قوى فى التراب وأعزقا
هى فى رياض قلوبنا زيتونة ... فى جزعها غصن الكرامة أورقا
فجر تدفق مَنْ سيحبس نوره ... أرنى يداً سدت علينا المشرقا
يا نهر صحوتنا رأيتك صافيا ... وعلى الضفاف رأيت أزهار التقى
ياجيل صحوتنا إنى اعيذك أن أرى ... فى الصف من بعد الإخاء تمزقا
لك فى كتاب الله فجر صادق ... فاتْبَع هداه ودعك من فرقا
لك فى رسولك قدوة فهو الذى ... بالصدق والخلق الرفيع تخلقا
يا جيل صحوتنا ستبقى شامخا ... ولسوف تبقى باتباعك أسمقا

.... شكر الله لأختنا الفاضلة دكتورة عائشة القذافى، وشكر الله لأخواتنا الفضليات الطاهرات القائمات على هذه المسابقة العالمية المباركة، وأقول: أسأل الله –جل وعلا– أن يجعل هذا البلد المضياف الكريم، الذى رأيت فيه من الحب فى العيون قبل أن أسمع الحب فى الكلمات وفى حسن الضيافة وعظيم الاستقبال، أسأل الله –جل وعلا– أن يجعل هذا البلد الكريم المضياف أمناً أماناً سخاء رخاء، وجميع بلاد المسلمين، وأسأل الله أن يوفق ولاة أموره لكل ما يحبه ويرضاه، إنه ولي ذلك ومولاه"اهـ.

<u>بعد الثورة:</u>

ثم قال بعد ثورة (ليبيا) فى قناته الفضائية (الرحمة) مخاطباً القذافي: " أقول له تنحى حقناً للدماء، أنت أوشكت أن تلقى الله –جل وعلا–، فلا تلقى الله ويدك ملطخة بمزيد من دماء أولادك وأبنائك وإخوانك، ألم تقل مراراً وتكراراً بأن السلطة للشعب الليبى، هاهو الشعب الليبى قد خرج بعشرات بل مئات الآلاف فى كل المدن تقريباً يطالبك بالتنحي

ويطالبك بالرحيل، لماذا لا تستجب لسلطة الشعب؟، هذه اللجان الشعبية الحقيقية تخرج لتطالبك بالرحيل، لماذا هذا الكبر وهذا العناد؟، لماذا هذه العبودية للكراسى الزائلة والمناصب الفانية؟ .... أسأل الله –جل وعلا– باسمه الاعظم الذى إن سئل به أعطي وإن دعي به أجاب أن يحقن دماء أولادنا وأهلنا فى (ليبيا) وأن ينصرهم وأن يثبتهم، وأن يمدهم بمدد من عنده، وأن يقهر الظلم وأهله فى (ليبيا) وفى كل مكان على وجه الأرض، آن الأوان ليتنسم أهل الأرض من الشعوب المعذبة المقهورة نسيم الحرية، نسيم الكرامة، نسيم العزة، نسيم الإباء، يُتَّهَمُ كل من ينادى بهذا طيلة السنوات الماضية بأنه سفيه وبأنه يعمل لأجندة خاصة، وبأنه عميل وبأنه خائن وبأنه مثير للفتنة، إلى غير ذلك، ونسي هؤلاء الذين يثيرون مثل هذا الكلام قول النبى عليه الصلاة والسلام :" إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك الله أن يعمهم الله بعقاب من عنده"، كفانا تخذيلاً وخذلاناً، كفانا تخذيلاً وخذلاناً، كفانا تخذيلاً وخذلاناً، فلنقل قولة الحق التى ترضي الله –جل وعلا– ونحن على يقين مطلق أن الأعمار بيد الله، وأن الأرزاق بيد الله، وأن الضر والنفع بيد الله، فلتقلها إرضاء لله–سبحانه وتعالى– بلا إتيكيت فكرى بلا دبلوماسية حوار بلا لف و دوران، بلا خداع أو ضلال أو تضليل، سئمنا اللف والدوران، وسئمنا الخداع، وسئمنا العمل للحسابات الشخصية، وسئمنا العمل للمجد وللزعامة الفردية، كفانا تأليها للبشر"اهـ.

٣) موقفه من الأزهر ومداهنته لشيوخه ومدحه للصوفية، بل وذهابه في وفد التقى فيه بالصوفي القبوري الهالك أحمد الطيب (الخبيث) حيث وصفه حسان بأنه شيخ الإسلام وإمام المسلمين، وأذعن له بالولاء، مع أن هذا القبوري لا يرى فرقاً بين مسلم ومسيحي، ويرى أنه يجواز انتقال المسلم من الإسلام إلى النصرانية، وينكر حكم الردة عن الإسلام، ولما أسلمت فتاتان فى محافظة المنيا قرر إرسال مجموعة من شيوخ من الأزهر للتأكد من قناعتهما الدينية ولإطلاعهما على أنه لا يجوز إشهار الإسلام قبل سن البلوغ، وأهن فى حكم القاصرات، وأن الولاية تكون لذويهن، ويرى جواز التوسل بالأموات والصالحين وبناء الأضرحة لهم والطاف بقبورهم، والنذر لهم، والذبح عندهم، بل هو بنفسه شيخ طريقة صوفية بالأقصر، ويرى أن القرآن ليس بكلام الله على الحقيقة، وأن الرب عز وجل لا يتكلم بصوت، وينكر أن يكون لله عزوجل يد أو وجه، ويرى أنه يجب أولاً عرض نصوص الكتاب والسنة على العقل قبل

الإيمان بها، وأنه ليس من الإسلام أن نؤمن أولاً ثم نفكر، بل يجب أن تُعرض النصوص على العقل، فما وافقه قبلناه وما لم يوافقه رددناه، ويرى أن المذهب الشيعى مذهب كغيره من مذاهب المسلمين، يجوز التعبد به، ويصرح بأنه كان يفتى به فى دار الافتاء عند الحاجة، وأنه يجوز انتقال السني إلى مذهب الشيعة، ويقر قيام الدولة المدنية التى لا تقوم على أساس ديني، ويرى أنه يجوز للمرأة أن تتولي رئاسة الدولة، وأنه يجوز سماع الغناء، ويفتخر بأن كثيراً من النساء قد خلعت النقاب على يديه.[1]

٤) دفاع محمد حسان عن جماعة الإخوان والتبليغ، ثم دعوته إلى إسقاط الجماعات كما يزعم واستبدالهم بجماعة المسلمين، وإلغاء الأسماء: سلفي – إخوان– تبليغ – صوفية، ثم تأييده لحزب الفضيلة السلفي، ثم سحب تأييده منه، وتأييد حزب الأصالة السلفي... إلخ.

٥) تناقض فتواه فى تحطيم الآثار الفرعونية، وقوله أولاً بطمسها إذا كانت على صورة الأشخاص، ثم فى قناة المحور الفضائية يقول بأنه لم يفت أبداً بتحطيم الآثار، وأنها ثروة حضارية وإرث للبشرية جميعاً، ويقول: "ما كنا يوماً من دعاة تحطيم الآثار".

٦) تحريم الحزبيين لبناء الكنائس وتكفير من بناها أو حرسها طوعاً، ثم هم اليوم يوجبون بناء كنيسة أطفيح بحلوان [2]، **وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية**–رحمه الله– : (ما يقول السادة العلماء أئمة الدين وهداة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على إظهار الحق المبين ، وإخماد الكفار والمنافقين في الكنائس التي بالقاهرة وغيرها ، التي أغلقت بأمر ولاة الأمور إذا ادعى أهل الذمة أنها أغلقت ظلماً وأنهم يستحقون فتحها وطلبوا ذلك من ولي الأمر أيده الله تعالى ونصره ، فهل تقبل دعواهم ؟ وهل تجب إجابتهم أم لا ؟ وإذا قالوا : إن هذه الكنائس كانت قديمة من زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وغيره من خلفاء

(1) من مقال على شبكة العلوم السلفية، بعنوان : "خلاصة بعض أفكار شيخ الأزهر الجديد" نشر بتاريخ ٢٠١١/٥/٥، وهذا الكلام كله موجود بالصوت والصورة للمذكور.

(2) راجع كلام ياسر برهامى "شرح منة الرحمن" (ص٢٠٨) وما بعدها في تكفير من بنى الكنائس أو حرسها طوعاً.

المسلمين ، وأن إغلاقها مخالف لحكم الخلفاء الراشدين ، فهل هذا القول مقبـــول منـــهم أم مردود ؟ .

وإذا ذهب أهل الذمة إلى من يقدم من بلاد العرب من رسول أو غيره فسألوه أن يـــسأل ولي الأمر في فتحها أو كاتبوا ملوك الحرب ليطلبوا ذلك من ولي أمر المسلمين ، فهل لأهل الذمة ذلك ، وهل ينتقض عهدهم بهذا أم لا ؟ وإذا قال قائل : إنهم إن لم يجابوا إلى ذلـــك حـــصل للمسلمين ضرر إما بالعدوان على من عندهم من الأسرى والمساجد ، وإما بقطع متـــاجرهم عن ديار الإسلام ، وإما بترك معاونتهم لولي أمر المسلمين على ما يعتمده من مصالح المسلمين ونحو ذلك .

فهل هذا القول صواب أو خطأ ؟ بينوا ذلك مبسوطاً مشروحاً .

وإذا كان في فتحها تغيير قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وتغيير قلـــوب أهـــل الصلاح والدين وعموم الجند والمسلمين على ولاة الأمور لأجل إظهار شعائر الكفر وظهـــور عزهم وفرحهم وسرورهم بما يظهرونه وقت فتح الكنائس من الشموع والجموع والأفـــراح وغير ذلك.

وهذا فيه تغير قلوب المسلمين من الصالحين وغيرهم ، حتى إنهم يدعون الله تعالى علـــى مـــن تسبب في ذلك وأعان عليه (١)، فهل لأحد أن يشير على ولي الأمر بذلك ؟ ومن أشار عليـــه بذلك هل يكون ناصحاً لولي أمر المسلمين أم غاشاً ؟ وأي الطرق هو الأفضل لولي الأمر أيده الله تعالى ولأوليائه : قمع أعدائه وإذلالهم أو مطاوعتهم ؟ .

بينوا لنا ذلك وابسطوه بسطاً شافياً مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى ، وحـــسبنا الله ونعـــم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عن الصحابة المكرمين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية بما نصه :

"الحمد لله رب العالمين، أما دعواهم : أن المسلمين ظلموهم في إغلاقها ، فهذا كذب مخـــالف لإجماع المسلمين، فإن علماء المسلمين من أهل المذاهب الأربعة : مذهب أبي حنيفـــة ومالـــك

---

(1) هذا حال الصالحين فى وقت عز الإسلام والمسلمين، أما حال من يُنسب إلى الصلاح اليوم، فإنهم يؤيدون ويوجبون بناء الأماكن التى تُظهر شعائر الكفر، وتسب رب العالمين جل وعلا، فهل يصح أن يُنسب هؤلاء إلى الصلاح أوالديانة؟!!.

والشافعي وأحمد وغيرهم من الأئمة كسفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم ومن قبلهم من الصحابة والتابعين – متفقون على أن الإمام لو هدم كل كنيسة بأرض العنوة [1] كأرض مصر والسواد بالعراق وبر الشام ونحو ذلك ، مجتهداً في ذلك ومتبعاً في ذلك لمن يرى ذلك ، لم يكن ذلك ظلماً منه بل تجب طاعته في ذلك ومساعدته فى ذلك ممن يرى ذلك ، وإن امتنعوا عن حكم المسلمين لهم كانوا ناقضين العهد وحلت بذلك دماؤهم وأموالهم .

وأما قولهم : إن هذه الكنائس قائمة من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإن الخلفاء الراشدين أقروهم عليها فهذا أيضاً من الكذب ، فإن من المعلوم المتواتر أن القاهرة بنيت بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأكثر من ثلاثمائة سنة ؛ بنيت بعد بغداد وبعد البصرة والكوفة وواسط ، وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيه كنيسة ، مثل ما فتحه المسلمون صلحاً وأبقوا لهم كنائسهم القديمة بعد أن شرط عليهم فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يحدثوا كنيسة في أرض الصلح، فكيف في مدائن المسلمين ؟!

بل إذا كان لهم كنيسة بأرض العنوة كالعراق ومصر ونحو ذلك ، فبنى المسلمون مدينة عليها ، فإن لهم أخذ تلك الكنيسة لئلا تُترك في مدائن المسلمين كنيسة بعد عهد ، فإن في سنن أبي داود بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تصلح قبلتان بأرض ولا جزية على مسلم » .

والمدينة التي يسكنها المسلمون والقرية التي يسكنها المسلمون وفيها مساجد المسلمين لا يجوز أن يظهر فيها شيء من شعائر الكفر لا كنائس ولا غيرها إلا أن يكون لهم عهد فيوفى لهم بعهدهم .

فلو كان بأرض القاهرة ونحوها كنيسة قبل بنائها لكان للمسلمين أخذها ؛ لأن الأرض عنوة ، فكيف وهذه الكنائس محدثة أحدثها النصارى ؟ !

فإن القاهرة بقي ولاة أمورها نحو مائتي سنة على غير شريعة الإسلام وكانوا يظهرون أنهم رافضة ..."اهـ. إلى أن قال: " وقد عرف العارفون بالإسلام أن الرافضة تميل مع أعداء

(1) هي البلاد التى فتحها المسلمون بالسيف، بعد أن عرضوا على أهلها الإسلام فأبوا فاستعانوا بالله وقاتلوهم.

الدين ، ولما كانوا ملوك القاهرة كان وزيرهم مرة يهودياً ومرة نصرانياً أرمينياً، وقويت النصارى بسبب ذلك النصراني الأرميني وبنوا كنائس كثيرة بأرض مصر في دولة أولئك الرافضة والمنافقين ، وكانوا ينادون بين القصرين : من لعن وسب فله دينار وإردب .

و في أيامهم أخذت النصارى ساحل الشام من المسلمين حتى فتحه نور الدين وصلاح الدين ، وفي أيامهم جاءت الفرنج إلى بلبيس وغلبوا من الفرنج ، فإنهم منافقون وأعانهم النصارى ، والله لا ينصر المنافقين الذين هم يوالون النصارى ، فبعثوا إلى نور الدين يطلبون النجدة فأمدهم بأسد الدين وابن أخيه صلاح الدين ، فلما جاءت الغزاة إلى ديار مصر قامت الرافضة مع النصارى فطلبوا قتال الغزاة المجاهدين المسلمين ، وجرت فصول يعرفها الناس حتى قتل صلاح الدين مقدمهم (شاور) .

ومن حينئذ ظهرت بهذه البلاد كلمة الإسلام والسنة والجماعة ، وصار يقرأ فيها أحاديث رسول الله ﷺ كالبخاري ومسلم ونحو ذلك ، ويذكر فيها مذاهب الأئمة، ويرتضى فيها عن الخلفاء الراشدين، وإلا كانوا قبل ذلك من شر الخلق ، فيهم قوم يعبدون الكواكب ويرصدونها ، وفيهم قوم زنادقة دهرية لا يؤمنون بالآخرة ولا جنة ولا نار ولا يعتقدون وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وخير من كان فيها الرافضة ، والرافضة شر الطوائف المنتسبين إلى القبلة .

فلهذا السبب وأمثاله كان إحداث الكنائس في القاهرة وغيرها ، وقد كان في بر مصر كنائس قديمة لكن تلك الكنائس أقرهم المسلمون عليها حين فتحوا البلاد ؛ لأن الفلاحين كانوا كلهم نصارى ولم يكونوا مسلمين ، وإنما كان المسلمون الجند خاصة وأقروهم كما أقر النبي ﷺ اليهود على خيبر لما فتحها ؛ لأن اليهود كانوا فلاحين وكان المسلمون مشتغلين بالجهاد .

ثم إنه بعد هذا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود أجلاهم أمير المؤمنين عن خيبر كما أمر بذلك النبي ﷺ حيث قال : « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب » حتى لم يبق في خيبر يهودي ، وهكذا القرية التي يكون أهلها نصارى وليس عندهم مسلمون ولا مسجد للمسلمين ، فإذا أقرهم المسلمون على كنائسهم التي فيها جاز ذلك كما فعله المسلمون .

وأما إذا سكنها المسلمون وبنوا بها مساجدهم فقد قال النبي ﷺ: « لا تصلح قبلتان بأرض » ، وفي أثر آخر : « لا يجتمع بيت رحمة وبيت عذاب » .

والمسلمون قد كثروا بالديار المصرية وعمرت في هذه الأوقات حتى صار أهلها بقدر ما كانوا في زمان صلاح الدين مرات متعددة ، وصلاح الدين وأهل بيته ما كانوا يوالون النصارى ولم يكونوا يستعملون منهم أحداً في أمر من أمور المسلمين أصلاً ، ولهذا كانوا مؤيدين منصورين على الأعداء مع قلة المال والعدد، وإنما قويت شوكة النصارى والتتار بعد موت العادل أخي صلاح الدين ، حتى إن بعض الملوك أعطاهم بعض مدائن المسلمين ، وحدث حوادث بسبب التفريط فيما أمر الله به ورسوله ﷺ ، فإن الله تعالى يقول : { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }{ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } فكان ولاة الأمور الذين يهدمون كنائسهم ويقيمون أمر الله فيهم كعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد ونحوهما مؤيدين منصورين ، وكان الذين هم بخلاف ذلك مغلوبين مقهورين.

وإنما كثرت الفتن بين المسلمين وتفرقوا على ملوكهم من حين دخل النصارى مع ولاة الأمور بالديار المصرية في دولة المعز ووزارة الفائز وتفرق البحرية وغير ذلك ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم : { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ }{ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ }{ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } .

وقال تعالى في كتابه : { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » وكل من عرف سير الناس وملوكهم رأى كل من كان أنصر لدين الإسلام وأعظم جهاداً لأعدائه وأقوم بطاعة الله ورسوله أعظم نصرة وطاعة وحرمة من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى هذا الزمان ، وقد أخذ المسلمون منهم كنائس كثيرة من أرض العنوة بعد أن أُقِرُّوا عليها في خلافة عمر بن عبد العزيز وغيره من الخلفاء ، وليس في المسلمين من أنكر ذلك ، فعلم أن هدم كنائس العنوة جائز إذا لم يكن فيه

ضرر على المسلمين ، فإعراض من أعرض عنهم كان لقلة المسلمين ونحو ذلك من الأسباب ، كما أعرض النبي ﷺ عن إجلاء اليهود حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وليس لأحد من أهل الذمة أن يكاتبوا أهل دينهم من أهل الحرب ولا يخبروهم بشيء من أخبار المسلمين ، ولا يطلب من رسولهم أن يكلف ولي أمر المسلمين ما فيه ضرر على المسلمين ، ومن فعل ذلك منهم وجبت عقوبته باتفاق المسلمين وفي أحد القولين يكون قد نقض عهده وحل دمه وماله .

ومن قال : إن المسلمين يحصل لهم ضرر إن لم يجابوا إلى ذلك ، لم يكن عارفاً بحقيقة الحال، فإن المسلمين قد فتحوا ساحل الشام وكان ذلك أعظم المصائب عليهم، وقد ألزموهم بلبس الغيار، وكان ذلك أعظم المصائب عليهم،بل التتار فى بلادهم خربوا جميع كنائسهم، وكان نوروز – رحمه الله تعالى – قد ألزمهم بلبس الغيار، وضرب الجزية والصغار، فكان ذلك من أعظم المصائب عليهم ، ومع هذا لم يدخل على المسلمين بذلك إلا كل خير ، فإن المسلمين مستغنون عنهم وهم إلى ما في بلاد المسلمين أحوج من المسلمين إلى ما في بلادهم بل مصلحة دينهم ودنياهم لا تقوم إلا بما فى بلاد المسلمين، والمسلمون ولله الحمد والمنة أغنياء عنهم فى دينهم ودنياهم.

فأما نصارى الأندلس فهم لا يتركون المسلمين في بلادهم لحاجتهم إليهم وإنما يتركونهم خوفاً من التتار ، فإن المسلمين عند التتار أعز من النصارى وأكرم ، ولو قدر أنهم قادرون على من عندهم من المسلمين فالمسلمون أقدر على من عندهم من النصارى ، والنصارى الذين في ذمة المسلمين فيهم من البطارقة وغيرهم من علماء النصارى ورهبانهم ممن يحتاج إليهم أولئك النصارى، وليس عند النصارى مسلم يحتاج إليه المسلمون ، ولله الحمد ، مع أن فكاك الأسرى من أعظم الواجبات وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات ، وكل مسلم يعلم أنهم لا يتجرون إلى بلاد المسلمين إلا لأغراضهم لا لنفع المسلمين ، ولو منعهم ملوكهم من ذلك لكان حرصهم على المال يمنعهم من الطاعة ، فإنهم أرغب الناس في المال ولهذا يتقامرون في الكنائس وهم طوائف مختلفون ، وكل طائفة تضاد الأخرى ، ولا يشير على ولي أمر المسلمين بما فيه إظهار شعائرهم في بلاد الإسلام أو تقوية أمرهم بوجه من الوجوه إلا رجل منافق يظهر الإسلام وهو منهم في الباطن ، أو رجل له غرض فاسد مثل أن

يكونوا برطلوه ودخلوا عليه برغبة أو رهبة أو رجل جاهل في غاية الجهل لا يعرف السياسة الشرعية الإلهية التي تنصر سلطان المسلمين على أعدائه وأعداء الدين [1] ؛ وإلا فمن كان عارفاً ناصحاً له أشار عليه بما يوجب نصره وثباته وتأييده واجتماع قلوب المسلمين عليه ومحبتهم له، ودعاء الناس له في مشارق الأرض ومغاربها ، وهذا كله إنما يكون بإعزاز دين الله وإظهار كلمة الله وإذلال أعداء الله تعالى .

وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل ، كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا من ذلك بما قاموا به. وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذله الله تعالى وكبته ، وليس المسلمون محتاجين إليهم ولله الحمد ، فقد كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إن بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خراج الشام إلا به ، فكتب إليه : لا تستعمله ، فكتب : إنه لا غنى بنا عنه ، فكتب إليه عمر: لا تستعمله ، فكتب إليه : إذا لم نوله ضاع المال ، فكتب إليه عمر رضي الله عنه : مات النصراني ، والسلام .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن مشركاً لحقه ليقاتل معه فقال له : « إني لا أستعين بمشرك » ، وكما أن استخدام الجند المجاهدين إنما يصلح إذا كانوا مسلمين مؤمنين ، فكذلك الذين يعاونون الجند فى أموالهم وأعمالهم، إنما تصلح بهم أحوالهم إذا كانوا مسلمين مؤمنين، وفي المسلمين كفاية في جميع مصالحهم ولله الحمد .

ودخل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعرض عليه حساب العراق فأعجبه ذلك فقال : ادع كاتبك يقرؤه علي ، فقال : إنه لا يدخل المسجد ، قال : ولم ، قال : لأنه نصراني ، فضربه عمر رضي الله عنه بالدرة ، فلو أصابته لأوجعته ثم قال: لا تعزوهم بعد أن أذلهم الله ، ولا تأمنوهم بعد أن خونهم الله ، ولا تصدقوهم بعد أن أكذبهم الله .

والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ورسوله ولعباده المؤمنين معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين ، وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هى العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يخذل ، فإنهم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة كما أخبر رسول

(1) هذه أحوال من يوجب بناء الكنائس عند علماء المسلمين، فليتخير هؤلاء المشايخ واحدة منها.

الله ﷺ ، وقال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ }{ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }{ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }{ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ }{ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ }{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }{ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } . وهذه الآيات العزيزة فيها عبرة لأولي الألباب ، فإن الله تعالى أنزلها بسبب أنه كان بالمدينة النبوية من أهل الذمة من كان له عز ومنعة على عهد النبي ﷺ وكان أقوام من المسلمين عندهم ضعف يقين وإيمان وفيهم منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، مثل عبد الله بن أبي رأس المنافقين وأمثاله ، وكانوا يخافون أن تكون للكفار دولة فكانوا يوالونهم ويباطنونهم ، قال الله تعالى : { فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } أي : نفاق وضعف إيمان { يُسَارِعُونَ فِيهِمْ } أي : في معاونتهم و{ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ } فقال الله تعالى : { فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا } أي : هؤلاء المنافقون الذين يوالون أهل الذمة { عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ }{ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ } فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم

بأخبار المسلمين وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم حتى أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتر وسبي وغير ذلك بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم، ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم :

كل العداوات قد ترجى مودتها ... إلا عداوة من عاداك في الدين

ولهذا وغيره منعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين أو على مصلحة من يقويهم أو يفضل عليهم في الخبرة والأمانة من المسلمين ، بل استعمال من هو دونهم في الكفاية أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم ، والقليل من الحلال يبارك فيه ، والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى ، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم"اهـ. (١)

وسُئل عن نصرانى قسيس بجانب داره ساحة بها كنيسة خراب لا سقف لها ولم يعلم أحد من المسلمين وقت خرابها فاشترى القسيس الساحة وعمرها وأدخل الكنيسة فى العمارة وأصلح حيطانها وعمرها وبقي يجمع النصارى فيها وأظهروا شعارهم، وطلبه بعض الحكام فتقوى واعتضد ببعض الأعراب وأظهر الشر.

فأجاب:

" ليس له أن يحدث ما ذكره من الكنيسة وإن كان هناك آثار كنيسة قديمة ببر الشام فإن بر الشام فتحه المسلمون عنوة وملكوا تلك الكنائس وجاز لهم تخريبها باتفاق العلماء، وإنما تنازعوا فى وجوب تخريبها، وليس لأحد أن يعاونه على إحداث ذلك ويجب عقوبة من أعانه على ذلك، وأما المحدث لذلك من أهل الذمة فإنه فى أحد قولي العلماء ينتقض عهده ويباح دمه وماله لأنه خالف الشروط التى شرطها عليهم المسلمون وشرطوا عليهم أن من نقضها فقد حل لهم منها مايباح من أهل الحرب والله اعلم"اهـ. (٢)

٧) موقف ياسر برهامى وجماعته بالإسكندرية إذ كانوا يحرمون الاشتراك فى المظاهرات ثم يقولون اليوم بجوازها، ويمدحون شباب الثورة، وهذا بيان الدعوة السلفية (الحزبية) بالإسكندرية : سئل الشيخ ياسر برهامي : ما حكم المشاركة في ثورة ٢٥ يناير التي دعا لها عدد من الناشطين على الإنترنت اقتداءً بثورة تونس؟

---

(1) مجموع الفتاوى (٦٣٢/٢٨).

(2) السابق (٦٤٧/٢٨)

فأجاب:" الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛ فرغم تعرض الدعوة لحملات الطعن، والاتهامات الكاذبة، وتشويه الصورة، وأنواع مِن الظلم على رموزها وأبنائها؛ إلا إننا انطلاقًا مِن تمسكنا بديننا وشعورنا بالمسئولية تجاه بلادنا وحرصًا على مصلحتها، وتقديمًا وتغليبًا لأمن العباد والبلاد في هذه الفترة العصيبة، وتفويتاً لمقاصد الأعداء التي تهدف إلى نشر الفتن نرى عدم المشاركة في تظاهرات الخامس والعشرين من يناير، وكلام المشايخ واضح جدًّا في ذلك، والأوضاع مختلفة بين مصر وتونس.

ولا يعنى هذا رضانا عن أي مظلمة صغيرة أو كبيرة أصابت الناس وأعظمها تغييب شرع الله لكننا نأتمر بما أمرنا الله به من الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن وبما لا يعقب مضرة أكبر.

وأقول للإخوة الأحباب الذين يدعون الشباب للمشاركة خاصة الذين لا يعيشون بيننا لو كنتم بمصر لكان عليكم ألا تتخذوا موقفاً انفرادياً دون الرجوع لمشايخ الدعوة، فكيف وأنتم غائبون؟ والمشايخ في الإسكندرية جميعهم–بعد تشاورهم– متفقون على ما ذكرته في إجابتي، وما أظن غيرهم خارجها يخالفهم"اهـ. [١]

وكذلك ثناء (محمد إسماعيل) على أحد قادة المظاهرات (وائل غنيم).

٤- حب الظهور والتعالم والمدح:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، **قال الشيخ أحمد بن يحيي النجمي** –رحمه الله–:" مِن علامات الإخوان المسلمين حب التصدر فى الأحداث العظام والمبادرة إلى امتلاك زمام الأمور، وتوجيه الناس مع تهميش العلماء، وقديماً قيل:(حب الظهور يقصم الظهور)"اهـ. [٢]

وهذه مِن أظهر علامات الحزبية اليوم فمبجرد سقوط النظام فى مصر قام الحزبيون (باسم السلف) يدعون الناس إلى الاستفتاء، وتكوين الأحزاب، ويؤزوهم إلى ذلك أزاً، دون نظر للأحكام الشرعية، بل تصدروا للأمور بغير تأهل أو نظر للأدلة، فأوجبوا بناء الكنائس التى يقع فيها الشرك الأكبر، وسب رب العالمين –جل وعلا– ، وأوجبوا التحزب والتفرق،

---

(1) انظر موقع (أنا السلفي) على الرابط:
http://www.anasalafy.com/play.php?catsmktba=23680
(2) الرد المحبر (١/١٨١).

وأخضعوا الناس بفتاواهم إلى الرضا بالدستور الوضعي والتصويت فى الاستفتاء على المواد التى تم تعديلها، مع أنه لايوجد منها مادة توافق الشريعة الإسلامية، كل ذلك وغيره فعلوه تحت عباءة المصالح والمفاسد ومصلحة الدعوة وفقه الواقع، فركبوا الموجة وتصدروا، فضحُّوا بالثوابت الشرعية فى مقابل مدح العلمانيين لهم مع أنهم لن يصلوا إلى شئ مِن وراء ذلك إلا إلى مزيد من السقوط والتخلى عن القواعد والثوابت الشرعية، وكل ذلك سببه حب الظهور والمدح، فاللهم رحماك.

٥- إيجاب الموازنات بين الحسنات والسيئات فى النقد:

اخترع الحزبيون منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات فى نقد الأشخاص حماية لرؤوسهم من الطعن بسبب أفعالهم ومعتقداتهم المخالفة للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فاشترطوا على السلفيين عند نقدهم لأهل الأهواء أن ينظروا إلى الجوانب الحسنة فى المبتدع كما ينظرون إلى جوانبه وأعماله السيئة المبتدعة، رغم أنهم لا يطبقون هذا المنهج عند انتقادهم للعلماء السلفيين الربانيين فيضخمون أخطاء العلماء حتى ربما كفروهم، ويغضون الطرف عن بدع وضلالات قادتهم التى لا يحتملها العقل ولا الشرع.

فحقيقة هذا المنهج هو حماية أهل الأهواء من النقد، فما مِن أحد إلا وله حسنات، ولكن المقام ليس مقام ترجمة وسيرة ذاتية للشخص، وإنما المقام مقام تحذير من بدعه وانحرافه، وقد حذر النبي ﷺ من أقوام دون ذكر محاسنهم، وكذلك الصحابة والتابعون، فأين منهج الموازنات فى حياة النبي ﷺ وأصحابه؟

وقد أفتى أهل العلم ببطلان منهج الموازنات فى نقد الرجال وأنه منهج مبتدع ليس عليه دليل شرعي.

وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- السؤال التالي: بالنسبة لمنهج أهل السنة في نقد أهل البدع وكتبهم، هل من الواجب ذكر محاسنهم ومساوئهم، أم فقط مساوئهم؟

فأجاب -رحمه الله-: ((المعروف في كلام أهل العلم نقد المساوىء للتحذير، وبيان الأخطاء التي أخطؤوا فيها للتحذير منها، أما الطيب معروف، مقبول الطيب، لكن المقصود التحذير من أخطائهم، الجهمية... المعتزلة... الرافضة... وما أشبه ذلك.

فإذا دعت الحاجة إلى بيان ما عندهم من حق، يُبيَّن، وإذا سأل السائل: ماذا عندهم من الحق؟ ماذا وافقوا فيه أهل السنة؟ والمسؤول يعلم ذلك، يبين، لكن المقصود الأعظم والمهم بيان ما عندهم من الباطل، ليحذره السائل، ولئلا يميل إليهم)) .

- فسأله آخر: فيه أناس يوجبون الموازنة: أنك إذا انتقدت مبتدعاً ببدعته لتحذر الناس منه يجب أن تذكر حسناته حتى لا تظلمه؟

فأجاب الشيخ رحمه الله: ((لا ، ما هو بلازم، ما هو بلازم، ولهذا إذا قرأت كتب أهل السنة، وجدت المراد التحذير، اقرأ في كتب البخاري ((خلق أفعال العباد))، في كتاب الأدب في "الصحيح "، كتاب "السنة" لعبد الله بن أحمد، كتاب "التوحيد" لابن خزيمة، "رد عثمان بن سعيد الدارمي على أهل البدع"... إلى غير ذلك.

يوردونه للتحذير من باطلهم، ما هو المقصود؟ تعديد محاسنهم!! ، المقصود التحذير من باطلهم، ومحاسنهم لا قيمة لها بالنسبة لمن كفر، إذا كانت بدعته تكفره، بطلت حسناته، وإذا كانت لا تكفره، فهو على خطر، فالمقصود هو بيان الأخطاء والأغلاط التي يجب الحذر منها" اهـ.[1]

وسئل العلامة الألباني -رحمه الله- الأسئلة التالية:

"السائل: الحقيقة يا شيخنا إخواننا هؤلاء أو الشباب هؤلاء جمعوا أشياء كثيرة، من ذلك قولهم: لا بد لمن أراد أن يتكلم في رجل مبتدع قد بان ابتداعه وحربه للسنة أو لم يكن كذلك لكنه أخطأ في مسائل تتصل بمنهج أهل السنة والجماعة لا يتكلم في ذلك أحد إلا من ذكر بقية حسناته، وما يسمونه بالقاعدة في الموازنة بين الحسنات والسيئات، وألفت كتب في هذا الباب ورسائل من بعض الذين يرون هذا الرأي، بأنه لا بد ؟؟؟ منهج الأولين في النقد ولا بد من ذكر الحسنات وذكر السيئات، هل هذه القاعدة على إطلاقها أو هناك مواضع لا يطلق فيها هذا الأمر؟ نريد منكم بارك الله فيكم التفصيل في هذا الأمر".

فكان جوابه رحمه الله: " التفصيل هو: وكل خير من اتباع من سلف، هل كان السلف يفعلون ذلك؟"

(1) من شريط مسجل لدرس من دروس الشيخ رحمه الله التي ألقاها في صيف عام ١٤١٣ هـ في الطائف بعد صلاة الفجر.

فقال السائل: " هم يستدلون حفظك الله شيخنا ببعض المواضع، مثل كلام الأئمة في الشيعة مثلاً، فلان ثقة في الحديث، رافضي، خبيث ، يستدلون ببعض هذه المواضع، ويريدون أن يقيموا عليها القاعدة بكاملها دون النظر إلى آلاف النصوص التي فيها كذاب، متروك، خبيث؟".

فقال الشيخ رحمه الله: " هذه طريقة المبتدعة حينما يتكلم العالم بالحديث برجل صالح وعالم وفقيه، فيقول عنه: سيء الحفظ، هل يقول إنه مسلم، وإنه صالح، وإنه فقيه، وإنه يرجع إليه في استنباط الأحكام الشرعية، الله أكبر، الحقيقة القاعدة السابقة مهمة جداً، تشتمل فرعيات عديدة خاصة في هذا الزمان.

من أين لهم أن الإنسان إذا جاءت مناسبة لبيان خطأ مسلم، إن كان داعية أو غير داعية؟ لازم ما يعمل محاضرة ويذكر محاسنه من أولها إلى آخرها، الله أكبر، شيء عجيب والله، شيء عجيب، وضحك الشيخ رحمه الله هنا تعجباً".[١]

فقال السائل: " وبعض المواضع التي يستدلونها مثلاً: من كلام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" أو في غيرها، تحمل شيخنا على فوائد أن يكون عند الرجل فوائد يحتاج إليها المسلمون، مثل الحديث؟".

فقال الشيخ –رحمه الله–: " هذا تأديب يا أستاذ مش قضية إنكار منكر، أو أمر بمعروف يعني الرسول عندما يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره " هل تنكر المنكر على المنكر هذا، وتحكي إيش محاسنه؟".

فقال السائل: " أو عندما قال: بئس الخطيب أنت، ولكنك تفعل وتفعل، ومن العجائب في هذا قالوا: ربنا عز وجل عندما ذكر الخمر ذكر فوائدها؟".[٢]

فقال الشيخ –رحمه الله–: " الله أكبر، هؤلاء يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، سبحان الله، أنا شايف في عندهم أشياء ما عندنا نحن)).[١]

---

(1) هذا ضمن استدلال محمد حسان فى شريطه "إلى غلاة التجريح"، وقد فندت ما فيه من الأباطيل بحمد الله فى كتابى:" نظرات سلفية في أصول محمد حسان القطبية" فمن شاء فليراجعه.

(2) القائل بهذا الاستدلال هو أحمد الصويان القطبى فى كتابه " منهج أهل السنة والجماعة فى تقويم الرجال ومؤلفاتهم" ، وهذا من زيغ القلول نسأل الله العافية ، وقد رد عليه العلامة ربيع بن هادي فى كتابه القيم" منهج أهل السنة والجماعة فى نقد الرجال والكتب والطوائف" فراجعه فإنه فذٌّ فى بابه.

وسئل –رحمه الله– عن : " ما يطرح اليوم فى ساحة المناقشات بين كثير من الأفراد حول ما يُسمى أو حول هذه البدعة الجديدة المسماة (الموازنة فى نقد الرجال)".

فأجاب رحمه الله: " أنا أقول: النقد إما أن يكون فى ترجمة الشخص المنتقد ترجمة تاريخية فهنا لابد من ذكر ما يحسن وما يقبح بما يتعلق بالمترجم من خيره ومن شره ، أما إذا كان المقصود بالترجمة هو تحذير المسلمين وبخاصة عامتهم الذين لا علم عندهم بأحوال الرجال ومناقب الرجال ومثالب الرجال ، بل قد يكون له سمعة حسنة وجيدة ومقبولة عند العامة ولكن هو ينطوى على عقيدة سيئة أو على خلق سئ ، هؤلاء العامة لا يعرفون شيئاً من ذلك عن هذا الرجل ،حين ذلك لا تأتى هذه البدعة التى سُميت اليوم بالموازنة ، ذلك لأن المقصود حين ذلك النصيحة وليس الترجمة الوافية الكاملة.

ومن درس السنة والسيرة النبوية لا يشك ببطلان إطلاق هذا المبدأ المحدث اليوم وهو الموازنة ، لأننا نجد فى عشرات النصوص من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، يذكر السيئة المتعلقة بالشخص للمناسبة التى تستلزم النصيحة ولا تستلزم تقديم ترجمة كاملة للشخص الذى يُراد نصح الناس منه والأحاديث فى ذلك أكثر من أن تستحضر فى هذه العجالة ، ولكن لا بأس من أن نذكر مثالاً أو أكثر إن تيسر ذلك ، ... ثم ذكر الشيخ الألبانى قول الرسول ﷺ :"بئس أخو العشيرة" ، وقوله: " أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه ، وأنهما دليلان على عدم وجوب الموازنات ، .. ثم قال:" ولكن المهم فيما يتعلق بهذا السؤال أن أقول فى ختام الجواب:إن هؤلاء الذين ابتدعوا بدعة الموازنات هم بلاشك يخالفون الكتاب ويخالفون السنة –السنة القولية والسنة العملية– ويخالفون منهج السلف الصالح من أجل هذا رأينا أن ننتمى فى فقهنا وفهمنا لكتاب ربنا ولسنة نبينا ﷺ إلى السلف الصالح ، لم؟ لا خلاف بين مسلمَين فيما أعتقد أنهم أتقى وأورع وأعلم و .. إلخ ممن جاءوا من بعدهم.

الله عزوجل ذكر فى القرآن الكريم وهى من أدلة الخصلة الأولى– قصد فى الأمثلة التى ذكرها – متظلم: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمِ)، فإذا قال المظلوم فلان ظلمنى ، أفيقال له: اذكر له محاسنه يا أخى؟ والله هذه الضلالة الحديثة من أعجب ما يطرح على

(1) شريط ٨٥٥ من سلسلة الهدى والنور.

الساحة فى هذا الزمان ، وأنا فى اعتقادى أن الذى حمل هؤلاء الشباب على إحـداث هـذه المحدثة واتباع هذه البدعة هو حب الظهور ، وقديماً قيل:"حب الظهور يقصم الظهور" ، وإلا من كان دارساً لكتاب الله ، ودارساً للسنة ولسيرة السلف الصالح ، هذه كتب أئمة الجـرح والتعديل حينما يُترجَم للشخص يقول فيه ضعيف ، يقول فيه:كذَّاب وضَّاع سيئ الحفـظ ، لكن لو رجعت إلى ترجمته التى ألمحت إليها فى ابتداء جوابى لوجدت الرجل متعبداً زاهداً صالحاً ، وربما تجده فقيهاً من الفقهاء السبعة ، لكن الموضوع الآن ليس موضوع ترجمة هذا الإنسان ، ترجمته تحيط بكل ما كان عليه من مناقب أو من مثالب ، كما ذكرنا أولاً.

لذلك باختصار أنا أقول ولعل هذا القول هو القول الوسط فى هذه المناقشات التى تجرى بين الطائفتين: هو التفريق بين ما إذا أردنا أن نترجم للرجل فنذكر محاسنه ومساويه ، أما إذا أردنا النصح للأمة ، أو إذا كان المقام يقتضى الايجاز والاختصار ، نذكر ما يقتضيه المقام ،من تحذير ، من تبديع ، من تضليل ، وربما من تكفير أيضاً إذا كان شروط التكفير متحققـة فى ذلـك الإنسان ، هذا ما أعتقد أنه الحق الذى يختلف فيه اليوم هؤلاء الشباب ، وباختصار أقول: إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم فى العصر الحاضر وبحق هو أخونا الدكتور ربيع ، والـذين يردون عليه لا يردون عليه بعلم أبداً ، والعلم معه هذا هو جواب السؤال ، وبهـذا القـدر كفاية ، والحمد لله رب العالمين.[١]

وقال العلامة محمد الصالح بن عثيمين -رحمه الله-: "عندما نريد أن نقوِّم الـشخص، فيجب أن نذكر المحاسن والمساوئ، لأن هذا هو الميزان العدل وعندما نحذِّر من خطأ شخص، فنذكر الخطأ فقط، لأن المقام مقام تحذير ومقام التحذير ليس من الحكمة فيه أن نذكر المحاسن، لأنك إذا ذكرت المحاسن فإن السامع سيبقى متذبذباً، فلكل مقام مقال"اهـ.[٢]

ومن أمثلة استخدامهم لهذا المنهج:

١) قول محمد حسان عن سيد قطب : " زمن العصمة قد انتهى بموت المعـصوم محمـد بـن عبدالله، وكل كتاب بعد القرآن معرض للخلل (ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ، لذا فأنا أحب هذا الرجل مع علمى ببعض أخطائه ، وأقول ومن من البشر لم يخطـئ (فكل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)".أ.هـ.

(1) من شريط " مَن حامل راية الجرح والتعديل في العصر الحاضر".

(2) في (لقاء الباب المفتوح ص١٥٣) .

ويقول : " رجل زل فى الظلال أو فى بعض كتبه لا ننكر لكن لا ينبغى علـــى الإطـــلاق أن ننسف جهد الرجل وأن نتهمه والعياذ بالله بالضلال" اهــ. [١]

هذا الكلام فى شأن سيد تقرير لقاعدة الموازنات الفاسدة والتى اخترعها أهـــل البـــدع للدفاع عن قادتهم ورموزهم، فعندما يطعن أهل السنة فيهم يقولون لابد من ذكر الحـــسنات والسيئات ، ولو كان هذا المنهج حقاً لكان السلف أول القائلين العاملين به ، ومن المعلوم أنه لم يفعله واحد منهم؟ بل كانوا يذكرون المبتدع ببدعته ولا يذكرون شيئاً من حـــسناته ، لأن المقام مقام تحذير ونصيحة ولو ذكرت حسناته لكان ذلك دعوة له ونشراً لباطله.

قال الحسن البصرى وإبراهيم النخعى:" ليس لصاحب البدعة غيبة"اهــ.

وكذا قال كثير بن زياد أبو سهل البرسانى ، قال:" يقال أهل الأهواء لا حرمة لهـــم" ، وكذا قال الفضيل بن عياض وغيرهم ، فأين ذكر الحسنات فى كلام هؤلاء؟

وروى الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (١٧٨/١٢): " قـــال عاصـــم الأحـــول :" جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه ، ونال منه، فقلت له: أبا الخطـــاب ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض!! فقال: يا أحول ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تذكر حتى تحذر".

وقال رافع بن أشرس: " من عقوبة المبتدع ألا تذكر محاسنه"اهــ.

فهل صنف محمد حسان مصنفاً بيَّن فيه بدع وأخطاء سيد قطب أم أنه يهاجم من قـــام بهـــذه النصيحة ويطعن فيه؟

٢) وكذلك يقول محمد حسين يعقوب فى شريط له بعنوان " الجماعة" ضمن سلسلة :"أصول الالتزام: "... قوللي طيب يا عم الشيخ بس متخدناش في الكلام، وننسى الجو نمشي مع بتوع التبليغ، ونخرج في سبيل الله، ولا نقعد مع بتوع الإخوان، ولا نروح مـــع مـــين بالـــضبط.. تحديداً؟ وأنا دايماً في إجابة السؤال ده بقول: إن الجماعات الموجودة على الساحة، جماعـــات دعوة، وليست هي الفرق النارية المذكورة في حديث النبي ﷺ "افترقت اليهود على إحـــدى

(1) من شريط " الإيمان بالكتب" ضمن سلسلة دروس العقيدة ، بمعهد إعداد الدعاة ، تسجيلات إيلاف ، جمعية (إحياء التراث بالكويت !!!.

وسبعين، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين". العلماء متفقون -إجماع- على أن هذه الفرق: المخالفة في العقيدة، اللي هما الخوارج، اللي هما التكفير في عصرنا ده، الشيعة، ال..إل الرافضـ.. أو الـ هؤلاء الـ المرجئة، وغيره من هؤلاء الناس.. الصوفية، دول عقائد مخالفة، لكن الجماعات اللي أنا بقوللك عليها: التبليغ والإخوان، والسلفيين والـ.. أنصار السنة، وجماعة.. والجمعية الشرعية، كل دول جماعة بيقولوا بعقيدة واحدة كل دول من أهل السنة والجماعة، بس فيهم من هم على جادة الطريق ومن هم على جنباتها (أي: الصراط)، كلهم فيهم حق وباطل بعضهم فيه حق أكثر من الباطل، وبعضهم فيه باطل أكثر من الحق، وبعضهم نص نص، بس لا أنا ولا أنت نقيم...دايماً نصيحتي: اعرف الحق تعرف أهله، أنا لو قعدت دلوقتي وكلمتك وأقنعتك -يقيناً- إن السلفيين دول على حق، هتقوم من قدامي تقعد قدام واحد تاني من بتوع التبليغ يقنعك إن التبليغ على حق، وتقوم قدام واحد ثالث يقنعك إن الثالثة على حق، والرابعة والخامسة، ليه؟ لأن معندكش بصيرة للتمييز، أنت محتاج تتعلم، يبقى أنا اللي بطالبك بيه دلوقتي ملكش دعوة بالجماعات دي كلها خالص، ولا تنتمي لأحد منهم إنما عليك أن تتعلم وتعبدالله، فلما تتعلم هتعرف الحق، ولما تعرف الحق بعده كده تشوف الحق مع مين؟ اتعلم عقيدة، اتعلم فقه، اتعلم سيرة، اتعلم تفسير، اتعلم أصول، اتعلم لغة، اتعلم مصطلح، اتعلم... اتعلم وتبقى طالب علم مجتهد وعندك علم، لما يبقى عندك علم غزير وأصول، هتبص كده هتشوف إن دول فيهم بدعة، لأن النبي معملش كده، ما أنت درست سيرة! وهتشوف إن دول فيهم بدعة، لأنهم بيستدلوا بأحاديث ضعيفة كلها على أعمالهم وأقوالهم، والأحاديث الضعيفة دي أنت درستها في مصطلح، ودولت يستدلوا... بيعملوا أعمال كلها غلط، بدع، لأنك درست أصول فقه، واستمداد الأحكام، وكل دولت عملهم باطل، ليه؟ لأنهم (بيقدموا) مسائل على مسائل العقيدة، يبقى كدة غلط مينفعش أمشي معاهم، هتبقى فاهم، وتبقى الأمور على بصيرة ونور، لكن إن محمد حسين يقعد يقولك: أما جماعة الإخوان فهم جماعة باطلة! وفيهم كذا... يبقى أنا على باطل، لو أنا قلت كدة، أنا مقلش على حد حاجة، سيب ال ناس... الساحة تسعنا وتسع غيرنا ..."اهـ.

وهذا هو منهج التمييع على حد قول القائل :"دع ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر" ، فهل كان سلف الأمة على هذه الطريقة المنحرفة؟؟

ولقد طعن أيضاً فى علم الجرح والتعديل ، فقال فى كتابه (الأخوة أيها الإخوة ص٢١٣-٢١٤) فى ثنائه على التبليغ والطعن على أهل العلم السلفيين:" أقول إن من محاسن التبليغ .... إخوة التبليغ . أنه عندما يقوم أحدهم ليلقى البيان تجد البقية جميعاً يلتمسون أن يسدد الله أخاهم ، فيدعون له أن يرزقه الله الفصاحة ويفتح عليه ويهدى به ، وهكذا لكنك تجد من الإخوة فى المقابل محترفى اصطياد الأخطاء هذا صوفى وهذا أشعرى وهذا يحدث بأحاديث ضعيفة وهذا يخبط خبط عشواء".

أقول: فهل جماعة التبليغ على صواب وسلف الأمة على خطأ؟ ، وهل يدخل فى محترفي اصطياد الأخطاء أئمة المسلمين الذين بينوا ضلال أهل البدع كأحمد وسفيان والبخارى والدارمى وأبو زرعة وأبو حاتم وغيرهم من الأئمة؟ وهل إذا كان الرجل صوفياً أو أشعرياً لا يعتبر هذا من البدع عند يعقوب؟.

وقال أيضاً (ص ١٣٥):" سدوا مسامعكم عن قالة السوء ، فإن السامع شريك القائل ، اهجروا هؤلاء وانصحوهم فى الله أن يكفوا عن نقل الأخبار السيئة ، فلا نريد الولوغ فى أعراض المسلمين ، ولا تسمعوا لمن يقول : هذا من أجل خدمة الدين!! هذا لبيان المجروح ممن يتصف بالعدالة!! ، لا ، لا تسمع ، قل له : أخى -يعنى المبتدع!!- عرضه عرضى ، لا أقبل أن أسمع عنه ما يشينه ، وانتهت المسألة".

قلت: قارن هذا الكلام بإجماع العلماء على المواضع التي يباح فيها الغيبة لتعرف الفرق!!.

ويقول في تقريرمنهج الموازنات الفاسد :(الأخوة أيها الإخوة ص٧٤):" القاعدة الأولى: الإنسان يوزن بحسناته وسيئاته ، قال تعالى:(فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون) ، فأخبرنا الله- جل وعلا - أن من كانت حسناته هى الراجحة على سيئاته مع الندم على السيئات كان على سبيل النجاة وطريق الفوز والفلاح ، ومن مالت سيئاته بحسناته كان الهلاك والعذاب أولى به".....

ويقول (ص٧٩-٨٠):" مثلاً: يسألونك عن بعض الجماعات فتقول:أناس على خير كثير ، نحسبهم مخلصين ، وفى الدعوة مجتهدين ، وأصحاب سمت وأدب وهدى صالح ، لكن عندهم

بعض البدع ، فلا تنقل أهم مبتدعة ، أو على بدعة فى بعض ما يصنعون ، ولكن تنقل التعديل والتجريح معاً".أ.هـ.

٣) ويقول أبو إسحاق الحوينى:" أنا أقول يا إخواننا ليس هناك إنسان معصوم من الخطأ ،لكن الميزان الذى عليه علماء السنة هو قياس الحسنات والسيئات"اهـ.

فتأمل كلامهم جميعاً فإنه يخرج من مشكاة واحدة ، هى مشكاة سيد قطب وعبد الرحمن عبد الخالق والصاوي الغاوي والصويان والمقطري والزنداني والقرضاوي و.... وأضرابهم.

وقد تكلم العلماء في الرد على هذه الأهواء وقد ذكرت كلام هؤلاء المبتدعة وبينت مافيه من الانحراف والضلال في كتابي "نظرات سلفية في أصول محمد حسان القطبية".

٦- استغلال المواقف لتنفيذ أغراضهم ونشر مناهجهم الفاسدة:

وما يشهده المسلمون اليوم من تحرك الحزبيين لنشر مناهجهم الفاسدة الخبيثة من تكوين الأحزاب السياسية التى تخضع للدستور بمواده المخالفة لشرع الله المحاربة له، وكذلك الافتاء بجواز بل بوجوب المشاركة فى الاستفتاءات والانتخابات والمظاهرات وغيرها، كل ذلك أكبر دليل على مساندة هؤلاء الحزبيين للديموقراطية الطاغوتية التى صدرها لنا الغرب بغرض فصل الدين عن السياسة وإغراق المسلمين فى السياسة الغربية غير الشرعية، وإشغال الدعاة بالأنظمة الحاكمة ، ولن يفلح هؤلاء الحزبيون فيما أرادوا أبداً ، فالإخوان المسلمون منذ أكثر من ثمانين عاماً يجرون خلف الانتخابات والبرلمانات ونجحت الدول الغربية فى جرهم إلى هذه الانحرافات واليوم تنتشر هذه الأهواء بطريقة أوسع فيسقط فيها هؤلاء الحزبيون الذين يظهرون باسم السلف الصالح مع انحرافهم عن طريقهم وهديهم.

قال العلامة الوادعي –رحمه الله– :" لا تركنوا على حزبي لأن الحزبيين يستغلون المواقف لصالحهم"أهـ.[1]

وقد استغل الحزبيون من الإخوان والجماعة الإسلامية والجهاد والقطبيين غياب السلطة الحكومية فبطشوا بمن يخالفهم وبسطوا نفوذهم بالقوة على المساجد وطردوا أئمتها.

---

(1) غارة الأشرطة (٤٦/١).

٧- عدم قبول الحق إذا جاء من غيرهم:

وهذه العلامة من علامات أهل الجاهلية، فهم لا يقبلون الحق من الأنبياء مع تـوافر الحجـج عليه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُـؤْمِنِينَ﴾، وقـال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾.

وقد شابه الحزبيون أهل الجاهلية من المشركين فى هذه الخصلة فهم لا يقبلون الحـق إلا مـن حزبهم، فالحق ما قاله الحزب، والباطل ما قاله غيرهم حتى وإن كان مدعماً بالأدلة من الكتاب والسنة.

قال العلامة الوادعي–رحمه الله–: "ومن الناس مَن تغلغلت فيه الحزبية، ومن هو مدفوع من قبل الحزبية، لو أتيته بكل آية وبكل كتاب ما تراجع عن رأيه وعما يقول"اهـ. (١)

بل بعضهم يقول بلسان حاله وربما بلسان مقاله: "لو كان الحق عندكم فأنا لا أقبله، ولو كان دخول الجنة بمنهجكم فأنا لا أريدها"، نعوذ بالله من الخذلان.

وهذا القول هو نفسه قول المشركين الأوائل ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ويتستر الحزبيون فى رد الحق بأساليب منها:

١ـ كبر سن الشخص أو علو طبقته عن صاحب الحق الذي يرد عليه:

ومن المعلوم أن الحق يعرف بالأدلة من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة لا بمجـرد كبر سن حامله أو شهرة قائله.

ومما ابتلي الله به عباده أن لا يحيط بالعلم إلا هو سبحانه وتعالى وأنه سبحانه لم يجعل العصمة فى أحد إلا فى الأنبياء، فكل يخطئ ويصيب بعدهم، ويؤخذ من قوله ويُترَك، فالطاعة المطلقـة لله ورسوله.

وقد أمرنا الله عند التنازع برد الاختلاف إلى الله ورسوله دون آراء الرجال وأقـوالهم ﴿فَـإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِـكَ خَيْـرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

ويجب على كل مسلم قبول الحق الواضح بالأدلة ممن جاء به وإن كان صغير السن والقـدر فالحق ضالة المؤمن.

---

(1) غارة الأشرطة (٢/٤٤٣).

وعن عبيد بن عمير أن أبا موسى الأشعري استأذن على عمر ثلاثاً فكأنه وجده مشغولاً، فرجع، فقال عمر: ألم أسمع صوت عبدالله بن قيس؟ ائذنوا له، فدعي له، فقال : ما حملك على ما صنعت؟ قال : إنا كنا نؤمر بهذا، قال: لتقيمن على هذا بينة أو لأفعلن، فخرج فانطلق إلى مجلس من الأنصار، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا، فقام أبو سعيد، فقال: كنا نؤمر بهذا، فقال عمر: "خفي عليَّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصفق بالأسواق".(1)

وفي حديث ابن عباس: " كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف"الحديث. رواه البخاري.

وقال ابن الجوزي–رحمه الله–: "فيه التنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم أو قلت أقدارهم وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل، فقيل له: تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟ فقال: (إنما أهلكنا التكبر)"اهـ. (2)

وقد عقد ابن مفلح الحنبلي–رحمه الله– فى كتابه "الآداب الشرعية" فصلاً فى أخذ العلم عن أهله وإن كانوا صغار السن وأورد فيه:

قال الإمام أحمد –رحمه الله–: "بلغني أن ابن عيينة قال: الغلام أستاذ إذا كان ثقة"اهـ.

وقال علي بن المديني –رحمه الله–: "لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة فيفتيني أحب إلى من أن أسأل أبا عاصم وداود ، إن العلم ليس بالسن"اهـ.

وروى الخلال من حديث عبدالرزاق عن معمر عن الزهري قال: قال عمر ﷺ :" إن العلم ليس عن حداثة السن ولا قدمه، ولكن الله يضعه حيث شاء"اهـ. (3)

وقال ابن رجب–رحمه الله –: "فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم، وإن كان صغيراً، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر فى غير قولهم"اهـ.

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: " فصل قال صاحب المنازل : التواضع : أن يتواضع العبد لصولة الحق، يعني : أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له والذل والانقياد والدخول تحت

---

(1) متفق عليه : البخاري (١٩٥٦)، ومسلم (٥٧٥٧).

(2) كشف المشكل/ مسند عمر بن الخطاب (٦٣/١).

(3) "انظر الآداب الشرعية" (١٩٢/٢).

رقه، بحيث يكون الحق متصرفاً فيه تصرف المالك في مملوكه، فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع، ولهذا فسر النبي الكبر بضده فقال : (الكبر بطر الحق وغمط الناس)، فبطر الحق : رده وجحده والدفع في صدره كدفع الصائل، و غمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم، ومتى احتقرهم وازدراهم : دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها، ولما كان لصاحب الحق مقال وصولة : كانت النفوس المتكبرة لا تقر له بالصولة على تلك الصولة التي فيها، ولا سيما النفوس المبطلة فتصول على صولة الحق بكبرها وباطلها، فكان حقيقة التواضع : خضوع العبد لصولة الحق وانقياده لها فلا يقابلها بصولته عليها"اهـ. (١)

وقال الشوكاني-رحمه الله-: " ومن الآفات المانعة عن الرجوع إلى الحق أن يكون المتكلم بالحق حدث السن بالنسبة إلى مَن يناظره أو قليل العلم أو الشهرة في الناس، والآخر بعكس ذلك، فإنه قد تحمله حمية الجاهلية والعصبية الشيطانية على التمسك بالباطل أنفة من الرجوع إلى قول من هو أصغر منه سناً أو أقل منه علماً أو أخفى شهرة، ظناً منه أن في ذلك عليه ما يحط منه وينقص ما هو فيه، وهذا الظن فاسد: فإن الحط والنقص إنما هو في التصميم على الباطل والعلو والشرف في الرجوع إلى الحق بيد من كان وعلى أي وجه حصل"اهـ. (٢)

وأما العالم بالله حقاً فإنه متواضع لله، قال إبراهيم -رحمه الله-: سألت الفضيل ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه"اهـ. (٣)

٢- استخدام الألفاظ المجملة المشتبهة فى كلامهم:

وقد تكون هذه الألفاظ من الألفاظ الشرعية التى يتكلمون بها من أجل التلبيس على الناس رغم أنها من القواعد الصحيحة لكن لم تتحقق شروطها وتنتفي موانعها، وذلك مثل قاعدة: درء المفاسد وجلب المصالح، فهذه القاعدة إذا تكلموا بها فإنهم يلبسون على الناس ليميعوا منهج السلف فى التعامل مع أهل الأهواء، وقد تكون هذه الألفاظ من كلام الغربيين الكفار

---

(1) "مدارج السالكين" (٢/٢٧١).

(2) "أدب الطلب" (ص٥٧).

(3) "حلية الأولياء" (٣/٣٩٢) ترجمة الفضيل.

والديموقراطيين مثل: (الحرية، وإرادة الشعب، وحرية التعبير، والانتخابات، وصوتك أمانة)، وغيرها من الألفاظ الماسونية والغربية المخالفة لشرع الله حقيقة ولفظاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : " وأما الألفاظ المجملة فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال يوقع فى الجهل والضلال والفتن والخبال والقيل والقال، وقد قيل : أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء"اهـ. (١)

٣- سلوك قاعدة اليهود : "الغاية تبرر الوسيلة":

إن من أقبح مسالك الحزبيين ووسائلهم أنهم يطبقون القاعدة التى اخترعها اليهودي (ميكافللي) وهي : "الغاية تبرر الوسيلة".

قال الشيخ ربيع بن هادي –حفظه الله– في شأن جماعة الإخوان: " ومن الأدلة على ذلك تعاطفهم وتحالفهم مع الملاحدة من بعثيين وعلمانيين، وشيوعيين، وموادتهم لليهود والنصارى إذا كان ذلك يحقق لهم شيئاً من أهدافهم السياسية ومصالحهم الدنيوية على المبدأ الميكافللي (الغاية تبرر الوسيلة)"اهـ. (٢)

وقال العلامة الوادعي–رحمه الله– فى أحد الحزبيين: "فهو رجل ليس له همٌّ إلا المناصب، فهو مستعد أن يحلق لحيته، ويدخل في أى عمل وهو مختار غير مكره، المهم أن يلي منصباً، ويكادون أن يطبقوا المثل الشيوعي : "الغاية تبرر الوسيلة""اهـ. (٣)

وقال فضيلة الشيخ صالح السحيمي–حفظه الله–: "وأما أن يتصور أحد أن مجرد الانتساب إلى الجماعات والبيعات، ومباشرة طقوسها كالخروج والسياحة في الأرض وما يسمى بالأناشيد والتمثيلات الدينية والشعارات البراقة، والمظاهرات، وإباحة الدخول في الانتخابات والبرلمانات ونحو ذلك مما درجت عليه هذه الجماعات بدعوى أن (الغاية تبرر الوسيلة) فهذا بلا شك تصور خاطئ بعيد كل البعد عن هدي الإسلام، ولا يرضاه من كان عنده مثقال ذرة من إيمان وبصيرة وعقل راجح"اهـ. (٤)

(1) "منهاج السنة النبوية" (٢/١٠٢).
(2) "أهل الحديث هم الطائفة المنصورة"
(3) "المخرج من الفتنة" (ص١٥٨).
(4) "النصر العزيز للشيخ ربيع ص٤٦).

والحزبيون جميعاً يسيرون على هذه القاعدة اليهودية فمن ذلك:

- **القول بجواز** الانتخابات والترشيح فيها.
- **تأسيس الأحزاب السياسية** الخاضعة للدستور الديموقراطي أو الشيوعي أو غيرهما، بل لو كانت هذه الأحزاب فى المجتمع المسلم المطبق لشرع الله–جل وعلا– لما جاز تأسيسها لأن الله تعالى يحرم التحزب والتفرق ويأمر بالاجتماع، فلا حزب إلا حزب الله أو حزب الشيطان، فمن لم يكن من حزب الله فهو من حزب الشيطان شاء أم أبى، وقد أمرنا الله بالاعتصام بدينه فقال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا).
- **قولهم بجواز بل وجوب** بناء الكنائس لأنها وسيلة إلى استقرار البلاد وأمنها–زعموا– ، فهل الكفر هو الذي سيحمي البلاد ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.
- **قولهم بجواز المظاهرات والاعتصامات** لأنها فى مصلحة الدعوة، وأما الخروج على الحكام فقد انقسموا فيه، فمنهم من أوجبه لأن الحكام ظلمة جائرون ويجوز عندهم الخروج على الحاكم الظالم، ومنهم من قال إن الخروج لا يكون إلا بالسيف وأما الخروج باستخدام المظاهرات فهو ليس من الخروج وإن أدت إلى خلع النظام وإسقاط الحكام، فاللهم رحماك من هذا الضلال والانحراف، وسيأتى الرد على هذه الشبهة مفصلاً.
- **إباحتهم للتصوير** بكل أصنافه لأنه فى مصلحة الدعوة ووسيلة من وسائلها كما يزعمون، بل وتصوير النساء، فاللهم غفراً غفراً.
- **قولهم بالعمل الجماعي التنظيمي** الذى يقوم على البيعة وينتهي بإنشاء الأحزاب السياسية، وذلك كما يزعمون فى مصلحة الدعوة.

قال العلامة الوادعي –رحمه الله–: "وأما نحن فلا نستطيع أن نتنازل عن شئ من سنة رسول الله ﷺ لأجل الدنيا، ولا نقول إن الغاية تبرر الوسيلة، بل نقول: إننا مأمورون بالاستقامة، والنصر من عند الله".اهـ.[1]

٤- الميول إلى الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم: قال تعالى: (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ

(1) "المخرج من الفتنة" (ص١٦٣).

فَاسِقُونَ)، وقال سبحانه: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا).

وقد ورث الحزبيون ذلك فصاروا يوالون ويميلون للكفار ويسعون فى مودهم والتقريب بينهم وبين المسلمين كما يزعمون، وجماعة الإخوان لهم فى ذلك أكبر الجهد فمنذ تأسيس هذه الجماعة المبتدعة وموالاهم للنصارى معروفة مشهورة، **فالإمام المرشد** [1] (حسن البنا) يرى أن النصارى إخوان له، بل عندما شكَّل مجلس الإرشاد للجماعة عيَّن فيه عضوين من النصارى، وهما (لويس فانوس) و (إخنوخ لويس أخنوخ)، وكان (لويس فانوس) هو الذى يُحَضِّر الدرس الأسبوعى لحسن البنا يوم الثلاثاء!!.

بل لما مات (البنا) لم يقم بتشييع جنازته إلا رجلين من النصارى: أحدهما مكرم عبيد السياسي المشهور.

وعلى نفس الطريق سار المرشد الثاني (حسن الهضيبي) حيث كان يحضر حفلات الكنيسة بعيد الميلاد، وقد أهداه بطريرك الإسكندرية مسبحة من الكهرمان، وتعانقا أمام باب الكنيسة على مرأى من الجماهير، وتم نشر الصورة فى الجرائد.

و قال الهضيبي : " إذا قبل واحد من الأقباط مبدأنا نرشحه فوراً على قوائمنا ونحن لا نطلب منه بطبيعة الحال أن يكون مسلماً....إلخ)[2]. وقال – أيضاً–: (ليس لدينا مانع أن يكون القبطي عضواً في جماعة الإخوان)[3].

ولقد أصدر الأستاذ مصطفى السباعى المرشد العام للإخوان فى سوريا بياناً طويلاً ، قال فيه:" فليس الإسلام ديناً معادياً للنصرانية ، بل هو معترف بها مقدس لها ، وأما توهم الانتقاص من المسيحيين وامتياز المسلمين ، فأين الامتياز؟!! أفى حرية العقيدة!! والإسلام يحترم العقائد جميعاً ، أم فى الحقوق المدنية والتساوى فى الواجبات؟ والإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحى ، ولا يعطى للمسلم حقاً فى الدولة أكثر من المسيحى ، والدستور سينص على

(1) الصواب أن يقال: المضلل، وهذا اللقب مأخوذ من شيعة إيران (مرشد الثورة الإيرانية عليه لعنة الله).

(2) لقاء مأمون الهضيبي مع مجلة المحرر العدد (٢٦٧) في ٢٩ أغسطس ١٩٩٤ .

(3) السابق.

مساواة المواطنين جميعاً فى الحقوق والواجبات ، ثم اقترح أربع مواد ، منها: لا يحال بين مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة.[١]

وقد تولى محمد حسن الباقورى مع قسيس نصرانى اسمه (صموائيل) رئاسة جمعية الاتحاد الدينى التى تدعو للتآخى بين الأديان ذات الأصل الإبراهيمى –على حد زعمهم–، وجعل الباقورى يظهر على شاشة التليفزيون المصرى ثم يأخذ قلنسوة القسيس ويضعها على رأسه ويضع عمامته الأزهرية!! على رأس القسيس ، ثم يقول: إن شئت فقل شيخاً وإن شئت فقل قسيساً ، وإن شئت فقل هما قسيسان ، وإن شئت فقل هما شيخان ، وكان يقول: عندما أستمع إلى البابا شنودة أشعر كأننى أستمع إلى رجل من السلف الصالح!!!.[٢]

وقال محمد الغزالى: " إن هناك أسساً لجميع المنتسبين إلى الأديان فى صعيد واحد ،وهى تجمع بين اليهودى والنصرانى والمسلم على أنهم إخوة سواء بسواء".

ويقول أيضاً: " فإننا نحب أن نمد أيدينا وأن نفتح قلوبنا وآذاننا لكل دعوة تؤاخى بين الأديان وتقرب بينها ، وتذكرهم بنسبهم السماوى الشريف".

وقال أيضاً:"إننا نستريح من صميم قلوبنا إلى قيام اتحاد بين الصليب والهلال ، والذين يخوضون فى العلاقات بين عناصر الشعب المصرى صنف من الناس لا يطمئن إلى تقواه ، ولا ابتغاء وجه الله ".[٣]

ويقول القرضاوي –عن النصارى– : (فكل القضايا بيننا مشتركة فنحن أبناء وطن واحد، مصيرنا واحد، أمتنا واحدة، أنا أقول عنهم إخواننا المسيحيين، البعض ينكر علي هذا كيف أقول إخواننا المسيحين؟ (إنما المؤمنون إخوة) نعم نحن مؤمنون وهم مؤمنون بوجه آخر) [٤] ، **وقال أيضاً** : (إن مودة المسلم لغير المسلم لا حرج فيها) .[٥]

وقال: "جهادنا مع اليهود ليس لأنَّهم يهود، ولا نرى هذا نحن لا نقاتل اليهود من أجل

---

(1) "وقفات مع تنظيم الإخوان المسلمين " لعبد الوهاب الحجورى (ص٧٣).

(2) السابق ، انظر وتأمل هذه الردة الواضحة عن الإسلام ، وفى الحديث: "يحشرالمرء مع من أحب".

(3) السابق (٧٤-٧٥).

(4) برنامج الشريعة والحياة : (في ظل الشريعة الإسلامية) ١٩٩٧/١٠/١٢م ، ويقررها في كتبه ككتاب (فتاوى معاصرة ٦٦٨/٢).

(5) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (ص ٦٨).

العقيدة؛ إنما نقاتلهم من أجل الأرض، ولا نقاتل الكفار لأهم كفار؛ وإنما لأهم اغتصبوا أرضنا وديارنا، وأخذوها بغير حق)[١].

ولما هلك من يسمونه بـ(بابا الفاتيكان) يوحنا بولس الثاني –لعنه الله وأخزاه–، قام القرضاوى وعزَّى النصارى فقال: (فقد جرت عادتنا في البرنامج أن نتحدث عن أعلام العلماء من المسلمين حينما ينتقلون من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة ، ونحن اليوم على غير هذه العاده نتحدث عن عَلَمٍ ، ولكن ليس من أعلام المسلمين ولكنه علم أعلام المسيحية ، وهو الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية ، وأعظم رجل يشار إليه بالبنان في الديانة المسيحية ، لقد توفي بالأمس وتناقلت الدنيا خبر هذه الوفاة ، ومن حقنا أو من واجبنا أن نقدم العزاء إلى الأمة المسيحية، وإلى أحبار المسيحية في الفاتيكان وغير الفاتيكان من أنحاء العالم ، وبعضهم أصدقاء لنا، لاقيناهم في أكثر من مؤتمر وأكثر من ندوه وأكثر من حوار ، نقدم لهؤلا العزاء في وفاة هذا الحبر الأعظم الذي يختاره المسيحيون عادة اختياراً حراً ، نحن المسلمون نحلم بمثل هذا أن يستطيع علماء الأمه أن يختاروا ، يعني شيخهم الأكبر أو إمامهم الأكبر اختياراً حراً ، وليس بتعيين دولة من الدول أو حكومة من الحكومات ، نقدم عزائنا في هذا البابا الذي كان له مواقف تذكر وتشكر له ، ربما ... يعني بعض المسلمين يقول أنه لم يعتذر عن الحروب الصليبية ، وما جرى فيها من مآسي للمسلمين ، كما اعتذر لليهود ، وبعضهم يأخذ عليه بعض أشياء ، ولكن مواقف الرجل العامة وإخلاصه في نشر دينه ونشاطه حتى رغم شيخوخته وكبر سنه ، فقد طاف العالم كله وزار بلاداً ومنها بلاد المسلمين نفسها فكان مخلصاً لدينه وناشطاً من أعظم النشطاء في نشر دعوته والإيمان برسالته ، وكان له مواقف سياسية يعني تسجل له في حسناته!!! مثل موقفه ضد الحروب بصفة عامة ، فكان الرجل رجل سلام وداعية سلام ، ووقف ضد الحرب على العراق ووقف أيضاً ضد إقامه الجدار العازل في الأراضي الفلسطينية، وأدان اليهود في ذلك ، وله مواقف مثل هذه يعني تذكر فتشكر ، ولانستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ماقدم من خير للإنسانية ، وما خلَّف من عمل صالح أو أثر طيب، ونقدم عزاءنا للمسيحين في أنحاء العالم

(١) مجلة الراية عدد (٤٦٩٦) الصادرة بتاريخ ٢٤ شعبان ١٤١٥ هـ الموافق ٢٥ يناير ١٩٩٥ م .

ولأصدقائنا في روما وأصدقائنا في جمعية (سانت تيديو) في روما ، ونسأل الله أن يعوض الأمة المسيحية فيه خيراً).[1]

و جاء فى جريدة آفاق عربية عدد ٧٠٣ : (نعى فضيلة الأستاذ مهدى عاكف المرشد العام لجماعة الإخوان وفاة البابا يوحنا بولس الثانى ... وأشار فضيلته إلى دوره ... متمنياً أن تختار الطائفة الكاثوليكية خلفاً له يرفع شعار الحريات).

وأما عبدالمجيد الزندانى الإخوانى اليمني الهالك فإنه يدعو إلى وحدة الأديان فى كتابه " توحيد الخالق" ، فقال(ص١٠٤):" فالإيمان بالكتب السابقة ينقى روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الديانات ، وضد المؤمنين بالديانات ماداموا على الطريق الصحيح!!".

وأما حسن الترابى- ترب الله وجهه- فلم يدع إلى وحدة الأديان فقط بل ترأس مؤتمر توحيد الأديان ونشر ذلك في وثائق ، وقد انعقد المؤتمر مرة أخرى بموجب الوثيقة الأولى رقم (١) ، وجاء في صحيفة السودان الحديث بالعدد رقم ١٢٠٢ في ١٩٩٣/٢٩م والعناوين البارزة الترابي يحاضر الوفود المشاركة في مؤتمر الأديان.

وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة رقم (١٩٤٠٢):"ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) ، وقال جل وعلا: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) ، وقال تعالى: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) ، وقال تعالى: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ.... الآية) ، وغيرها من الآيات.

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار" ، ولهذا فمن لم يُكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر، طرداً لقاعدة الشريعة: (من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر).

(1) برنامج الشريعة والحياة ، وهو موجود بنصه على الشبكة فى موقع القرضاوى.

وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردَّة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) ، وقوله جل وعلا: (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)"اهـ.

ويقول أسامة القوصي وهو يتكلم عمن يصلح أن يكون رئيساً لدولة الفاتيكان: لابد أن يكون مسيحياً، وكاثوليكياً، يعني لا يصلح أن يكون البابا شنودة-حفظه الله تعالى- لا يصلح أن يكون رئيساً لدولة الفاتيكان"اهـ ولما ضحك المحاور، قال مؤكداً أن ذلك ليس ذلة لسان: "شوف أنا بتكلم إزاي".

وأفتى بجواز تولى حاكم نصراني حكم مصر، وقال وهو يبين أن نجيب سويرس لو ترشح للرئاسة فإنه سينتخبه: "الأستاذ نجيب سويرس رجل عاقل، عاقل جداً، وحكيم، وناجح فى تجارته فى أعماله، وليس من الذين عُدّوا من المفسدين، بالرغم من إنه مسيحى لكنه محترم، ...، يعنى لو ترشح أسامة بن لادن ونجيب سويرس أختار الأستاذ نجيب سويرس قطعاً"اهـ.

وعلى نفس الطريقة يسير صفوت حجازى وعمرو خالد الذين يصرحان بأن النصارى إخوة لهم، وقد وقَّع الحزبيون عن بكرة أبيهم على إعلانهم الذي يوجب بناء كنيسة أطفيح بحلون القاهرة، ولا أدري هل هذا الوجوب يستند إلى الشرع أم يستند إلى الدستور الوضعي؟ (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

٨ - العمل الجماعي التنظيمى والبيعة لرئيس الحزب تحت ستار الدعوة:

يقوم الحزبيون تحت ستار تنظيم العمل الدعوي بإنشاء الأحزاب والجماعات التى يدين أعضاؤها بالولاء المطلق لقيادتها فى الحق والباطل، وتأخذ هذه القيادة شخصاً كان أو مجموعة العهد والبيعة على السمع والطاعة وتنفيذ أوامر القيادة دون نظر إلى الحكم الشرعي.

وأركان البيعة الإخوانية عشرة ذكرها المؤسس والمرشد حسن البنا فى رسالة التعاليم ضمن مجموعة رسائله ، يقول:

"أيها الإخوة الصادقون أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها:

(١) الفهم (٢) الإخلاص (٣) العمل (٤) الجهاد
(٥) التضحية (٦) الطاعة (٧) الثبات (٨) التجرد
(٩) الأخوة (١٠) الثقة".[1]

وهذه البيعة تخالف بيعة النبى ﷺ فهى أقل من بيعة البنَّا ، ففي صحيح البخاري من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم).[2]

أقول: أليس معنى أخذهم البيعة أنهم من الخوارج؟ لأنهم يرون أن البيعة للمرشد وليست لولى الأمر (الحاكم) ولا يجوز لمسلم أن يبايع إلا من كانت له شوكة ، فما السر عند الإخوان فى هذه البيعة إلا أنهم يرون كفر الحكام!!.

والبيعة لا تؤخذ فى الدعوة إلى الله فإن العلماء قديماً وحديثاً يدعون إلى الله بدون هذه البيعات الحزبية التى تعلن الخروج على الحكام والدعوة لا تحتاج إلى بيعة ، فهل أخذ شيخ الإسلام ابن تيمية البيعة على الناس؟ وهل أخذها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، وقد بارك الله فى دعوة علماء السلف دون أخذ بيعة على الناس غير بيعة ولى الأمر المسلم ، فهؤلاء أصبح ولى أمرهم هو مهدى عاكف بدلاً من الحكام المسلمين!!.

وروى الذهبي في ((السير٤/١٩٢)) بسنده إلى قتادة قال: حدثنا مطرف (ابن عبدالله بن الشخير التابعي المعروف) قال: كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول: "يا عباد الله أكرموا وأجملوا فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين الخوف والطمع ، قال: فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتاباً فنسَّقوا فيه كلاماً من هذا النحو: إنّ الله ربنا ومحمداً نبينا والقرآن إمامنا ، ومن كان معنا كنا وكنا ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا، قال: فجعل يُعرض الكتاب عليهم رجلاً رجلاً ، فيقولون: أقررت يا فلان؟ حتى انتهوا إلي فقالوا: أقررت يا غلام؟ ، قلت: لا. قال: زيد لا تعجلوا على الغلام ، ما تقول ياغلام؟ ، قلت: إنّ الله قد أخذ عليّ عهداً في كتابه

(1) رسائل البنا (ص ٢٦٨).
(2) أخرجه البخاري في الأحكام باب ٧١٩٩/٤٣.

فلن أحدث عهداً غير العهد الذي أخذه عليّ ، فرجع القوم من عند آخرهم ما أقر منهم أحد وكانوا زهاء ثلاثين نفساً" اهـ.

وفي هذا الأثر دليل واضح على أنّ البيعة لا تؤخذ في الدعوة لأنّ الله عزّ وجلّ قد أخذ على عباده أن يطيعوه ويطيعوا رسوله وأن يفعلوا ما أمرهم به ، وينتهوا عما نهاهم عنه ، وأن يبلغوا دين الله جل وعلا للخلق ، فليس على الداعية إلا بيان الشرع للناس وتبليغهم شرع الله جل وعلا ، أما أن يأخذ عليهم البيعة أن يخلصوا أو أن يتجردوا لما أوجبه عليهم أو كلفهم به أو أن يثق التابع فى المتبوع ولا يعصى أمره فهذا ليس من دين الله فى شئ.

يقول ياسر برهامي فى بيان علاج الاختلاف: " وخلاصة العلاج: ١- أن يُتفق على تحذير الناس من الدعاة على أبواب جهنم ومعرفة ضررهم، وإنعدام ولايتهم شرعاً وإن استقرت واقعاً (يقصد حكام المسلمين)، ٢- جمع الناس على علمائهم على أن يقدموا أمثلهم وأعلمهم ، فإن تعذر الجمع استقل كل أهل بلد بعالمهم كحل مؤقت أقل فى الضرر من تركهم بلا قيادة وإن كان لابد من السعي إلى تحقيق الأمر الأول، وهو الاتفاق على تقديم واحد ولا خلاف أنه لا يكون من أهل العلم الصالحين للتقديم إلا من كان من أهل السنة والجماعة"اهـ. [1]

وقال عن التزام الشباب بالسمع والطاعة لقادة الجماعات:"وأن التزامهم بالسمع والطاعة لمن هو أعلم منهم وأمثل في قيادة العمل الإسلامي لتحقيق الواجبات هو علامة على انتفاء الكبر المذموم والحسد والرياء وحب الرياسة من قلوبهم"اهـ. [2]

وقد اتضحت هذه العلامات اليوم أكثر بعد قيام هؤلاء الحزبيين بتأسيس الأحزاب السياسية العلمانية (التى لا تقوم على أساس ديني كما ينص عليه قانون الأحزاب)، ودخول المجالس البرلمانية، وذلك سعياً لتحقيق الأغلبية النيابية فى البرلمان الإسلامي ثم تطبيق الشريعة عن طريق صناديق الاقتراع النزيهة، ثم قيام الدولة الإسلامية ثم الخلافة ثم ... ثم ...، إلخ [3] هذه الأحلام الكاذبة التى لا تقوم على شئ من فقه الشرع ولا من الفقه الواقع!! فتأمل ، وفى

---

(1) فقه الخلاف (٥٦).

(2) السابق (٥٢).

(3) وقد صرح بذلك محمد عبدالملك الزغبي في لقائه على إحدى الفضائيات مؤكداً أن الطريق اليوم قد اقترب إلى القدس والمسجد الأقصى، ثم ذكر هذه الخطوات العملية ، فلعل هذه الخطوات خارطة الطريق الجديدة!!.

المثل العربي: "لا يستقيم الظل والعود أعوج"، فالقوم لا يطلبون إلا الكراسي، ولو كانت على حساب تضييع الدين ، فاللهم هداك.

٩- تقليب الحقائق:

وهذا من الأساليب التى استخدمها إبليس اللعين، عندما **قال لآدم**: (يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)، و (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)، فسمى نفسه ناصحاً أميناً وسمَّى سبب الزوال خلداً، وسمى زوال الملك ملكاً لايبلى، وأقسم على ذلك.

وورثه أتباعه من بعده كما قال أصحاب مدين: (وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ).

وقال فرعون عن موسى عليه السلام: (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)، فسمى دعوة التوحيد فساداً والعياذ بالله، وسمى كفره إصلاحاً وديانة يخاف من تغييرها.

وقد فعل المشركون ذلك مع النبي ﷺ (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ)، قال العلامة السعدي: "وإذا تتلى على المكذبين { آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ } بحيث تكون على وجه لا يمترى بها ولا يشك في وقوعها وحقها، لم تفدهم خيراً بل قامت عليهم بذلك الحجة، ويقولون من إفكهم وافترائهم (لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)، أي: ظاهر لا شك فيه، وهذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول"اهـ.

ثم ورثهم المنافقون، وقال تعالى: (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ).

وقال الإمام الوادعي –رحمه الله -في ذكر صفات المنافقين :" ومن صفاهم أهم يعملون الفساد ويزعمون أهم مصلحون، قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)، وإن هذا الوصف ليصدق على كثير من ذوي الأحزاب الإلحادية كالحزب الشيوعي، والحزب الاشتراكي، والحزب البعثي، فهم يغرون المجتمع بالتقدم والرقى والإصلاح، وكذبوا فما زادوا المجتمعات إلا خراباً ودماراً وانحطاطاً وعمى"اهـ.

ثم ورثهم الروافض الذين يتدينون بالكذب، **قال شيخ الإسلام** -رحمه الله-: "وظهور فضائل شيخي الإسلام أبي بكر وعمر أظهر بكثير عند كل عاقل من فضل غيرهما، فيريد هؤلاء الرافضة قلب الحقائق ولهم نصيب من قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ)، وقوله: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)، ونحو هذه الآيات، فإن القوم من أعظم الفرق تكذيباً بالحق وتصديقاً بالكذب، وليس في الأمة من يماثلهم في ذلك"اهـ.

١٠- الافتراء والبهت على الناقدين الناصحين من أهل العلم:

أصل الافتراء هو من سنن إبليس، حيث افترى على الله بقوله: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُما عنَ هَٰذَهِ الشجَّرَةَ إِلاِ أنَ تْكُونا ملَكَيْنِ أوَْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِين).

وهذا من سنن قوم نوح عليه السلام، قال ربنا عز وجل عن قومه بعد أن نصحهم: (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ).

وهذا من سنن عاد، قال ربنا عز وجل عنهم بعد أن نصحهم هود عليه السلام : (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ).

وفرعون قال: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)، **وقال الملأ من قومه**: (إِنِ هذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنَ يُخْرِجَاكُمُ مِنِ أَرضِكْمْ بِسِحْرِهِمَا وَيذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى).

وقد افتروا على البتول: (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا).

وهو دأب المبتدعة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءاً سماه "تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة" ، ذكر فيه كلام السلف وغيرهم فى معانى هذا الباب وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي بألقاب افتروها، فالروافض تسميهم نواصب ،والقدرية يسموهم مجبرة، والمرجئة تسميهم شكاكاً، والجهمية تسميهم مشبهة ، وأهل الكلام يسموهم

حشوية ونوابت وغثاء وغثراً، إلى أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمى النبى تارة مجنوناً وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفتريا ً، قالوا فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة ، فإن السنة هى ما كان عليه رسول الله وأصحابه اعتقادا ً واقتصادا ً وقولاً وعملاً، فكما أن المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدهم الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به فى المحيا والممات باطناً وظاهراً"اهـ.

١١ - الصد عن الحق والتنفير من أهله:

إن النفور والصد والتنفير من الحق وأهله من شأن الكفار، **قال تعالى**: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ).

وقال تعالى: (يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنهَوْنَ عَنهُ وَيَنأَوْنَ عَنهُ وَإِنْ يهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ).

وقال تعالى في المنافقين: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُون).

وقال الإمام الوادعي –رحمه الله–: "ولسنا نتوقع من علماء الكلام وغيرهم من ذوي الزيغ أن يعظموا سنة رسول الله ﷺ، بل دأبهم التنفير عنها وتلقيب حملتها بالألقاب المنفّرة، ... ولكن أبى الله إلاّ أن ينصر أهل السنة، ويذلّ أهل البدعة والحمد لله"اهـ.

وقال في شأن الإخوانيين والتجمع:" فمنذ بدأت الدعوة هنا وهم يحاربونني بالتنفير وبالابتعاد بشبابهم عني"اهـ.

وقال في السروريين: " كما يقال: العالم الفلاني ما يعرف عن الواقع شيئًا، أو عالم جامد، تنفير، كما تقول مجلة" السنة "التي ينبغي أن تسمى بمجلة" البدعة"، فقد ظهرت عداوهما لأهل السنة من قضية الخليج"اهـ.

وقال : " وهذه الحزبيات التي تمسخ الشباب يجب على المسلم أن يفر منها فراره من الأسد، فربما تنتهي بأصحابها إلى محاربة الإسلام، فهاهم الإخوان المفلسون يحاربون دعوة أهل السنة وينفرون عنها ويلقبوهم بالألقاب المنفرة أعظم مما كان المعتزلة يلقبون أهل السنة ....

وهؤلاء لا يتركون لقباً ينفر ويستطيعون أن يتفوهوا به إلا رموا به أهل السنة، قاتل الله الحزبية"اهـ.

١١- **الحرص على المناصب والكراسي والأمور السياسية** والواقع خير شاهد على تبنيهم للنظام الديموقراطي الغربي، جرياً وراء المناصب والعضوية بمجالس الشعب، لذلك يدفعون الناس دفعاً بالفتاوى الباطلة والتأويلات الفاسدة إلى المشاركة فى الانتخابات والأحزاب والاستفتاء، وإنما يريدون الوصول إلى المناصب والكراسي على حساب الدين وعلى أكتاف البسطاء من المسلمين.

١٢- شعار توحيد الحاكمية:

هذا كما هو معروف من أشهر شبهات الحزبيين أن الحاكمية قسم مستقل من أقسام التوحيد، ثم هم يكرسون جهودهم في الثورات والانقلابات على حكام المسلمين تحت هذا الشعار المزيف، كما فعله الخوارج القدامى.

عن عبيدالله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب ﷺ قالوا:لا حكم إلا لله، قال علي: "كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم- وأشار إلى حلقه -من أبغض خلق الله إليه".

وجعل الحاكمية قسماً مستقلا بدعة، وقد جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة"(٣٢) جزءاً (٢٧ / ٣٧٦)، السؤال الخامس من الفتوى رقم (١٨٨٧٠)

س ٥ : بدأ بعض الناس– من الدعاة– يهتم بذكر توحيد الحاكمية ، بالإضافة إلى أنواع التوحيد الثلاثة المعروفة . فهل هذا القسم الرابع يدخل في أحد الأنواع الثلاثة أم لا يدخل ، فنجعله قسماً مستقلاً حتى يجب أن نهتم به ؟ ويقال : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب اهتم بتوحيد الألوهية في زمنه ، حيث رأى الناس يقصرون من هذه الناحية ، والإمام أحمد في زمنه في توحيد الأسماء والصفات ، حيث رأى الناس يقصرون في التوحيد من هذه الناحية ، وأما الآن فبدأ الناس يقصرون نحو توحيد الحاكمية ، فلذلك يجب أن نهتم به ، فما مدى صحة هذا القول ؟

الجواب:

أنواع التوحيد ثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وليس هناك قسم رابع ، والحكم بما أنزل الله يدخل في توحيد الألوهية ؛ لأنه من أنوع العبادة لله سبحانه ، وكل أنواع العبادة داخل في توحيد الألوهية ، وجعل الحاكمية نوعاً مستقلاً من أنواع التوحيد عمل محدث ، لم يقل به أحد من الأئمة فيما نعلم ، لكن منهم من أجمل وجعل التوحيد نوعين : توحيد في المعرفة والإثبات ؛ وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات . وتوحيد في الطلب والقصد ؛ وهو توحيد الألوهية ، ومنهم من فصل فجعل التوحيد ثلاثة أنواع كما سبق . والله أعلم .

ويجب الاهتمام بتوحيد الألوهية جميعه ، ويبدأ بالنهي عن الشرك ؛ لأنه أعظم الذنوب ويحبط جميع الأعمال ، وصاحبه مخلد في النار ، والأنبياء جميعهم يبدؤون بالأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك، وقد أمرنا الله باتباع طريقهم والسير على منهجهم في الدعوة وغيرها من أمور الدين.

والاهتمام بالتوحيد بأنواعه الثلاثة واجب في كل زمان ؛ لأن الشرك وتعطيل الأسماء والصفات لا يزالان موجودين ، بل يكثر وقوعهما ويشتد خطرهما في آخر الزمان ، ويخفى أمرهما على كثير من المسلمين ، والدعاة إليهما كثيرون ونشيطون.

وليس وقوع الشرك مقصوراً على زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا تعطيل الأسماء والصفات مقصوراً على زمن الإمام أحمد – رحمهما الله – ، كما ورد في السؤال ، بل زاد خطرهما وكثر وقوعهما في مجتمعات المسلمين اليوم ، فهم بحاجة ماسة إلى من ينهى عن الوقوع فيهما ويبين خطرهما . مع العلم بأن الاستقامة على امتثال أوامر الله وترك نواهيه وتحكيم شريعته – كل ذلك داخل في تحقيق التوحيد والسلامة من الشرك.

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	عضو	نائب الرئيس	الرئيس
بكر أبوزيد	صالح الفوزان	عبدالله الغديان	عبدالعزيز آل شيخ	عبدالعزيز بن باز

وسئل الإمام ابن عثيمين –رحمه الله–: ما تقول فيمن أضاف للتوحيد قسماً رابعاً وسماه توحيد الحاكمية؟

فأجاب رحمه الله: "نقول: إنه ضال وجاهل؛ لأن توحيد الحاكمية هو توحيد الله عز وجل، فالحاكم هو الله عز وجل، فإذا قلت: للتوحيد ثلاثة أنواع كما قاله العلماء: توحيد الربوبية ،فإن توحيد الحاكمية داخل في توحيد الربوبية؛ لأن توحيد الربوبية هو توحيد الحكم والخلق والتدبير لله عز وجل، وهذا قول محدث منكر، وكيف توحيد الحاكمية ما يمكن أن توحد هذه؟ هل معناه: أن يكون حاكم الدنيا كلها واحد أم ماذا؟ فهذا قول محدث مبتدع منكر، ينكر على صاحبه، ويقال له: إن أردت الحكم فالحكم لله وحده، وهو داخل في توحيد الربوبية؛ لأن الرب هو الخالق المالك المدبر للأمور كلها، فهذه بدعة وضلالة"اهـ.

وسئل الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألبانى –رحمه الله– :

السؤال: شيخنا بارك الله فيك ذكر علماء السلف رحمة الله عليهم أن التوحيد أنواع ثلاثة : الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فهل يصح أن نقول بأن هناك توحيداً رابعاً هو توحيد الحاكمية أو توحيد الحكم؟

فأجاب: الحاكمية فرع من فروع توحيد الألوهية ، والذين يدندنون بهذه الكلمة المحدثة فى العصر الحاضر يتخذون سلاحاً ليس لتعليم المسلمين التوحيد الذى جاء به الأنبياء والرسل كلهم ، وإنما هو سلاح سياسى ، وأنا من أجل هذا: إن شئت أن أثبت لكم ما قلت آنفاً مع أن هذا سؤال تكرر منى الجواب مراراً وتكراراً عنه ، وإن شئت مضينا فى ما نحن فيه ، أنا قلت فى مثل هذه المناسبة تأييداً لما قلت آنفاً: إن كلمة الحاكمية هو من تمام الدعوة السياسية التى يختص بها بعض الأحزاب القائمة اليوم ، وأذكر بهذه المناسبة قصة وقعت بينى وبين أحد الخطباء فى مسجد من مساجد دمشق ، يوم الجمعة خطب خطبة كلها حول الحاكمية لله عز وجل ، أخطأ هذا الإنسان فى مسألة فقهية ، لما انتهى من صلاة الجمعة تقدمت إليه وسلَّمت عليه ، وقلت له: يا أخى أنت فعلت كذا وكذا وهذا خلاف السنة ، قال لى: أنا حنفى والمذهب الحنفى يقول بما فعلته ، قلت: سبحان الله أنت خطبت أن الحاكمية لله عز وجل ، فأنتم تستعملون هذه الكلمة فقط لمحاربة من تظنون من الحكام أنهم كفار لأنهم لا يحكمون

بالشريعة الإسلامية ، ونسيتم أنفسكم أن هذه الحاكمية تشمل كل مسلم ، فلماذا أنت الآن أنا أذكر لك أن الرسول فعل كذا وأنت تقول أنا مذهبي كذا أنت خالفت ما تدعو النـــاس إليه.

فنحن لولا أنهم اتخذوا هذه الكلمة وسيلة للدعاية السياسية عندهم ، كنا قلنا:(هذه بضاعتنا ردت إلينا) ، فالدعوة التي ندعو الناس إليها فيها الحاكمية ، وفيها غير الحاكميـــة : توحيـــد الألوهية وتوحيد العبادة ، يدخل فيها ما تدندنون حوله ونحن الذين نشرنا ما تذكرونه حينما تدندنون حول الحاكمية : حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ لما تلا على الصحابة الكـــرام هذه الآية:(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ، قال عدي بن حاتم الطـــائي: والله يارسول الله ما اتخذناهم أرباباً من دون الله ، قال: "ألستم كنتم إذا حرمـــوا لكـــم حـــلالاً حرمتموه ، وإذا حللوا لكم حراماً حللتموه" ، قال : أما هذه فقد كان ، قال: "فذاك اتخاذكم إياهم أرباباً من دون الله" ، نحن الذين نشرنا هذا الحديث ووصل هذا إلى الآخرين ثم طوروا جزءاً من توحيد الألوهية أو العبادة بهذا العنوان المبتدع لغرض سياسي ، فأنا لا أرى شيئاً في اصطلاح كهذا لولا أنهم وقفوا عنده دعاية ولم يعملوا بمقتضاه ، وهذا كما ذكرت آنفاً جزء من توحيد العبادة فتراهم يعبدون الله كيف ما اتفق لأحدهم ، وإذا قيل –كما ذكرنا آنفاً في قصتنا مع الخطيب– هذا يعمل خلاف السنة ، هذا خلاف قول الرسول عليه الصلاة والسلام ، قال: أنا مذهبي كذا.

الحاكمية لله ليست فقط ضد الكفار والمشركين وضد المعتدين ، أيضاً الـــذين يتعبـــدون الله بخلاف ما جاء عن الله في كتابه وعن نبيه عليه الصلاة والسلام في سنته ، هذا ما يحضرني في الجواب عن مثل هذا السؤال"اهـــ.[1]

(1) راجع كتاب: " العلماء يتولون تفنيد الدعاوى السياسية المنحرفة لعبدالرحمن عبدالخالق". لأبي أحمد السلفي (ص٦٣-٦٦).

وإليك أبرز المفاسد والمساوئ للتحزب والتفرق :

أولاً : ((الفرقة في الإسلام لا تكون إلاَّ على أساس الاختلاف في الكتاب، ونتيجتها تَمَــزُّق الأُمَّة إلى أحزاب، قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِــي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

ثانياً : قولهم : لا عمل للإسلام إلاَّ بحزب ، إذاً فإلى أي حزب ينتمي الداعية ؟ أم يطلبون من المسلم أن يكون متحزِّباً مفرِّقاً لكلمة المسلمين ، وأن تكون له الحرِّية في الانتماء إلى ما شــاء من الأحزاب ، حتَّى يكونوا سواء في الملامة والمؤاخذة ، كما كان يقول قــوم لــوط عــن المؤمنين:{إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} .

ثالثاً : الإذن بالأحزاب في الإسلام فيه فتح باب لا يرد بدخول أحزاب تتسمَّى بالإســلام ، وهي حرب عليه ، فكم تبع أناس القاديانية والبهائية وما إليها ، وكم التفَّ حولها من المسلمين ما لا يحصيهم إلاَّ الله فأخرجتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر والضلال.

رابعاً : ((التعدُّد داعية الفرقة ، والفرقة سبب للمنازعة المورِّثة للفشل والضعف والــوهن، قال الله تعالى : { وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... } (... فالحزبية هي الفرقــة الــتى تنشر البغضاء بين أهل الإسلام ، قال الله تعالى : { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِــن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } .

خامساً : الحزبية تصرف نظر الأمة عن أمراضها الأساسية، وهي مخالفتها لتوحيد الله –جــل وعلا– وتصرف نظر المسلمين إلى السياسة ومصارعة الأنظمة الحاكمة، وهذا مخالف لهــدى النبي ﷺ ودعوته.

سادساً : تأسيس الأحزاب لا يقوم على أساس ديني كما تنص عليه قوانين تنظيم الأحــزاب السياسية فى جميع دول العالم الإسلامي التى تتبنى النظام الديموقراطي العلمــاني، وفى قــانون الأحزاب المعدل فى مصر :" يمنع تأسيس أى حزب سياسي على أساس ديــني أو طــائفي أو مذهبي .. إلخ"، وإنما يصير الولاء والبراء على الدستور الوضعي العلماني.

سابعاً : ((هل يسمح الحزب بتعدُّد الأحزاب في البلدة الواحدة ، وتوزع انتماءات أهلها ؟

... فمن قال : نعم ، فهو جواب مَن لا يعقل ولا يريد بالأُمَّة خيراً .

وإن قال : لا ، فكيف يسمح لنفسه بحزبه دون بقية الأحزاب ؟

ليس أمامنا إلاَّ لزوم جماعة المسلمين السائرين على مدارج النبوة ، مَن كان على مثل ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم –)) .

ثامناً : ((بدعيتها ، ولو لم يكن من أمر الحزبية التي تنفرد باسم أو رسم عن منهاج النبوة ، إلاَّ أنَّها عمل مستحدث لم يُعْهَد في الصَّدر الأوَّل [لكان كافياً في المنع منها] فليسعنا ما وسعهم)) [(١)].

تاسعاً : **قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري** : ((إنَّ الإسلام لا يتحمَّل في داخله تنظيماً آخر بحيث تكون أُسُس ذلك التنظيم وقواعده أساساً للولاء والبراء ... وذلك لأنَّ الإسلام لَّما قضى على جميع المواد التي كانت أساس الولاء والبراء في الجاهلية ، وجعل الإسلام نفسه مادَّة الولاء والبراء ، وجعل جميع المسلمين سواسية في الحقوق ، لم يبق عنده مجال لتعدُّد الجماعات والكتلات المتفرقة ، بحيث لا يكون لإحداها حقوق وعلاقات بالأخرى حتى يحتاج إلى عقد التحالف بينها)) . [(٢)]

وبما سبق يتبيَّن أنَّ الحزبية المفرِّقة بين الأُمَّة ضررها أكبر من نفعها ، وإذا كان المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن مَن أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، فإنَّ التنظيم ذا التوجه الشمولي يعطي لنفسه الحق في الانفراد بقرارات تؤثِّر على مجموع الأُمَّة كتدبير الانقلابات ، وشنِّ الغارات بحيث لا يشعر الناس بالأمان من جانب ذلك التنظيم ويتوجسون منه الشر كل حينٍ وآن .

قال صفي الرحمن المباركفوري: ((إذا قلنا بتكوين الأحزاب السياسية في الإسلام ، فالحزب إمَّا أن يجعل الإسلام أساس الولاء والبراء أو يجعل أمراً آخر غيره ، فإنْ جَعَلَ الإسلام هو الأساس فإنَّ الإسلام لا يحتاج إلى إقامة حزب آخر ، أو تنظيم جماعة أخرى ، بل هو نفسه يكفي لذلك ، وإن جعل أساسهما أمراً آخر غير الإسلام فإنَّ هذا الأمر في معظم أحواله لا يخلو من أن يكون من أُمور الجاهلية من العنصر والقبيلة واللغة والوطن وغيرها ، ومعلوم أنَّ الإسلام قد نهى عن الدَّعوة إليها ، وعن الانضمام تحت لوائها ، روى مسلم عن أبي هريرة

---

(1) انظر :" التحذير من التفرق والحزبية" (ص٢٣) عثمان بن معلم، وأحمد حاج.

(2) "الأحزاب السياسية في الإسلام".

ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((مَنْ قَاتَل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلة جاهلية)).

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة : مُلْحِد في الحرم ، ومبتغٍ في الإسلام سُنَّة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه)).

إذن فلندع هذا الأساس المنتن للأحزاب ، ولا نلوّث به الإسلام))اهـ.

أما حكم الانتماء إلى هذه الفرق والأحزاب : فيعرف ذلك من خلال معرفة مراد النبي ﷺ من وراء إخباره بحديث افتراق أمته ، فكل عاقل لبيب يدرك أن مراد النبي ﷺ من الإخبار بذلك هو التحذير والوعيد من الاختلاف والافتراق وكذلك وجوب اعتزال تلك الفرق والأحزاب عند وقوعها وخاصة عند عدم وجود جماعة للمسلمين تجمعهم ، وإمام يقودهم، بدليل ما جاء في حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال : فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"، قال : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال:"فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".، وقد سبق ذكر الحديث.

<u>ومما يستفاد من الحديث:</u>

قال الحافظ ابن حجر:" قال الطبري في شرح حديث حذيفة الذي أورده البخاري تحت باب ((كيف الأمر إذا لم تكن جماعة)) قال : ((... وفي هذا الحديث أنَّه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً ، فلا يتَّبع أحداً في الفرقة ، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك ، خشيةً من الوقوع في الشر))[1].

وقال الشيخ الألباني " في هذا الحديث أنَّ المسلم إذا أدرك مثل هذا الوضع ؛ فعليه حينذاك ألاَّ يتحزَّب ، وألاَّ يتكتَّل مع أي جماعة أو مع أي فرقة ، مادام أنَّه لا توجد الجماعة التي عليها إمام مبايع من المسلمين"اهـ.

---

(1) ((فتح الباري : ٣٧/١٣)).

عاشراً: ومن مفاسد الحزبية والتنظيمات: أخذ البيعة على السمع والطاعة للحزب أو لزعيمه:

قال الشيخ محمد بن رمزان آل طامي كما فِي ((الكواشف الجلية : ٥٨)) : ((البيعة : اصطلاحًا : "هِيَ العهد عَلَى الطاعة ، كأن المبايع يُعاهد أميره عَلَى أن يُسلم إليه النظر فِي أمر نفسه ، وأمور المسلمين ، لا يُنازعه فِي شيء من ذَلِكَ ، ويُطيعه فيما يُكلفه به من الأمر عَلَى المنشط والمكره وكانوا إذا بايعوا الأمير، وعقدوا عهده ، جعلوا أيديهم فِي يده تأكيدًا للعهد ، فأشبه فعل البائع والمشتري فسمي بيعة، مصدر باع...وصارت البيعة مُصافحة بالأيدي، وهذا مدلولَها فِي عُرف اللغة ومعهود الشرع .

ولا يكون ذَلِكَ شرعًا وعُرْفًا إلا للحاكم المسلم الممكن الَّذِي يَمتلك من الصلاحية والمسئولية ما يَجعله قادرًا عَلَى إقامة الدين وإنفاذ الأحكام وتنفيذ العقوبات الشرعية وإعلان الحرب ، والجنوح إلى السلم وما إلى ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُختص بالحاكم المسلم فِي أي بلد من البلدان الإسلامية.

فالبيعة إذن تعني إعطاء العهد من المبايع عَلَى السمع والطاعة للأمير فِي المنشط والمكره والعسر واليسر وعدم مُنازعته الأمر ، وتفويض الأمور إليه"اهـ.

وقد بين أحد كبار المنظرين من جماعة الإخوان المسلمين، وهو على عشماوى –آخر قادة التنظيم السري سنة١٩٦٥–أمراض التنظيمات السرية ، وهى نصيحة مجرب [1] ، فقال:"أمراض التنظيمات السرية:

أ- الإحساس بالملكية هو من أخطر الأمراض التى تنشأ داخل التنظيمات السرية ويعنى إحساس أحد المسؤلين بملكية المجموعة الموضوعة تحت قيادته، لأنه هو الذى أتى بهم واختبرهم وعلمهم ودربهم.

ب- عدم وجود ضوابط للديموقراطية، أى أن الأمر قائم على السمع والطاعة المطلقة، فالعمل السرى لا يحتمل المناقشات بالتسلط عند المسؤلين وضيقهم من المناقشة.

---

(1) ومن المعلوم انحراف على عشماوى حتى بعد تركه للإخوان وطعنه عليهم، وإنما نقلنا ذلك على حد قوله تعالى:(وشهد شاهد من أهلها)، وإن كنا لا نوافقه فى الثناء على الديموقراطية ونحوه من الأخطاء.

ت- عدم اكتشاف فساد القيادة بسهولة، فالجو السرى المنضبط هو خير مناخ لتغطية القائد الفاسد وعدم كشفه فى الوقت المناسب، وإذا اكتشف فهناك مخاطرة من إبعاده خوفاً من كشف التنظيم.

ث- عدم التعود على العلنية، وهذا مما يجعل الأفراد منعزلين عن المجتمع لا يشاركون فيه لإحساسهم أن هناك انفصالاً فكرياً وعقائدياً بينهم وبينه، مما يبعدهم أكثر عن المشاركة العلنية فى أمور المجتمع، واعتبار أتفه الأمور من الأسرار، والخوف من الحديث عما فى نفوسهم مع غير المنتمين إليهم خوفاً من ردود فعل المستمع حتى لو كان الكلام عادياً وموضوعياً.

ج- الشك فى السلطة والشك الدائم فى نوايا رجال السلطة هى إحدى سمات المنتمين إلى تنظيمات سرية ،وعدم الثقة بهم حتى وإن تحدثوا بإخلاص وفى أمور موضوعية.

ح- الإحساس بالخطر ورجال التنظيمات السرية يعيشون ومعهم دائماً الإحساس بالخطر، وعدم الثقة والإطمئنان إلى أى جهة أو فرد، وهذا الإحساس مع طول المدة مرهق جداً ومدمر للنفس"اهـ. [١]

وجوب التحذير من الحزبيين وجميع المبتدعة

إن الذي ذكرت في الأبواب السابقة يكفي في بيان بطلان الحزبية وخطورتها وأهلها على المسلمين، فلابد من التحذير منها ومن أهلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وعلى المعلمين أن يكونوا متعاونين على البر والتقوى، كما أمر النبى بقوله: " المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه"، وقوله: " مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"، وقوله: " والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه"، وقوله:" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" وشبك بين أصابعه وقال: " لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً"، وهذا كله فى الصحيح، وفى السنن عنه أنه قال: " ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين".

---

(1) (التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين ص٤٨-٤٩)

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال: " تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا"، وقال:" لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

وليس لأحد من المعلمين أن يعتدى على الآخر، ولا يؤذيه بقول ولا فعل بغير حق، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، وليس لأحد أن يعاقب أحداً على غير ظلم، ولاتعدى حد، ولا تضييع حق، بل لأجل هواه فإن هذا من الظلم الذى حرم الله ورسوله، فقد قال تعالى فيما روى عنه نبيه: " يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا".

وإذا جنى شخص فلا يجوز أن يعاقب بغير العقوبة الشرعية، وليس لأحد من المتعلمين والأستاذين أن يعاقبه بما يشاء، وليس لأحد أن يعاونه ولا يوافقه على ذلك، مثل أن يأمر بهجر شخص فيهجره بغير ذنب شرعى، أو يقول أقعدته أو أهدرته أو نحو ذلك، فإن هذا من جنس ما يفعله القساوسة والرهبان مع النصارى، والحزابون مع اليهود، ومن جنس ما يفعله أئمة الضلالة والغواية مع أتباعهم.

وقد قال الصديق الذى هو خليفة رسول الله فى أمته: " أطيعونى ما أطعت الله فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم"، وقد قال النبى ﷺ: "لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق"، وقال: " من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه"، فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك، نظر فيه، فإن كان قد فعل ذنباً شرعياً عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة، وإن لم يكن أذنب ذنباً شرعياً لم يجز أن يعاقب بشئ لأجل غرض المعلم أو غيره.

وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقى بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً والى، ومن خالفهم عدواً باغي، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن

يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، ويدعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله، فإن كان أستاذ أحد مظلوماً نصره، وإن كان ظالماً لم يعاونه على الظلم، بل يمنعه منه، كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: " انصر أخاك ظالمًا أو مظلوماً"، قيل: يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف انصره ظالمًا؟ قال:" تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه".

وإذا وقع بين معلم ومعلم، أو تلميذ وتلميذ، أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة، لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق، فلا يعاونه بجهل ولا بهوى، بل ينظر فى الأمر، فإذا تبين له الحق أعان المحق منهما على المبطل سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره، وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره، فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله واتباع الحق والقيام بالقسط، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)، يقال: لوى يلوي لسانه فيخبر بالكذب، والإعراض أن يكتم الحق، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

ومن مال مع صاحبه سواء كان الحق له أو عليه فقد حكم بحكم الجاهلية، وخرج عن حكم الله ورسوله، والواجب على جميعهم أن يكونوا يداً واحدة مع المحق على المبطل، فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله، والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله، والمحبوب عندهم من أحبه الله ورسوله، والمهان عندهم من أهانه الله، بحسب ما يرضى الله ورسوله لا بحسب الأهواء، فإنه من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، فهذا هو الأصل الذى عليهم اعتماده، وحينئذ فلا حاجة إلى تفرقهم وتشيعهم فإن الله تعالى يقول: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)، وقال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ)، وإذا كان الرجل قد علمه أستاذ؛ عرف قدر إحسانه إليه وشكره، ولا يشد وسطه لا لمعلمه ولا لغير معلمه، فإن شد الوسط لشخص معين وانتسابه إليه -كما ذكر فى السؤال- من بدع الجاهلية، ومن جنس التحالف الذى كان المشركون يفعلونه، ومن جنس تفرق قيس ويمن، فإن كان المقصود بهذا الشد والانتماء التعاون على البر والتقوى فهذا قد أمر الله به ورسوله له ولغيره بدون هذا الشد، وإن كان

المقصود به التعاون على الاثم والعدوان فهذا قد حرمه الله ورسوله، فما قصد بهذا من خير ففى أمر الله ورسوله بكل معروف استغناء عن أمر المعلمين، وما قصد بهذا من شر فقد حرمه الله ورسوله.

فليس لمعلم أن يحالف تلامذته على هذا، ولا لغير المعلم أن يأخذ أحداً من تلامذته لينسبوا إليه على الوجه البدعى، لا ابتداء ولا إفادة، وليس له أن يجحد حق الأول عليه، وليس للأول أن يمنع أحداً من إفادة التعلم من غيره، وليس للثانى أن يقول شد لى وانتسب لى دون معلمك الأول، بل إن تعلم من اثنين فإنه يراعى حق كل منهما، ولا يتعصب لا للأول ولا للثانى، وإذا كان تعليم الأول له أكثر كانت رعايته لحقه أكثر.

وإذا اجتمعوا على طاعة الله ورسوله وتعاونوا على البر والتقوى لم يكن أحد مع أحد فى كل شئ، بل يكون كل شخص مع كل شخص فى طاعة الله ورسوله، ولا يكونون مع أحد فى معصية الله ورسوله، بل يتعاونون على الصدق والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصر المظلوم وكل ما يحبه الله ورسوله، ولا يتعاونون لا على ظلم ولا عصبية جاهلية ولا اتباع الهوى بدون هدى من الله ولا تفرق ولا اختلاف ولا شد وسط لشخص ليتابعه فى كل شئ، ولا يحالفه على غير ما أمر الله به ورسوله.

وحينئذ فلا ينتقل أحد عن أحد إلى أحد، ولا ينتمى أحد لا لقيطاً ولا ثقيلاً ولا غير ذلك من أسماء الجاهلية، فإن هذه الأمور إنما ولدها كون الأستاذ يريد أن يوافقه تلميذه على ما يريد، فيوالى من يواليه ويعادى من يعاديه مطلقاً، وهذا حرام ليس لأحد أن يأمر به أحداً، ولا يجيب عليه أحداً، بل تجمعهم السنة وتفرقهم البدعة، ويجمعهم فعل ما أمر الله به روسوله، وتفرق بينهم معصية الله ورسوله، حتى يصير الناس أهل طاعة الله أو أهل معصية الله، فلا تكون العبادة إلاالله عز و جل ولا الطاعة المطلقة إلا له سبحانه ولرسوله، ولا ريب أنهم إذا كانوا على عادتهم الجاهلية أى من علمه أستاذ كان محالفاً له، كان المنتقل عن الأول إلى الثانى ظالماً باغياً ناقضاً لعهده غير موثوق بعقده، وهذا أيضاً حرام، وإثم هذا أعظم من إثم من لم يفعل مثل فعله، بل مثل هذا إذا انتقل الى غير أستاذه وحالفه كان قد فعل حراماً، فيكون مثل لحم الخنزير الميت فإنه لا بعهد الله ورسوله أوفى، ولا بعهد الأول، بل كان بمنزلة المتلاعب الذى لا عهد له ولا دين له ولا وفاء، وقد كانوا فى الجاهلية يحالف الرجل قبيلة فإذا وجد أقوى منها

نقض عهد الأولى وحالف الثانية، وهو شبيه بحال هؤلاء فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وعليهم أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ولا يدعوا بينهم مَن يظهر ظلماً أو فاحشة، ولا يدعوا صبياً أمرد يتبرج أو يظهر ما يفتن به الناس، ولا أن يعاشر من يتهم بعشرته، ولا يكرم لغرض فاسد.

ومن حالف شخصاً على أن يوالى من والاه ويعادى من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين فى سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين فى سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان، ولكن يحسن أن يقول لتلميذه عليك عهد الله وميثاقه أن توالى من والى الله ورسوله وتعادى من عادى الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان، وإذا كان الحق معى نصرت الحق، وإن كنت على الباطل لم تنصر الباطل، فمن التزم هذا كان من المجاهدين فى سبيل الله تعالى، الذين يريدون أن يكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هى العليا"اهـ. (١)

وقال الشيخ الألباني -رحمه الله-: " ونحن صراحة نحارب الحزبيات لأن التحزبات هذه ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، لا حزبية في الإسلام، هناك حزب واحد بنص القرآن،﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وحزب الله جماعة رسول الله ﷺ، وليكون المرء على منهج الصحابة، لهذا يتطلب العلم بالكتاب والسنة"اهـ.

---

(1) مجموع الفتاوى (١٣/٢٨).

وقال الإمام الوادعي –رحمه الله–: " وإني أنصح العلماء والدعاة إلى الله من أهل السنة أن يجدوا ويجّتهدوا في التحذير من الحزبية المشؤومة التي فرقت شمل المسلمين، ويكون التحذير على الاستمرار لأن عمل النبي ﷺ كان ديمة"اهـ.[١]

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله–: "يجب أن نحذّر من المناهج المخالفة لمنهج السلف، هذا من النصيحة لله، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، نحذّر من أهل الشرور، ونحذّر من المناهج المخالفة لمنهج الإسلام ونبين مضار هذه الأمور للناس، ونحثهم على التمسك بالكتاب والسنة، هذا واجب" اهـ.

وقال فضيلة الشيخ زيد بن محمد المدخلي -حفظه الله–: " أطلب وألتمس من العلماء الأعلام الذين يهمّهم شأن الإسلام وأمة الإسلام بالدرجة الأولى شبابها أن يحذّروا الأمة بجدٍّ من كافة الانحرافات ومن مناهج الحزبيين الحركيين بشتى أحزابهم، وتعدد فرقهم، وكافة منظماتهم"اهـ.

(1) انظر كتاب: " التجلية لأمارات الحزبية" ص (٢٢٤).



الفصل الخامس

السلفية والديموقراطية

الفصل الخامس

السلفية والديمقراطية ضدان لا يجتمعان ولا يلتقيان [١]

فى ظل ما تحياه الأمة من الفتن والاضطربات–لاسيما المنهجية منها– يعتقد بعض الدعاة المنتسبين لمنهج السلف –بالاسم لا بالحقيقة– أنه يمكن التوفيق بين منهج السلف الصالح –الذى هو الإسلام الصافي الذى كان عليه النبي ﷺ وأصحابه– يعتقدون أنه يمكن التوفيق بينه وبين الديمقراطية التى هى دين من أديان أهل الكفر والضلال.

ومما يشاع بين كثير من المسلمين بسبب الجهل واتّباع الأهواء: ما يطلق عليه الديمقراطية الإسلامية، والاشتراكية الإسلامية ... إلخ مما يُعْرَف بأسلمت المصطلحات، وهذه الأهواء يروج لها كثير من المنحرفين عن شرع الله –جل وعلا– [٢]، وهؤلاء يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾.

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير الآية: "هذا إنكار من الله –عز وجل– على مَنْ يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذُكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل

---

(1) انظر: "حقيقة الديمقراطية" محمد شاكر الشريف، و"التوضيحات الجلية لبيان حقيقة الديمقراطية" عبدالحميد الحجوري، فقد أجاد فى بيان الديمقراطية ونقدها، فجزاه الله خيراً.

(2) من أمثال جماعة الإخوان وقادتهم كالقرضاوي والزنداني وصفوت حجازي، وكذلك القطبيين كالمقدم وبرهامي وحسان ويعقوب ومحمد عبدالمقصود والجماعة الإسلامية، وغيرهم من أهل البدع.

عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾"اهـ.

فالسلفية والديمقراطية لا يلتقيان ولا يجتمعان، فكيف يمكن الجمع بين الحق والباطل، أو بين الهدى والضلال، وبين الإسلام والكفر؟، هذا لا يمكن إلا عند من طمس الله بصيرته، وضل عن طريق الهدى، وتنكَّب طريق السلف الصالح.

وهنا ينبغي أن نلقى الضوء على تعريف الديموقراطية، وبيان ما فيها من ضلال وانحراف، فنقول:

تعريف الديمقراطية :

الديمقراطية كلمة يونانية الأصل، تتكون من مقطعين :

١- ديموس (**DEMOS**) ومعناها: الشعب.

٢- قراطوس (**KRATOS**) ومعناها السلطة.

والمعنى المجمل لها: "سلطة الشعب"، وبعبارى أخرى: " حكم الشعب نفسه بنفسه"، أو "الحكم بإرادة الشعب".

وقد عرفها الرئيس الأمريكي «إبراهام لنكولن» بأنها: "حكم الشعب بالشعب وللشعب".

فالديمقراطية كمذهب فلسفي هي المذهب الذي يرد السلطة السياسة إلى إرادة الشعب، أى أن الشعب مصدر السلطات والتشريعات، فالشعب هو الذى يشرع القوانين، وهو الذى يتولى تنفيذها، إما بنفسه، وإما عن طريق نوابه الذين ينتخبهم عن طريق الاقتراع الحر!!، وصناديق الانتخابات النزيهة –زعموا–.

أقول : إن قولهم الحكم للشعب وأن الشعب هو مصدر التشريع هو بحد ذاته كفر بالله العظيم ، وإلا من منح الشعب هذه السلطة ، ومن الذي جعله مشرعاً يشرع لنفسه ما يشاء ، وأين ذهبت شريعة الله التي أقسم الله بذاته المقدسة أنه لا يؤمن من لم يتحاكم إليها عن رضى وتسليم قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾.

صور ممارسة الديمقراطية فى الواقع:

الديمقراطية كما سبق هى حكم الشعب للشعب، وقد اتخذت أكثر من صورة أو أسلوب فى واقع الحياة العملية من حيث كيفية حكم الشعب لنفسه، وهذه الصور هي:

١- الديمقراطية المباشرة:

وهي أقدم صور الديمقراطية، حيث يمارس الشعب كله فيها الحكم بنفسه من غير وسيط في كافة مجالات الحكم من الناحية التشريعية والتنفيذية والقضائية، وهذا الأمر عسير جداً وشاق، فلا يُتصور أن يمارس الشعب كله السلطة في كافة مجالاتها في كل مسألة يحتاجها الناس، من غير واسطة ممثلين (نواب)، إلا فى المجتمعات الصغيرة وفي المؤسسات والأحزاب.

وقد طبقت هذا النوع من الديمقراطية جمهوريتى (أثينا وأسبرطا) اليونانيتين قبل الميلاد، ولكن وضعوا لها شروطاً، منها: ألا يزيد عدد السكان عن خمسة آلاف نسمة، فإذا زاد عن ذلك: إما أن ينفوا من البلاد أو يقدموا فى الحرب فيُقتلوا.

وهذه الصورة هى أقدم أنواع الديمقراطيات، ويستحيل تطبيقها فى العصر الحاضر، ولا توجد فيها أسرار مع أن لكل دولة أمورها السرية التى تحتفظ بها.

٢- الديمقراطية النيابية:

وهي صورة مناقضة للصورة الأولى حيث يمارس الشعب فيها الحكم أو السلطة عن طريق وسيط (نائب) يُسند إليه ممارسة السلطة في كافة مجالاتها نيابة عنه، والشعب لا يمارس الحكم في هذه الصورة إلا مرة واحدة، وهي المرة التي يختار أو ينتخب فيها نوابه الذين ينوبون عنه في "البرلمان" أو "مجلس الشعب" أو "مجلس الشيوخ" ونحوه.

- أركان النظام النيابي:

١- برلمان منتخب من قِبل الشعب له اختصاص بتشريع الأحكام والقوانين.

٢-نائب برلماني (عضو مجلس الشعب)، يمثل الأمة أو الدائرة الخاصة به، ويصل إلى البرلمان عن طريق الانتخابات بالأغلبية.

٣- استقلال البرلمان بعد انتخابه.

٤- الانتخاب الدوري للبرلمان (كل أربع أو خمس سنوات، وهي مدة الدورة البرلمانية).

٣- الديموقراطية غير المباشرة:

وهى التى تجمع بين الديموقراطية المباشرة والنيابية، وهي التى يباشر فيهـا الـشعب بعـض السلطات كانتخاب الرئيس والموافقة على الدستور، وبعض القوانين، وينتخب فيها النـاس نواباً يمارسون وضع التشريعات والقوانين والنظم وغير ذلك.

ومن مظاهر هذه الصورة:

١- الاستفتاء الشعبي–سواء على مواد الدستور أو على التعـديلات فى بعـض القـوانين واللوائح والنظم العامة–.

٢- الاعتراض الشعبي –سواء على الحاكم أو على القوانين–.

٣- الاقتراح الشعبى.

٤- حق الناخبين فى إقالة نائبهم.

٥- حق عزل رئيس الجمهورية وتنحيته عن منصبه.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة مخالفة هذه المظاهر لشرع الله جل وعـلا، فعـلام يـدافع الإسلاميون –زعموا– عن هذه الأباطيل والضلالات؟!!

- خصائص النظام الديمقراطى:

١- سيادة الشعب أو الأمة.

٢- الاقرار بحقوق الأفراد وحرياهم وضمانها.

أولاً: نظرية السيادة للشعب أو الأمة.

السيادة معناها السلطة العليا التى تملك حق التشريع، وليس فوقها أو معها سلطة فيما تنظمه من شئون المجتمع، فهى سلطة تسمو فوق الجميع، وتفرض نفسها على الجميع بما تملكه مـن سلطة الأمر والنهي!!.

والسيادة فى النظام الديموقراطي: للشعب أو للأمة، فالشعب مصدر جميع السلطات.

والمراد بالسلطات فى التنظيم الديمقراطي:

١- **سلطة تشريعية:** ومهمتها تشريع الأحكام والقوانين، وتعديلها وإلغاؤها، وذلك إمـا عن طريق مجلس النواب (البرلمان)، أو عن طريق الاستفاء العام أو عن طريق اللجنـة العليـا لوضع الدستور، فهذه السلطة لها المرجع والحكم المطلق فيما تسنه من التشريعات والقـوانين

التى تحكم فى الدماء والأعراض والأموال حسب النظريات الدستورية الغربية أو المحليـــة، أو حسب رغبات الجمهور وآراء الأمة.

٢- **السلطة القضائية:** ومهمتها الحكم بين الناس فى كل ما يعرض لها من القضايا علـــى وفق الأحكام والقوانين التى تصدرها السلطة التشريعة دون خروج عن ذلك الإطار.

٣- **السلطة التنفيذيـة**: ومهمتها القيام بتنفيذ القانون العام أو الإرادة الـــشعبية والـــتى تم تقنينها و الحكم بها من قبل السلطتين التشريعية والقضائية.

فالشعب أو الأمة هى مصدر السلطات، وهذا يعنى أن إرادة الشعب هى التى تشرع وتحكـــم وتنفذ ذلك التشريع والحكم، فمرد هذه الأمور كلها إلى إرادة الشعب وأهوائه بعيـــداً عـــن النظر إلى شرع الله أو إلى القيم الأخلاقية أو حتى إلى الأعراف الاجتماعية.

ففي إعلان الحقوق الفرنسي الصادر عام (١٧٨٩م)، جاء في المادة الثالثة: "الأمـــة مـــصدر السيادة ومستودعها، وكل شخص يتولى الحكم إنما يستمد سلطته منها".

ثم في الدستور الفرنسي الصادر عام (١٧٩١م)، نص على أن "السيادة ملك للأمة، ولا تقبل التجزئة ولا التنازل عنها ولا التملك بالتقادم".

ثم انتشرت هذه المادة فى غالبية دساتير الدول العربية، فمن ذلك:

دستور جمهورية مصر العربية لعام (١٩٢٣م)، نص على أن " جميع السلطات مصدرها الأمة"

وفي دستور (١٩٥٦م)، المادة الثانية: "السيادة للأمة".

وفي الدستور المؤقت لعام (١٩٦٤) المادة الثانية: "السيادة للشعب".

وفي دستور (١٩٧١م) المادة الثالثة [1] : "السيادة للشعب وحده، وهو مصدر الـــسلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبين في الدستور".

ونصت المادة (٨٦) على أن يتولى مجلس الشعب سلطة التشريع والرقابة على أعمال السلطة التنفيذية.

---

(1) إذا أراد الحزبيون الإسلاميون تفعيل المادة الثانية فى الدستور المصري فعليهم أن يفعلـــوا المـــادة الثالثة أو بالأحرى أن يتم تفعيل المادة الأولى ونصها: "جمهوريـــة مـــصر العربيـــة دولـــة نظامهـــا ديموقراطي يقوم على أساس المواطنة"، فياليت القوم يعلمون أن الدستور كله مخالف للشرع منـــاقض للإسلام كما كانوا يقولون، لكن الأمر قد تغير وسقطت الأقنعة جرياً وراء المناصب والرياسات، فاللهم هداك!!.

وقد ذكرنا هذه المواد كمثال للدستور الديموقراطى، وهى موجودة بنصها فى غالبية دساتير الدول العربية تقريباً.

مما سبق يُعلم أن هذه المواد تناقض شرع الله جل وعلا، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن التشريع وتنظيم شئون الحياة حق خالص لله تبارك وتعالى، فهو المشرع للأمة، ورسوله مبلغ عنه.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: " وقوله: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة يَجُر قُصْبَه في النار"، لأنه أول من سيب السوائب، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حَمَل قريشاً على عبادة الأصنام، لعنه الله وقبحه؛ ولهذا قال تعالى: { وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } أي: لعوجلوا بالعقوبة، لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد، { وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } أي: شديد موجع في جهنم وبئس المصير"اهـ.

وقد حذر الله نبيه من اتباع سبيل الكافرين فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقد قسّم الله سبحانه فى كتابه الحكم إلى قسمين فقال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فإما حكم الله عز وجل الذي أنزله فى كتابه وعلى لسان رسوله، وإما حكم الجاهلية سواء كان ديموقراطية أو اشتراكية أوغيرها من المذاهب والأديان الباطلة، وبيَّن سبحانه أنه أنزل الكتاب وشرع الأحكام للناس ليحكموا بها فى الدماء والأموال والأعراض، فقال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا).

فكيف يقال بعد ذلك أن الحكم والتشريع للشعب، فإن هذا القول هو الكفر البواح والشرك الصراح، وقد ذكر سبحانه وتعالى أن أهل الكتاب كفروا بطاعة الأحبار والرهبان فى التحريم والتحليل بخلاف شرع الله فقال: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: " بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم"اهـ.[1]

فالله تبارك وتعالى هو المشرع للأحكام التى تنظم شئون عباده وتحكم فى الأموال والأعراض والدماء، فمن جعل هذا الحق لغير الله جل وعلا فقد كفر بدين الله، وجعل نفسه رباً مع الله تبارك وتعالى.

- الأساس الذى بنيت عليه نظرية السيادة:

إن نظرية السيادة (سيادة الشعب أو الأمة) بنيت على أساس إلحادي كفرى، يقول محمد شاكر الشريف:" ولنعد إلى بدايات هذه النظرية التي تشكّلت في الغرب النصراني، الذي كان يدين بعقيدة محرَّفة وشريعة مبدّلة، حيث كانت ملوكهم تحكم فتظلم وتستبد بناءً على أنهم أصحاب السيادة بمقتضى التفويض الإلهي لهم في ذلك، وقد ساعد الملوك على ذلك نظرية التفويض الإلهي التي اخترعت لتبرير سلطانهم المطلق، والتي تقول: إن الملوك يستمدون سلطانهم من تفويض الله لهم سواءً كان تفويضاً مباشراً أو غير مباشر.

وفي ظل هذا الجو المملوء بظلم الملوك وطغيانهم، لم تكن الكنيسة –الممثلة للدين عند النصارى– بما حدث فيها من فساد وإفساد وانحراف وتحريف، بقادرة على إيجاد مخرج صحيح للناس أو حتى تقليل ظلم الملوك وطغيانهم والحد من سلطانهم؛ لأنها كانت هي ركناً من أركان الظلم والطغيان.

(1) كتاب التوحيد.

ومن ثمَّ بدأ الناقمون على هذه الأحوال يفكرون –بعيداً عن الدين وعمن يمثلون الدين عندهم– في طريقة يسلبون بها كل سلطان الملوك، ولم تكن طريقتهم في هذا إلا استبدال كفر بكفر؛ حيث قالوا: إن السيادة لا تكون لشخص الملك، وإنما تكون السيادة للشعب كله.

فالملوك والناقمون عليهم كلاهما يقول بنظرية السيادة، أما الملوك فيجعلونها لأنفسهم، والأساس الذي بنوا عليه ذلك القول هو نظرية التفويض الإلهي.

وأما الناقمون فيجعلون السيادة للشعب، وقد كان الأساس الذي بنوا عليه ذلك القول هو: نظرية العقد الاجتماعي:

فماذا تعني نظرية العقد الاجتماعي ؟

اشتهر من المتكلمين بهذه النظرية ثلاثة أسماء: توماس هوبز، وجون لوك، وجان جاك روسو.

ومن غير تعرُّض لتفصيلات واختلاف وجهات نظرهم في بعض جوانب هذه النظرية، فإن جوهر النظرية يقوم على تصور أن الناس في أول أمرهم كانوا يعيشون حياتهم الفطرية البدائية، وكانت حياة غير منظمة، فلم يكن لهم تشريع يحكمهم ولا دولة أو مؤسسة تنظم معاملاتهم وترعى شؤونهم، وأن الناس في طور لاحق من حياتهم احتاجوا إلى التشريع الحاكم، والدولة التي تنظم أمور حياتهم، وأنهم لأجل ذلك عقدوا فيما بينهم عقداً لإقامة السلطة التي تحكمهم وتنظم شؤونهم ومعاملاتهم، وتحفظ عليهم ما بقي من حقوقهم وحرياتهم، والسلطة حسب هذا التصور قامت بناءً على الإرادة الشعبية، لذلك كان الشعب هو صاحب السيادة.

هذا هو جوهر نظرية العقد الاجتماعي، فماذا يعني ذلك ؟!

يعني ذلك أن هذه النظرية تنطلق من تصور كفري إلحادي، لأن هذه النظرية إما أنها تصورت الناس وكأنهم وُجدوا من غير خالق لهم، أوأنهم وُجدوا هكذا غير منظمين بغير شريعة هادية أو قانون حاكم.

وإما أنها تعترف بوجود خالق، لكن الخالق –في هذه النظرية– لا فعل له إلا مجرد الخَلْق، أما أن يرسل من عنده رسلاً إلى الناس تعلمهم وترشدهم وتهديهم وتأمرهم بالخير وتنهاهم عن الشر، وتنظم شئونهم ومعاملاتهم، فهذا ما لا وجود له في هذه النظرية.

ولو كان ذلك موجوداً فيها ما احتاجوا إلى هذا العقد الذي عقدوه.

ومن المعلوم المقطوع به أن نظرية العقد الاجتماعي تناقض القرآن الكريم مناقضة تامة، فالله عز وجل ذكر أنه خلق آدم –عليه السلام– أول الناس، ثم أهبطه هو وزوجه إلى الأرض، وأنزل إليه الشريعة التي أمره أن يعمل بها هو وأولاده، قال تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا).

وأن الله عز وجل لم يزل يرسل رسله ويُنَزِّل كتبه لهداية الناس وإرشادهم وتنظيم شئونهم ومعاملاتهم، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)، وقال تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)، وقال تعالى عن النار: (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا) وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى، فأين إذن هذه الحياة الفطرية البدائية التي لم يكن فيها تشريع حاكم؟! كما تقول هذه النظرية "اهـ. [1]

ثانياً: تقرير الحقوق والحريات وضمانها:

قد أقر النظام الديمقراطى –قانونياً على الأقل– بمجموعة من الحقوق والحريات مثل حرية الرأى وحرية الاعتقاد والحرية الشخصية وحق الملكية وحق العمل والسكن والانتقال وغير ذلك من الحقوق والحريات، وبمثل هذه الحريات لمع بريق الديمقراطية لاسيما عند المضطهدين والمظلومين من الشعوب الإسلامية وذلك بسبب الجهل بالآثار المترتبة على هذه الحريات التى يضمنها النظام الديمقراطي ويحميها ويرعاها، وبسبب الجهل أيضاً بعدالة الإسلام ومنهجه الرباني والذى يحرم ويقيد كثيراً من هذه الحريات، وسنتناول ذلك بالبحث فى موضعه.

- الآثار المترتبة على إطلاق الحريات:

١) **فى مجال الاعتقاد** يحق لكل فرد فى النظام الديمقراطي أن يدين بما شاء من العقائد والملل والنحل والأفكار، ولا فرق فى هذا النظام بين أن يدين المرء بدين أصله الوحي الإلهي، أو يدين بعقيدة أو فكرة من وضع البشر، أو أن لا يدين بدين أصلاً، فحرية الأديان مكفولة وحق مكتسب للجميع بل يحق لكل فرد أن يغير دينه أو عقيدته أو نحلته كيفما شاء، وليست

---

(1) حقيقة الديموقراطية ، بتصرف يسير.

هناك قيود على ذلك، فحق الردة مكفول ومضمون لكل أحد بالنظام الديمقراطي وبقوة الدستور والقانون.

فالديمقراطية تعطى المسلم –قانونياً– حرية الاعتقاد، وتعطيه وتعطي غيره فى ذات الوقت حرية الردة، كما تعطي غيره حرية الكفر والإلحاد ونشر ذلك والدعوة إليه، ولا يجوز مصادرة الأفكار والأديان والمعتقدات، ومن الجدير بالذكر هنا أن حرية الاعتقاد فى النظام الديموقراطي محصورة فى المفهوم الغربي النصراني للعقيدة والذى يحصرها فى مجرد الإيمان بوجود الله إضافة إلى العبادات الشخصية، أما ماعدا ذلك من الأحكام الشرعية المنظمة لشئون الناس ومعاملاتهم وغير ذلك فهذه تنظمها القوانين الوضعية المعبرة عن الإرادة الشعبية، لأن الأمة هى مصدر السلطات والتشريعات، يعني ما رآه الشعب حسناً فهو حسن وما رآه قبيحاً فهو قبيح، فالمرجع إلى أهواء الأغلبية وشهواتها دون نظر لشئ غير ذلك (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ).

٢) وفى مجال الأخلاق والقيم: نجد كل الرذائل والقبائح والموبقات الخلقية، فالزنا حق من الحقوق أو حرية من الحريات وممارسة الأفعال الفاضحة علناً فى الطرقات حق من الحقوق أيضاً، وحرية متاحة للجميع، وكذلك اللواط ومواقعة الرجال بعضهم بعضاً حق مكفول بقوة القانون، بل إن النظام الديموقراطي لا يعاقب على جريمة الزنا إلا فى حالة واحدة وهى إذا تم اغتصاب المرأة، أما إذا كان الفعل برضاها وكانت بالغة فلاشئ فى ذلك ولا غضاضة، ونظرة واحدة فى قانون العقوبات المصري تعرفك حقيقة ما نقول.[1]

وكل هذا يتم باسم الحرية ورعاية الحقوق وضمانها بقوة القانون وباسم الديموقراطية!!.

٣) وكذلك فى مجال الاقتصاد: فالنظام الديمقراطي يقوم على أساس المذهب الفردي الذي يمنح الفرد حرية الكسب دون مراقبة ولا ضوابط ولا أخلاق، فالربا حرية والاحتكار حق مكتسب والفرد حر فى كسب ثروته وإنفاقها حيث يشاء، وليس لأحد فى ماله حق، وليس للدولة أن تتدخل فى النشاط الاقتصادي للأفراد حتى يتم تطبيق نظام الخصخصة الاقتصادي.

(1) ينظر: الفقرات التى تحدد معنى الزنا وعقوبته فى القانون المصرى مادة ١٧٠ وما بعدها.

مفاسد الديمقراطية :

١) الديمقراطية تفتح الباب على مصراعيه للردة والزندقة ، حيث يمكن –في ظل هذا النظام الطاغوتي– لكل صاحب ملة أو مذهب أو نحلة أن يكوّن حزباً وينشئ صحيفة تدعو إلى المروق من دين الله ، بحجة إفساح المجال للرأي والرأي الآخر فكما أن هذا النظام يسمح –ولو قانونياً على الأقل– بحرية الدعوة إلى الإسلام فهو يسمح وبنفس القدر بحرية الردة والدعوة إليها والطعن في الدين وذلك حفاظاً على الحريات وصيانة لها!!

٢) وكذلك تفتح الباب على مصراعيه للشهوات والإباحية ، من خمر ومجون وأغان وفسق وزنا ولواط ودور سينما ، وغير ذلك من الانتهاكات الصارخة لمحارم الله ، تحت شعار الديمقراطية المعروف: "دعه يعمل ما يشاء ، دعه يمر من حيث يشاء" وتحت شعار: "حماية الحرية الشخصية"!!

٣) وتفتح الباب أيضاً للتفرق والاختلاف والتحزب البغيض ، استجابة للمخططات الاستعمارية الرامية إلى تمزيق العالم الإسلامي إلى قوميات ووطنيات ودويلات وعصبيات وأحزاب ، وفي هذا مخالفة لقول الله تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)، ولقول الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، ولقول الله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

٤) إن من يسلك ، أو يتبنى النظام الديمقراطي لابد له : من الاعتراف بالمؤسسات والمبادئ الكفرية ، كمواثيق الأمم المتحدة وقوانين مجلس الأمن الدولي وقانون الأحزاب وشرعية الدستور وسيادة القانون الوضعي بل ويقسم اليمين الدستورية على احترام الدستور والقانون وترسيخ مبادئهما وغير ذلك من القيود المخالفة لشرع الله ، وإن لم يفعل منع من مزاولة نشاطه الحزبي بحجة أنه متطرف وإرهابي وغير مؤمن بالسلام العالمي والتعايش السلمي!!

٥) النظام الديمقراطي يعطل الأحكام الشرعية؛ من جهاد وحسبة وأمر بمعروف ونهي عن منكر وأحكام الردة والمرتد والجزية والرق؛ وغير ذلك من الأحكام.

يوصف المرتدون والمنافقون في ظل النظام الديمقراطي بأنهم وطنيون وقوى خيِّرة ومخلصة؛ وهم بخلاف ذلك شرعاً.

٦) الديمقراطية والانتخابات تعتمد على الغوغائية والكثرة بدون ضوابط شرعية ، والله تعالى يقول: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)، ويقول الله تعالى: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، ويقول الله تعالى: (وقليلٌ من عبادي الشكور) .

٧) الديمقراطية لا تفرق بين العالم والجاهل والمؤمن والكافر والذكر والأنثى، فالجميع أصواهم على حد سواء، بدون أي اعتبار للمميزات الشرعية.

والله تعالى يقول : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، ويقـول الله تعـالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)، ويقول الله تعـالى: (أم نجعـل المـسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون)، ويقول الله تعالى: (وليس الذكر كالأنثى). الآيات.

٨) هدم وتدمير عقيدة الولاء والبراء في ظل النظام الديمقراطي، ولـذلك يـصرح بعـض السالكين في هذا الطريق بأن خلافهم مع الاشتراكيين والبعثيين وغيرهم من الأحزاب العلمانية من قبيل اختلاف البرامج لا المناهج ، ومن جنس اختلاف المذاهب الأربعة ، ويعقدون المواثيق والتحالفات بألا يكفر بعضهم بعضاً ولا يخون بعضهم بعضاً ، ولذا يقولون بـأن الخـلاف لا يفسد للود قضية!!

هذا الطريق يؤدي إلى قيام التحالفات المشبوهة مع الأحزاب العلمانية؛بل وتزكيتهم ومدحهم !!كما هو الحاصل اليوم.

٩) الدخول في المهزلة الديمقراطية يؤدي غالباً إلى فساد المقاصد والنيات، بحيث يصبح كـل حزب همه في نصرة حزبه ؛ واستعمال كافة الوسائل لجمع الناس حوله؛ وخاصة وسيلة التدين والخطابة والوعظ والتعليم والصدقات وغير ذلك .

١٠) يؤدي أيضاً إلى فساد الأخلاق الفاضلة؛ كالصدق والصراحة والوفاء والمروءة وحـسن الخلق ، ويحل محل ذلك الكذب والمداهنة والغدر والدياثة واللامبالاة لأن الأخلاق الفاضـلة تناقض وتخالف مبدأ الحريات العامة في المجتمع الديمقراطي .

١١) وهو من أخطرها ، أن طريق الديمقراطية والانتخابات يؤدي إلى تمكين الكفار والمنافقين من الولاية على المسلمين، بطريقة يظنها بعض الجهلة شرعية، وقد قال الله تعـالى: (لا ينـال عهدي الظالمين) ، وقال الله تعالى : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً). فكم يحصل بهذا من التغرير والتدليس على عوام المسلمين وإيهامهم بأن طريقة الانتخابات شرعية ؟!!.

١٢) في ظل الديمقراطية تنتعش البدع والضلالات بل والردة الصريحة عن الإسلام بشتى أنواعها ويظهر الداعون إلى البدع باختلاف طرائقهم وفرقهم من شيعة ورافضة وصوفية ومعتزلة وباطنية وغير ذلك، بل إنهم يجدون في ظلها الدعم والتشجيع من المنافقين في الداخل ومن الأيادي الخفية في الخارج ، ولله في خلقه شؤون .

١٢) هذا الطريق يؤدي إلى الزعزعة الأمنية في البلاد ، وحدوث صراعات حزبية لا أول لها ولا آخر ؛ فما حلت الديمقراطية في بلد إلا وحل معها الزندقة والضلال والخوف ، والقلق والنزاعات العقدية والمذهبية والعصبية والقبلية والسلالية والنفعية وغير ذلك من الاضطرابات المعلومة.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاؤه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

- علاقة الديمقراطية بالعلمانية:

العلمانية [1] : هي اللادينية، وهي مذهب من المذاهب الكفرية يرمي إلى عزل الدين عن التأثير فى الدنيا فيعمل على قيادة الدنيا فى جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه، يعني أنها فصل الدين عن الدولة بحيث يصير الدين هو مجموعة الأعمال الفردية التى لا صلة لها بسياسة الدنيا وتحكيم الشرع.

وإذا تبين ذلك واتضح علمنا قطعاً أن العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية هي علاقة الأصل بالفرع أو علاقة الثمرة الخبيثة بشجرتها التى أثمرتها.

فالديمقراطية تقوم كما علمت على إسناد السيادة أو السلطة المطلقة للأمة أو للشعب، وترمي إلى عزل الدين عن التأثير فى جميع النواحي السياسية والاجتماعية والأخلاقية.

فالديمقراطية إذاً هي الوجه السياسي للعلمانية، فإن الأوروبيين النصارى لما تركوا دينهم بعد الثورة لجأوا إلى تنظيم شئونهم عن طريق أهواء الشعب وشهواته وهذه هي سلطة الأمة أو

---

(1) راجع دائرة المعارف البريطانية وقد قسمت الدائرة الإلحاد إلى قسمين: إلحاد نظري وإلحاد عملي، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملى، فتأمل!!(العلمانية وثمارها الخبيثة محمد شاكر الشريف ص ٥).

الشعب، ومن الواضح عند الجميع أن العلمانية تتفق مع الديانة النصرانية فى فصل الدين عن الدولة، حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة. وهذا واضح فيما يُنسب إلى السيد المسيح من قوله : " أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله".[١]

أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فالإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة فى العبادة والحكم والمعاملات والحدود وغيرها، فهو نظام عقائدي وسياسي واجتماعي واقتصادي، وهو دين ودولة، قال الله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ).

وقال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ).

وقال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا).

بل إن أطول آية فى القرآن هى فى المعاملات (آية الدين)، وقد بعث الله نبيه ﷺ ليعلم الناس ويرشدهم إلى ما يرضيه تعالى، وليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، فدين الإسلام هو الشريعة الخاتمة الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان، المصلِحة لكل مجتمع بخلاف غيره من الأديان المحرفة المنسوخة.

من آثار المنهج العلماني :

١ــ إفساد العقائد الإسلامية : و أعظمها عقيدة التوحيد ، وذلك من خلال اعتماد سلطة الشعب ، وتفويض أمر التشريع والحكم للشعب، وكذلك إفساد المفاهيم الإسلامية عن الكون ، واليوم الآخر ، والنبوات ، إذ تُصَوِّر العلمانية هذه المعتقدات على إنها مرحلة بدائية من التفكير ، أو ترفضها مباشرة لأنها ليست (بنت البحث) العقلي والعلمي كما يزعمون

(1) انظر: (الموسوعة الميسرة : ٦٨٩).

!!، ولأن العلمانية تنكر الإيمان بوجود الله وبالغيب، بل تعتبره من الأساطير ويطلق عليه العلمانيون (الميتافيزيقا) أى: علم ما وراء الطبيعة.

٢ــ إفساد الشريعة الإسلامية : فالعلمانية تحصر صلاحية الشريعة الإسلامية في زوايا ضيقة ، وتفسح المجال للإنسان ليشاق ويحاد الشريعة الإلهية في المجالات الحيوية الواسعة التي تشكل نظام ــ دين ــ المجتمع ، والزوايا بل الزاوية المتروكة للدين ، في النظام العلماني خاضعة بدورها لتسلط الإنسان : يضيقها إذا شاء ، ويوسعها إذا شاء ، ويصادرها إذا شاء .

٣ــ إفساد أصل الولاء والبراء : عندما استبدلت العلمانية تصور الإنسان وصلته بالدين، عقيدة وشريعة وحكماً ، استبدلت بذلك مناط الولاء والبراء ، وسببه ومعتقده ، وغيرت أصل الرابطة الاجتماعية؛ فلم تترك للعقيدة تأصيل المبادئ والمفاهيم التي يقوم عليها الولاء والبراء، كالإيمان والكفر ، أو الطاعة والمعصية ، واليقين والشك ، و المعروف والمنكر ، والظلم والعدل ، ولم تترك للشريعة أن تفصل وتحدد أسباب وتكليفات الولاء والبراء ، مثل جهاد الكفرة ، ووجوب إظهار الدين ، والأمر بالمعروف وإنكار المنكر ، ورعاية الأسرة تربية و تعليماً وتأديباً؛ بل تجعل الفاسقة في مفهوم الشرع : فنانة شهيرة!!، والملحد الذي يشكك ويطعن في عقيدة الإسلام مفكرًا عبقرياً مبدعاً، وحجاب المرأة وحياءها واعتصامها بالقرار في بيتها ذلاً واستعباداً وتحجراً، وبغض الكافر والبراءة منه وعداءه تعصباً وتطرفاً، وإباحة (الزنا) والفجور ترفيهاً وتسلية .

٤ــ إقصاء التشريع الإسلامي من حياة الأمة والأفراد .

٥ــ فرض الأنظمة والأحكام الوضعية النصرانية في بلاد المسلمين تحت عباءة القانون والدستور أو سلطة الحزب الواحد ، والحاكم الفرد الذي لا يُسأل عما يفعل أو حتى بالتعددية الحزبية وتمزيق الأمة إلى أحزاب وتجمعات يعادي بعضها بعضاً، وتتناحر فيما بينها طلباً للرياسة والسلطة.

٦ــ قتل روح الإسلام في أبنائه ، بتشجيع وترويج أخلاق الإباحية الغربية والطعن في أصول الشريعة الإسلامية ، بأقلام كتاب مأجورين .

٧ــ محاربة الدعوة إلى الله بكل الوسائل الممكنة ، وسد طرقها وأبوابها ، وشن الحملات الإعلامية عليها وعلى أهلها .

٨ـــ إفساد النظام التربوي والتعليمي : وذلك بنشر الاختلاط في المدارس ومحاربة الحجاب ، ودس الأفكار الجاهلية ، من قومية ووطنية وحزبية ، وإباحية وإلحادية في الكتب والمقـــررات المدرسية والجامعية

٩ ـــ التسلط على بلاد المسلمين : وهذا التسلط ظاهر في التحكم في القرار في أكثر بــلاد المسلمين ، وفي التسلط على الاقتصاد من خلال التحكم في العملات والتحكم في الثروات ، والتحكم في الحركات السياسية والدينية والاجتماعية ، وأخيراً في التواجد العسكري الجزئي أو الكلي .

١٠ ـــ تثبيت الانقسامات بين المسلمين : فمنذ احتلال البلاد الإسلامية قُسّمت إلى دويلات هي في تكوينها الاقتصادي والسياسي ضعيفة ، وزادت اللعبة السياسية الدولية من تأصـــيل فرقتها لتثبيت ضعفها ، وفي تشجيع روح العداء بين حكامها وزرع التعصب والكره المتبادل حتى بين الشعوب .

١١ – تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراتـــه في زيـــادة ثروته وحمايتها وعدم الاعتداء عليها وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها وعدم تـــدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.

ومما سبق يتبين لكل عاقل أن الديمقراطية تصادم الإسلام من كل وجه، فـــلا ديموقراطية فى الإسلام، ومن زعم من أهل الضلال والجهال أن هناك ديموقراطية إسلامية فهو إما جاهل أو ضال منحرف، فهل يصح أن يقال كفر إسلامي أو جاهلية إســـلامية أو حكـــم إسلامي طاغوتي، إن هذا لا يصح أن يقال إلا عند مَن لا يدري ما يخرج مِن رأســـه أو عنـــد أصحاب المناصب والكراسي ممن يجعلون الدين وسيلة للمناصب دون النظر إلى عـــذاب الله وعقوبته.

قال العلامة مقبل بن هادي الوادعي في الديمقراطية : " كفرنا بالديمقراطية الطاغوتيـــة ، وبدا بيننا وبينها العداوة والبغضاء ، ويجب على المسئولين أن يكفروا بها ، بل يجب على جميع الشعب اليمني أن يكفر بها. .. فإذا كان سلفيًا وهو يؤمن بالديمقراطية، فهذا ليس بسلفي ولا كرامة، وإن كان يؤمن بأن الله مستو على عرشه ويؤمن بأسماء الله وصـــفاته كمـــا وردت في

كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ... الأمر الذي أنصح به إخواني في الله أهل عدن ، وهو أن نعامل المخالفين معاملة المسلمين لأنّهم متأولون حتى وإن كانوا يقولون: نحن ديمقراطيون، إذا كان يعتقد أن الديمقراطية حق ويؤمن بها فهو كافر، لكن إذا كان متأولاً لأجل مطامع الدنيا فهو ضال"اهـ.[1]

كيفية تولي الحكم فى الإسلام:

١-اجتماع أهل الحل والعقد من أهل العلم والدين والشوكة على تولية الإمام بالشورى فيما بينهم، كما حدث فى خلافة أبي بكر وفى خلافة عثمان رضي الله عنهما.

٢-العهد من الخليفة أو الحاكم السابق كما عهد أبوبكر إلى عمر رضي الله عنهما.

٣-أن يتسلط الحاكم على الناس بسيفه فيقهرهم على طاعته حتى يستتب له الأمر، فيجب السمع والطاعة له حقناً لدماء المسلمين، وحفاظاً على ألفتهم.

(1) انظر : تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب (٧٢ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣).



الفصل السادس

الانتخابات

الفصل السادس

الانتخابات

إن الانتخابات الغوغائية هي أهم وسيلة لتحقيق النظام الديمقراطي الكفري، فما بُني على باطل فهو باطل، قال تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ).

ومن أهم مفاسد النظام الانتخابي ما يلي [1]:

المفسدة الأولى: الإشراك بالله

"الانتخابات" داخلة في الإشراك بالله، وذلك في شرك الطاعة، حيث إن "الانتخابات" جزء من النظام "الديموقراطي"، الذى وضعه أعداء الإسلام، ليصرفوا المسلمين عن دينهم.

والداعون إلى هذه الانتخابات، يسعون- وإن لم يشعروا- إلى هدم التوحيد الذي هو السبيل الوحيد للتمكين في الأرض!!، ويسعون- وإن لم يشعروا- إلى تمكين الشرك بالله الذي هو السبب الرئيسي لانحطاط الأمم!! وقد قال الله تعالى﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

فالله عزّ وجل علّق التمكين في الأرض بتوحيده وتحكيم شريعته، والانتخابات الديمقراطية تسعى في هدم ذلك كله.

قال العلامة محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالى- : (إذا تبيّنا أنه لا يجوز شرعاً مضاهاة الله والتشبّه به في تشريعه بنصب رجال يُشرّعون غير شرع الله، كذلك لا يجوز استخدام أيّ وسيلة من الوسائل المؤدية إلى ذلك التشريع البشري الذي ينازع تشريع الله، كانتخاب رجال البرلمان أو مجلس الشعب، ليشرّعوا مع الله أو من دون الله، لأنه يُعتبر عند التحقيق: اختيار أرباب يُعبدون من دون الله، وهذا يتنافى مع لا إله إلا الله؛ لأن توحيد الحاكمية هو من توحيد العبادة؛ فليعلم جيّداً...وأما شرك الطاعة والاتّباع: فهو التّمرّد على ربّ العالمين، والخروج

---

(1) انظر: "الأدلة الشرعية لكشف التلبيسات الحزبية"، و " تنوير الظلمات بكشف مفاسد الانتخابات"، و " تحذير أولي الألباب من فتاوى الدّاعين إلى الانتخاب وبيان مخالفتهم للأدلة والقواعد الشرعية".

على شريعته، وعدم قَبول حكمه وتحكيمه في الشؤون كلها أو بعضها....وما يُسمى بالانتخاب الحرّ وسيلة ظاهرة إلى هذا النوع من الشرك، وهو باطل كما ترى، وما يؤدِّي إلى الباطل ويكون وسيلة إليه فباطل، "فالانتخاب الحرّ باطل إذن"اهـ.

قال الله تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ).

وقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ).

وقوله تعالى: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ).

والآية واضحة في أنهم قد جعلوا مؤسسي "الديموقراطية" الذين وضعوا "الانتخابات"، شركاء لله في التشريع ووضع المناهج للخلق؟

وذلك أن النظام الانتخابي يُعطي الشعب السلطة التشريعية من دون الله، وهذا بحد ذاته كفر والعياذ بالله، كما أن المجالس النيابية لها صفة الاستقلالية المطلقة في التشريع، فلها أن تشرع ما تشاء، وبدون الرجوع إلى الكتاب والسنة، وبما أن لها هذه الاستقلالية فهي تشرع ما حرم الله عز وجل ورسوله ، وقد قال الله تعالى: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)، وقال أيضاً:(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)، وإذا كان الله عز وجل قد عاب على الذين: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)، أي اتخذوهم: مشرّعين لهم –مع علمهم بمخالفة هؤلاء الأحبار والرهبان لحكم الدين، وأنهم يكذبون على رب العالمين– وهم يعتقدون صحة ما شرعوه لهم؛ مع أنهم أعطوا هذه المكانة للأحبار والرهبان، رمز الدين والشرائع السماوية، فما ظنك بمن يجعل أهل التشريع أجهل الناس وأضلّهم من اليهود والنصارى والوثنيين، عليهم لعنة الله؟!!. وقد قال الله في كتابه: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ).

قال ابن كثير في تفسيره: "أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه، إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك".

قال العلامة الجامي: " ومما لا يختلف فيه اثنان فاهمان: أنه لا يجوز شرعاً تسمية شخص ما أو مجلس ما أنه مشرّع؛ فالعبارة التقليدية التي تردّدها بعض الجهات: "رجال التشريع"؛ خطأ محض قطعاً؛ لأن رجال التشريع الذين يُحرِّمون و يحلّلون بأهوائهم فيُتَّبعون في ذلك قد سمّاهم الله في كتابه أرباباً من دون الله؛ أي: نصبوا أنفسهم شركاء لله؛ إذ يقول الله تعالى حكاية عن

أهل الكتاب ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ولذلك لا ينبغي لرجال يؤمنون بالله وبشرع الله، وأن الله هو المشرِّع: أن يلقبــوا أنفســهم برجال التشريع؛ إذ لا فرق بين أن يُسمَّى الرجل مشرِّعاً وبين أن يُسمّى معبوداً أو إلهاً)"اهــ.

المفسدة الثانية: تأليه الأغلبية

"الانتخابات" سلّم الوصول ومرقاة الصعود للمجالس التي تقوم على تأليه الأغلبية، واعتماد ما قبلته، وإن كان باطلاً، ورد ما رفضته، وإن كان معلوماً من الدين بالضرورة.

ولو أقرت الأغلبية حكماً يوافق الشرع، فإنهم يعتمدونه، لا لأنه وافق الشرع، وإنما لأنه وافق حكم الأغلبية، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) ، وهؤلاء لم يكونــوا معقّــبين فقط، بل ومصادرين لدين الله، قال الله تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)، ومن الذي يسأل ربنا وهو القائل: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)، أي فوقهم بقهره وسلطانه وذاتــه العليــة سبحانه وتعالى، فهو القادر على البطش بالجميع، والمحيط بهم والحاكم عليهم.

المفسدة الثالثة: خدمة الكفار بتنفيذ مخططاتهم، وفتح بـاب التعـاون والتحالف مع جميع الأحزاب العلمانية والبعثية وحتى اليهود والنصارى:

وقد قال الله تعالى: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّــهِ مِــنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ).

بل كثيراً ما يتحالف المسلم مع الكافر في دائرة من الدوائر على أخيه المسلم، كمــا تحــالف الإخوان المسلمون مع المرشح النصراني الذي كان ينافس (منصور الزيات) محامي الجماعــات الإسلامية في نفس الدائرة، والله تعالى يقول: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَــاءَ مِــنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ).

و"الانتخابات" تقوم على الدعم الخارجي من قبل دول أو منظمات كفرية يهودية صــليبية، وهذا يدلّنا على أمر مهم وهو: أن "الانتخابات" في صالحهم؛ ولو لم تكن في صالحهم ما بذلوا هذا الدعم، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ).

وهذا مما يؤكد أن الأحزاب الإسلامية المشاركة في "الانتخابات" ستجني الفشل، وترجع بخفي حنين، وهذا هو الواقع، ولكن كما قيل:"وعين الرضى عن كل عيب كليلة".

فإذا جارينا الأعداء في ذلك، فنحن منفّذون لمخططاتهم، وبلا شك نكون مخالفين لمنهج نبينا ﷺ حيث إن الرسول ﷺ واجه الأعداء مع كثرتهم، فلم يتخذ معهم حلولاً مخذولة ليتقارب معهم في دينهم، وخاصة اليهود الذين كانوا في المدينة، بل كان يبالغ في مخالفتهم، وقد كان على قبلتهم، فلم تطب نفسه بالبقاء عليها، فأمره الله أن يتحول إلى الكعبة.

وقد أمر النبى بمخالفة الكفار من سائر الأصناف ونهى عن التشبه بهم فقال كما فى حديث عبدالله بن عمرو: "من تشبه بقوم فهو منهم"، وذكر بالخبر الإلهي أن الامة ستتبع سنن من قبلها من اليهود والنصارى، وذم ذلك وحذر منه أشد التحذير والله يقول لنبيه: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ).

ويقول آمراً رسوله ﷺ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

سورة كاملة تُكَرِر وتؤكّد المفاصلة التامة مع كفار قريش، لأنهم أرادوا من رسول الله ﷺ أن يتقارب معهم، أو أن يداهنهم، ونعني بالمفاصلة التامة: أننا نترك كل ما هو من عبادتهم، ونُقْبِل على عبادة الله، التي شرعت لنا، ونترك جميع مناهجهم المخالفة للشرع، ونُقْبِلُ على تطبيق منهج الله، وهذه البداية هي حجر الأساس، والذي يحتاج المسلمون عموماً والعلماء والدعاة خصوصاً أن يقفوا عنده طويلاً.

فلا حلول، ولا تقارب، ولا التقاء أبداً مع المحاربين لدين الله عز وجل، فمهما أرادوا أن يقتربوا فسنبتعد، يقول الله عز وجل: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

المفسدة الرابعة: الخضوع للدستور العلماني

من المعلوم أنه لا يمكن أن تدخل الأحزاب الإسلامية في "الانتخابات" إلا بعد الموافقة منها، على شكل ومضمون الدستور، بما فيه من مواد مخالفة للإسلام.

فهذا يُثْبت لنا أن الأحزاب الإسلامية وافقت على هذه المواد وما تضمنته، وإلا لم يوافق شركاؤهم على دخولهم في "الانتخابات"والمجالس النيابية، وهذه الموافقة على ما في هذه المواد

الموجودة في الدساتير "الديموقراطية"، تجعل الأحزاب الإسلامية المشاركة غير قادرة على فعل شيء في مجلس النواب.

وإذا علمت هذا فاعلم أن كل حزب أو جماعة طالبت بالدخول في "الانتخابات"، لا تُقْبَل إلا بشروط.ومنها:

عدم انتقاد الأفكار التي مع الأحزاب الأخرى، ويعترف بها، ويوافق على أن يكون قوله –ولو كان هو من تعاليم الإسلام– كالأفكار الوضعية، قابلاً للنقاش، والرأي للأغلبية.

ومنها: الموافقة على قبول التعددية السياسية العقدية، وبالذات في البلاد الإسلامية.

ومنها: الموافقة على "قانون ميثاق الشرف" بين الأحزاب الإسلامية والعلمانية: "أن لا يكفّر، ولا يفسق، ولا يبدع بعضهم بعضاً".

ومنها: الالتزام بالدستور وقانون مجلس النواب ولوائحه.

ومادامت الموافقة من الأحزاب الإسلامية حاصلة على أصول وفروع "الديموقراطية"، ومضمون هذه الأصول مع العلمانيين؛ فهذا دليل واضح على أن غاية الأحزاب الإسلامية – في المآل– هي الكراسي، وليس الإسلام، –سواء علموا ذلك أم جهلوا– لأن موافقتهم للعلمانيين لا تضمن إلا البقاء على الكرسي الصوري المؤقت، دون أن يحققوا للإسلام شيئاً يُذكر، ولهذا سهل منهم التنازل عن الحكم بالشريعة الإسلامية إلى الحكم بالأغلبية.

المفسدة الخامسة: تمزيق وحدة المسلمين

فكل يسعى لتحقيق ذاته ونصرة نفسه، ويكره الخير لغيره، وهذه مفسدة مناقضة لقوله تعال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، ومتعارضة مع قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا).

ومضادة لما ثبت عند مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﵁ قال قال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".

فالانتخابات لها دور كبير في تفريق كلمة المسلمين، وتشتيت وحدهم، وهي لا تقلّ شراً عن الحزبية، التي فرّقت المسلمين فُرقةً ليس بعدها تلاقٍ، إلا أن يشاء الله، ومن أجل وحدة المسلمين، قال الرسول ﷺ: ((من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، وأراد أن يشق

عصاكم، فاقتلوه كائناً من كان))، وجاء عند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضـــي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)).

انظر يا أخي كيف أمر الرسول ﷺ بقتل هذا الرجل، ولو كان يدعي الخلافة، وما ذاك إلا لأنه يُوجِد فُرْقَةً، إذ أنه عند أن يطالب بالخلافة له، يتعصب معه أناس، ويؤدّي ذلك إلى سفك دماء المسلمين، وشُرِع قتله حرصاً على وحدة المسلمين.

ولسنا نحمّل الإسلاميين-كما يسمون أنفسهم- كل الفُرْقَة، فالفُرْقَة قديمة، ولكنّهم جـــددوها بالدخول في التحزب، وصبغوها بالصبغة الشرعية، فهم في نظر النـــاس أصـــحاب صـــلاح واستقامة، وإن كان الناس قد غيّروا هذه النظرة لّما علموا أن دعاة الأحزاب الإسلامية دعاة تحزب، ومنذ أن جاءت "الديموقراطية" ودخلت الأحزاب الإسلامية فيها، لم تقم لهـــم قائمـــة الدين أبداً.

وقد ذكرنا فيما مضى بعض الآيات التي تبيّن أن الدخول في التحزب ضلال مبين.

قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ﴾.

انظر كيف جعل الله الحزبية المذمومة لباساً لمن دخل فيها، لم يسهل الخروج منه، فمن دخـــل فيها، وسعى إليها؛ فقد صارت له مثل اللباس، حيث إنها تلازمه، لأنه ملازم لها وداعٍ إليهـــا، فجعل الله هذا العذاب عليه، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ﴾.

فلابد أن يتجرّع الذين أنشئوا هذه الأحزاب التمزّق الداخلي والخصومة والنزاع المستمر.

وانظر إلى ما حدث مؤخراً في السودان، فقد أصبح الخلاف على أوجه، بين قيادات الحـــزب الإسلامي الحاكم هناك، وخاصة بين عمر البشير وبين أستاذه وشيخه حسن التـــرابي!؛ فقـــد افترقوا، وصار لكلٍ منهما حزباً رسمياً!!.

ومعلوم أن الأخوة الإسلامية هي الركن الثاني لإقامة الدين، وقد جمع الله هذين الركنين بقوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَـــذَكُمْ مِنْهَـــا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

والحزبيون يستدلون بقوله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)، على الدخول في أحزابهم، ظناً منهم أنهم جماعة الحق في الساحة.

فربنا جل شأنه جعل نعمة الأخوة الإسلامية، هي نعمة إنقاذ من الوقوع في جهنم، فالنعمة العظمى والكبرى التي لا تقاس بها أي نعمة، هي نعمة الإسلام، والنعمة التي بعدها هي نعمة الأخوة في الإسلام.

وقد جعل سبحانه جميع البشر عاجزين عن إيجاد هذه النعمة، واختص بها نفسه عطاءً، واختصنا بها إكراماً، قال سبحانه: (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

فأخوة المسلمين معجزة ربانية، تفضّل الله بها على أهل العقيدة الواحدة، والمنهج الواحد، والعمل ابتغاء مرضاته، وقد أمر الله المسلمين أن يكونوا ضد من يريد هدم هذه الأخوة، قال سبحانه وتعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)، فأمر سبحانه بالمقاتلة للطائفة المعتدية، وأمر بالإصلاح، وأمر بالتقوى لعل الرحمة تحصل بعد هذه كلها، وإلا فلا رحمة من الله.

فانظر ما أشقى المسلمين حين يضيعون أُخوّتهم لمصالح وأغراض شخصية. فلا نستحق رحمة الله إلا بالحفاظ على الأخوة كما أراد الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم)، وقد جعل الإسلام التمزيق لهذه الأخوة، محاربة يستحق فاعلها محاربة الله له.

ولا شك أن من يحارب أخاه المسلم، لكونه استقام على الدين، واتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرفض البدع والعصيان والحزبية المذمومة، فهو الذي يستحق المحاربة من الله، قال الله تعالى كما في الحديث القدسي، وهو عند البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)).

فقد اشتدت في أيام "الانتخابات" المحاربة لمن تمسّك بالحق، ولم ينتخب فلاناً ولا فلاناً.

فإننا نشاهد الإسلاميين!! يصرحون بأنه لا بد من المشاركة لكل فرد في "الانتخابات"، ولو مع غيرهم من الأحزاب العلمانية. لكن الذي يقاطع "الانتخابات" ويرى أن الدخول فيها غير جائز، تجدهم يشنون عليه الحملات، ويحتقرونه، ويسفِّهون كلامه، وربما طردوه من المسجد أو الوظيفة، ويكيلون له الاتهامات الكثيرة، وربما لو استطاعوا ضربه لضربوه؛ وهذا كله انتصاراً للحزبية.

ولا شك أن "الانتخابات" مُمَزِّقَة لأخوة المسلمين عموماً، فإنك تجد الولد والأب في البيت في مطاحنة عجيبة، ولم تسلم حتى المرأة، والجار مع جاره، والمصلي مع المصلي، والعالم مع العالم، والداعي مع الداعي، وأفراد العائلات المختلفة والقبائل التى خاض بعض رجالها غمار الانتخاب، واستحكمت العداوة، وتسلط الشيطان، وصار كلٌ ضد الآخر، وتحولت القوة الفكرية والسلاطة اللسانية إلى إذاعة من الأخ ضد أخيه، وكل هذا بسبب الانتخابات والحزبية، والله المستعان.

صحيح أن التحزب موجود من قبل "الانتخابات"، ولكن مفسدته ما ظهرت بوضوح إلا في أيام "الانتخابات"، وهل يجوز تضييع هذه الأخوة، من أجل تطبيق نظام طاغوتي؟

أنت لا تنظر أن القضية قضية صوت فقط، فكم سلبت من حقوق الأخوة بسبب وجود هذا الشر.

والعجيب الغريب أن الأحزاب الإسلامية تنادي بين الحين والآخر، أننا لا نختلف، بل يجب علينا أن نحرص على الأخوة، ونتمسك بالكتاب والسنة، فإذا جئنا عند التطبيق وعند الجد، قالوا: نتفق على أن تكونوا معنا، وتدخلوا في حزبنا.

ولهذا فنحن لا نقبل منهم الشعارات، لأنهم يستغلون بها عاطفة المسلم الذي يحب الخير، ولكنه لم يعرف طرقه.

وكم جاءنا من أشخاص يقولون: لماذا لا تتفقون مع الأحزاب الإسلامية، وهم مستعدون؟

فنقول: ما أدراكم ما في الحزبية من شر ودهاء، ومكر وبلاء؟

والعجيب أنهم يجاهرون باحترام الرأي والرأي الآخر، مع أن الآخر هذا –حسب قولهم– هو الكفر، لأنهم يقولون: رأينا هو الإسلام ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

والعجيب أن هؤلاء الذين يحترمون الرأي الآخر ــ وهو رأي اشتراكي أو علماني أو قومي أو ناصري أو بعثي أو بدعي ــ لا يحترمون رأي إخوانهم أهل السنة؟ ويهاجمونهم وينبذونهم بالألقاب الشنيعة.

المفسدة السادسة: المساواة غير الشرعية

تقوم "الانتخابات" على المساواة بين صوت الرجل والمرأة، والصالح والطالح، والمسلم والكافر، والعالم والجاهل، وأهل الحل والعقد وأهل الموسيقى والرقص.

وهذا هو نهج "الديموقراطية"! فلا فرق عندها بين الأسد والكلب، بل إن الحيوانات أفضل من الكفار، فقد قال الله: (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)، وقال تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ).

والأدلة على تحريم هذه التسوية معلومة، فمن ذلك: قال سبحانه: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).

ومهما بلغ الحسبان عند أي مجرم أن يسوّي بين المؤمن والكافر، فهذا حسبان باطل لا قيمة له في ميزان أحكم الحاكمين، قال سبحانه:(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

وقال عز وجل : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)، وقال سبحانه: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ).

وقانون " الانتخابات" يُسوّي بين صوت الرجل والمرأة، والله يقول: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى)، وقد جعل الله شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وبين ذلك رسول الله ﷺ، وعلل ذلك بنقصان عقلها، فكيف نجعل عقلها كعقل الرجل؟ وقانون "الانتخابات" سوّى بين صوت العالم والجاهل، والله يقول: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، ويقول أيضاً: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، فجعل سبحانه من لا يعلم يسأل الذي يعلم، لا يعارضه بصوته الجاهل، ويتعقّب عليه، فالله المستعان، ونعوذ بالله من الخذلان.

المفسدة السابعة: قبول المرشّح دون النظر إلى الشروط الشرعية

تقوم "الانتخابات" على قبول المرشّح بدون شروط شرعية، وهذا أمر مخالف للقرآن والسنة وأقوال أئمة العلم والهدى، **قال الله تعالى**: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فأفادت الآية أن الظالم لا يجوز أن يُختار إماماً لا في الدين ولا في الدنيا، لما بينهما من الترابط، ويقول الرسول ﷺ : ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتدعون لهم ويدعون لكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم)) **وقال الحسن البصري** -رحمه الله-: "أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى، ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، ثم قرأ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾، وقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، وقال تعالى في وصفه لجبريل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، والقوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب، ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة في الحروب، والمخادعة فيها..." إلى أن قال: "والقوة في الحكم بين الناس، ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام" ثم ذكر الأمانة، فقال: "فالأمانة ترجع إلى خشية الله ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وترك خشية الناس"اهـ.

وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل حاكم على الناس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وإذا كان الإسلام يحتّم على من يريد أن ينفع هذه الأمة، وأن يتولى أمراً من أمورها العامة، أن يكون متصفاً بهذه الصفات العظيمة، فما حال من يريد أن يتولى أمور الأمة، ولكنه لا يلتزم بهذه الأمور؟ روى البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ عن رفع الأمانة إلى أن قال: ((... فيصبح الناس يتبايعون، ولا يكاد أحد منهم يؤدي الأمانة،

فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، فيؤتى بالرجل، فيقال: ما أظرفه، ما أعقله، ما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة، من خردل من إيمان)). أليس هذا هو واقعنا؟ بل أشد من ذلك، فهل يجوز لأي مسلم يحب النجاة لنفسه ولمجتمعه، أن يقدم على أمور لا تحمد عقباها، وهذا ابن مسعود يقول:"نفس تنجيها؛ خير من إمارة لا تحصيها".

فهل تعلم أخي المسلم أنك إذا أصبحت مسؤولاً على أمر من أمور الأمة، سواء كنت رئيساً أو وزيراً أو وكيلاً أو مديراً أو قاضياً .. أو غير ذلك، وأنت تفتقد العلم الشرعي والعدل والصلاح، ولم تكن ناصحاً في عملك، فأنت على خطر، قالﷺ: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرّم الله عليه رائحة الجنة)).

أخي المسلم: الرسول ﷺ يقول: ((الظلم ظلمات يوم القيامة)) فهل ترضى أن تكون يوم القيامة مسخوطاً عليك؟ فالنصيحة للأخ المسلم؛ أن لا يدخل في سلك المسئولية والوظائف، إلا وهو على علم بدينه، أو يستنصح علماء السنة في أمره، ويرجع إليهم، فإن لم يقبل هذه النصيحة؛ فلا خير فيه لنفسه، فضلاً عن أن يكون فيه خير لغيره.

والعجيب أنك تسمع الدندنة للناس: اختاروا الرجل الصالح!.

والسؤال: ماذا تعنون بالرجل الصالح؟ ونحن ما رأينا صالحاً على وصف القرآن والسنة إلا نادراً، وهذا النادر ليس معكم أصلاً لأنه يرى فعلكم محرماً، وإن لبستم عليه وأدخلتموه معكم، فهو أيضاً لا يصلح لهذا العمل، لأن عنده من الأخلاق ما يمنعه من التجاوزات التي يفعلها غيره من أعضاء المجالس النيابية، ففى كل الحالات لا يصلح هذا لأغراض الناس.

وإن كان مرادكم بالصالح: الذى هو فى حزبكم ومن جماعتكم أو عائلتكم، فقد خبتم وخسرتم، فلو كان ناصحاً لنفسه، ما دخل في الحزبية المخالفة للشرع، ولا قبل "الانتخابات" ودافع عنها.

المفسدة الثامنة: عدم مراعاة الشروط الشرعية للشهادة

تقوم "الانتخابات" على التصويت، فيصوت الناخب للمرشّح، وهذا التصويت شهادة، يدلي بها هذا المصوّت، ولا يوجد لدى الناس الضوابط الشرعية حول الشهادة، ولا تتوافر فيهم الشروط، فهي مخالفة شرعية تفضي إلى فتح باب القول بغير علم ولا معرفة، **قال تعالى**: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ، والوسط: العدل.

وقال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، فشرط العدالة في الشهادة.

والعدالة: ملازمة التقوى، وقال الجمهور: "العدل: هو المسلم المكلف الذي لا يرتكب كبيرة، ولا يصر على صغيرة". [(١)]

فإذا أمر الله بأخذ الشهادة من العدل في قضية امرأة، فما بالك بمسألة تتعلق بالأمة كلها، وهي الولاية على أمور المسلمين، **وقوله**: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، هي مثل الأولى، فأسند سبحانه الرضى إلى أهل الصلاح والخبرة والمعرفة، ولهذا قالﷺ للصحابة عند أن مُرّ بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، ومُرّ بجنازة أخرى، فأثنوا عليها شراً: ((أنتم شهداء الله في أرضه)) والحديث في (الصحيحين) من حديث أنس ومن حديث عمر، وبعض العلماء خصّص هذا الحديث بالصحابة، وذلك لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة، والصحيح أنه ليس خاصاً بالصحابة، بل يشمل كل من كان فيه الخيرية التي اتصف بها الصحابة، ولهذا قال الحافظ:"هذا خاص بالثقات المتقنين". وقال الداودي:"المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق".

وإذا كان يشترط في الشاهد العدالة، فأين العدالة في كثير من الناخبين؟ فلابد أن يكون عنده المعرفة والعلم بأحوال من سيشهد له، فقد قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

والشاهد من الآية: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ماذا يشهدون به، ولمن يشهدون.

وقد جاء عند العقيلي أن رجلاً شهد عند عمر بن الخطاب، فقال عمر للرجل:" إني لا أعرفك، ولا يضرك أني لا أعرفك، فأتني بمن يعرفك" فقال رجل: أنا أعرفه يا أمير المؤمنين، قال: بأي شيء تعرفه؟ فقال: بالعدالة، فقال: هو جارك الأدنى، حتى تعرف ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه؟ قال: لا، قال: فعامَلَكَ بالدينار والدرهم، حتى تعرف ورعه؟ قال: لا، قال فصاحبَك في السفر، الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، قال: فلست تعرفه".

وقد حسّن سنده الشيخ الألباني في (الإرواء).

والغالب على الناس أنهم إذا رأوا للرجل هيئة، كأن يكون عنده لحية وعمامة، أو يكون خطيباً بليغاً، أو يتهجم على الحكام كثيراً، هرولوا وراءه.

---

(1) راجع (فتح الباري ٥/٥٢).

وليس من منهج أهل السنة هذا التشهير المفضي للفتنة، وسفك الدماء، والحماس الفارغ، الذي يصد الناس عن العلم النافع.

بل منهج أهل السنة قائم على عدم الطاعة في الشر، مع بذل النصح، بما يزيل الشر أو يقلله.

وما سُمِّيَت الشهادة شهادة؛ إلا من الحضور والمعاينة، لأن الشاهِد شَاهَدَ ما غاب عن غيره، ولهذا جاء عند الحاكم وأبي داود وابن ماجه وابن الجارود من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية)) أي حاضرة، وهذا للتباعد بينهما، كذلك إذا كان الشاهد خائناً، فقد قال الرسولﷺ: ((لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة)) رواه أحمد وأبو داود والدارقطني والبيهقي وغيرهم من حديث عبدالله بن عمرو.

فمن كان يصر على معصية من المعاصي، فلا تقبل شهادته. ومن ذلك قوله ﷺ: ((إن اللعّانين ليسوا بشهداء ولا شفعاء يوم القيامة))، فكيف بمن هو أشد عصياناً، كالذين عرفوا بالزنا أو الربا أو الرشوة؟!، وهناك من هو أشد من هذا الصنف، كأن يكون متلاعباً بالصلاة والصيام، مبغضاً للدين، محباً لأهل الكفر، أو يكون ممن يذهب عند المشعوذين والمخرفين والسحرة، أو جاسوساً أو قاتلاً لنفس مسلمة ظلماً، أو معروفاً بقطع الطرقات والسلب والنهب...إلخ.

فهؤلاء شهادقم غير مقبولة شرعاً.

فهذه المفاسد التي ذكرناها، لاشك ولا ريب أنها موجودة في المجتمع، ومن سَلِمَ من بعضها، لم يَسْلَم من البعض الآخر، إلا أن يشاء الله، فكيف جاز قبول شهادة هؤلاء؟ ومن الذي أجازها؟ إنه النظام "الديموقراطي".

ونحن لا نعترف به، بل نتبرأ منه، وممن وضعه من أعداء الإسلام، الذين لا يريدون لأمتنا الخير.

فلماذا أهمل علماء الحزبية هذه الفوارق العظيمة بين الإسلام وبين القانون، ولم يبينوها للناس؟.

أليست هذه الموافقة على "الانتخابات" –بما فيها من المفاسد–، فيها موافقة ضمنية –على الأقل– على "الديموقراطية"؟

والعجيب أن يأتي الشيخ فلان، ويدعو الناس إلى "الانتخابات"، ويقول: هذه شهادة واجب عليك أن تدلي بها، فالله يقول: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾، أو يقول: أدِّ

الأمانة ولا تكن صِفْرًا! أو يقول: صوتك أمانة أعطه لمن يستحق، أو يقول : المشاركة فى الانتخابات واجب شرعي وطني.

والله ما هذا إلا تلبيس على الناس، لماذا ما ظهر كتمان الشهادة إلا في حق "الانتخابات"؟ هذه هي عادتكم، من لم يدخل في حزبكم، قلتم: منافق يفرق الأمة، وإذا دخل في حزبكم، فهو أصلح الناس، وأتقى الناس، وأبرهم وأذكاهم، حتى وإن كان مشركاً بالله، أو ساحراً، أو دجّالاً، أو كذّاباً، أو مرابياً، أو مرتشياً، أو ظالمًا!.

ومن أشرب قلبه حب هذه الحزبية، فمهما تذكُر له من الخلل العقدي في بعض أتْباعِ حزبه، فإنه يقول لك: لكن فيه خير، وقلبه سليم، ومحب للدين، وغيور على نصرة الإسلام، ومنفق لماله في مصالح الدعوة، ويُرجى منه خير، وإن كان عنده شيء من الوضوح في الفجور؛ قال: "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"، مع أنه لا يوضّح له فجوره، فيموت الصوفي على خرافاته، والرافضي على طعنه في الصحابة، ونحو ذلك.

المفسدة التاسعة: التعصّب الممقوت

تقوم "الانتخابات" على التعصّب للأشخاص باعتبار العائلة، والقرابة وما أشبه ذلك، **قال سبحانه وتعالى**: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا).

هذه الحمية التي تقف في وجه الحق، نصرة للباطل، وبسببها تُنْتَهَكُ حرمات كثيرة، مِن قتلٍ وسلبٍ ونهبٍ، وبالذات أن العائلات لقلّة إدراكهم للحق، سرعان ما يخرجون عنه، وبالذات في باب العصبية، وقد قال ﷺ: ((إذا رأيتم الرجل يتعزّى بعزاء الجاهلية، فأعضوه بَهَنِ أبيه، ولا تكنوا)) ، والتعزي المراد به الانتماء والانتساب إلى القوم، كأنه على جهة الفخر، والهن هو "فرج الرجل".

ومعنى الحديث: من دعا إلى التعصب للقوم، فقولوا له: عض هن أبيك، وقد جاء من حديث جندب عند مسلم أن النبي ﷺ قال: ((من قُتل تحت راية عِميّة، ينصر العصبية، ويغضب للعصبية، فقِتْلته جاهلية)) وجاء في البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: ((أبغض الرجال إلى الله ثلاثة)) وفيهم ((ومبتغٍ في الإسلام سنّة الجاهلية)).

فقد أغنانا الله بالإسلام، فمن كان عنده شجاعة وقوة؛ فلينصر دين الله، وقد جاءت هذه الأحزاب وأعطت الصبغة الشرعية للمتعصّب، فازداد الناس تعصّباً لبعضهم بعضاً.

المفسدة العاشرة: بيع وشراء الأصوات والضمائر:

تقوم الانتخابات على أن كل رجل يدلي بصوته إلى من أعطاه مالاً أكثر، أو وَعَدَهُ بمشروع أو وظيفة، وما أشبه ذلك إلا من رحمه الله، وهذا الفعل محرم في الإسلام، يقول الله في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وروى البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى: أن رجلاً أقام سلعةً في السوق، فحلف فيها، لقد اُعْطِيَ بها ما لم يعطَ، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

هذا الصنف من الناس هو في الحقيقة عَبْدُ بطنه وفرجه وهواه، فصدق الرسول ﷺ إذ يقول: ((تعس عَبْد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، وعبد القطيفة، إن اُعْطِيَ، رضي وإن لم يُعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شِيك فلا انتقش)) ، وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: ((بادروا بالأعمال.. فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا)).

وفتنة المال هي التي أوصلت الناس إلى العداوة والبغضاء والقتل والقتال، وقد قال الرسول ﷺ : ((لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال)).

المفسدة الحادية عشرة: التزوير والمغالطة:

تقوم "الانتخابات" على التزويرات والمغالطة والغش والخداع والكذب، وقد رأينا ورأى الناس قبل الثورة ما كان فى انتخابات المجالس النيابية، من كذب وتزوير وضلال، فرأينا حلفاء بعض المرشحين وقد أخذوا فى حذف أو إخفاء أسماء بعض الناس ممن يعلمون أنهم لا يصوتون لصالحهم، ورأينا بعض الناس من الرجال والنساء وقد صوت لمرشحه أكثر من خمس مرات، وسمعنا عن امرأة أخذت معها ثمار الليمون حتى تزيل به علامة الانتخاب من أصابع

الناخبين حتى يدخلوا للتصويت مرة أخرى، وكل هذه الأمور محرمة، فالرسول ﷺ يقول: ((من غشنا فليس منا)). وفي (صحيح مسلم) من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ مرّ في السوق فأدخل يده في الطعام، ثم قال: ((ما هذا يا صاحب الطعام، أفلا جعلته فوق الطعام، حتى يراه الناس؟ من غشنا فليس منا)). وقال الله تعالى في كتابه الكريم في وصف المؤمنين : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، فقد حرم على المسلم فعل الزور وقول الزور، والإسلام أمانة في عنق كل مسلم، وهذا الخداع والمكر والتزوير فيه عداوة المسلم لأخيه، وتشجيع أصحاب النفوس المريضة على التوسع في هذا المجال.

وكذلك أصحاب القلوب المريضة، يشمتون بالدعاة وطلبة العلم والعلماء، أي لو شاركوا في "الانتخابات"، لأنهم يقولون: قد عرفناكم، كنا نظن أنكم صادقون، فإذا أنتم مزورون، وهذا يسبب تراجع الناس عن قبول الحق كما هو معلوم.

والغش من علماء الأحزاب لمجتمعهم، أكبر من غش الناس مع بعضهم البعض، لأن العلماء محل ثقة وقبول، ولكن الواقع أن بعض علماء الأحزاب غشوا قومهم، لأني أعلم علم اليقين أن كثيراً منهم يعلمون أن الحزبية هذه حرام، ولكن صَعُبَ عليهم أن يبينوا، وفي هذا يقول الرسول ﷺ : ((...ومن أشار على أخيه بأمر، يعلم الرشد في غيره، فقد خانه)) .

المفسدة الثانية عشرة: فتنة التصوير

إن "الانتخابات" تقوم على تصوير المرشحين للرئاسة وغيرها، على هيئات متعددة ملفتة للنظر، وتبلغ هذه الصور كميات هائلة جداً، وتمتلئ جدران الشوارع والبيوت وأعمدة الكهرباء ووسائل النقل والدكاكين ومحلات الأعمال... بصور المرَشَّحين والمرشَّحات، ولربما وُضِعَت عشرات الصور دفعة واحدة في مكان واحد.

وحكم الإسلام في هذه الصور -التي لا ضرورة لها، والتي فتنت الناس- التحريم، لما يلي:

١- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :((إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يقال: أحيوا ما خلقتم)) رواه البخاري ومسلم، والحديث وارد بسبب صورة كانت على قطعة قماش، أي ليست نحتاً، وقد جاء الحديث بهذا المعنى عن ابن عمر وابن مسعود وغيرهما.

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى: ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، أو ليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا شعيرة)) متفق عليه، ومن حديث ابن عباس أن رسول اللهﷺ قال: ((من صوّر صورة في الدنيا، كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ)) متفق عليه.

٣- حديث أبي طلحة رضي الله عنه في (الصحيحين) أن رسول اللهﷺ قال:((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة)) وقد جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة، ومن حديث عائشة في (الصحيحين).

وهذه الأحاديث كافية في بيان خطر التصوير، وخطر اقتناء هذه الصور. والواجب على المسلم أن ينكر المنكر، فقد قال رسول الله ﷺ: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. بل أمر النبي ﷺ بطمسها، فقد جاء عند مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((لا تدعن صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)).

المفسدة الثالثة عشرة: دخول النساء في الانتخابات

لقي أبو بكرة نفيع بن الحارث الثقفي ﷺ مجموعة من الصحابة وهم سائرون إلى الكوفة من أجل قضية قتلة عثمان ﷺ، والمطالبة بالقصاص، فقال لهم: مَن أميركم؟ قالوا: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال أبو بكرة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) وأبَى أن يذهب معهم.

فانظر كيف لامهم على تأميرهم لها في سفرهم، والاختيار لها بأن تكون المتكلمة عنهم، مع أن عائشة هيَ هيَ في الفضل والهدي، وتحقق أهم ما أفلحوا، وقد تمنت عائشة رضي الله عنها أنها ما خرجت.

فتولي المرأة للحكم وترشّحها لذلك؛ حرام ودمار بنص حديث المعصوم عليه الصلاة والسلام؛ وعلى هذا أجمعت الأمة.

بل وتتصور المرأة وتنشر صورها بين الرجال، والتصوير محرم في حق الرجال والنساء، إلا لضرورة لابد منها، ولا ضرورة هنا للرجال، فضلاً عن النساء، والرسول ﷺ يقول: ((كل مصوّر في النار، يجعل الله له بكل صورة صورها نفساً تعذبه في جهنم)).

وبعد انتهاء الانتخابات تبقى الصورة محل تمتع بجمال المرأة، وربما أدى ذلك إلى ما لا تحمد عقباه، والعياذ بالله.

وقد جاء من حديث علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : ((رأيت شاباً وشابة يمشيان، فلم آمن الشيطان عليهما)).

وقد جاء في (الصحيحين) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((كُتِبَ عَلَىَ ابن آدم الزنا، مدركاً ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما السمع، واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما المشي، واللسان زناه التكلم، والقلب زناه التمني، والفرج يصدقه أو يكذبه)).

والتى لم ترشح نفسها لعضوية المجلس، طالبها فقهاء السوء وعلماء الضلالة بأن تخرج للتصويت على المرشحين، وهذا من عجيب أمرهم، فإن النسوة لا دخل لهن في اختيار الإمام وعقد الإمامة، وإنهن ما روجعن قط، ولو استشير في هذا الأمر امرأة لكان أحرى النساء وأجدرهن بهذا الأمر فاطمة عليها السلام، ثم نسوة رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين.

وعائشة بنت الصديق رضي الله عنها وهي أعلم نساء الأمة على الإطلاق كانت تُفتي مع وجود كبار الصحابة، ومع ذلك فإنها لم تشاركهم في الشورى ولا أبدت رأيها في اختيار الخليفة، وأول ولاية في الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعته في سقيفة بني ساعدة ثم في المسجد، ولم يكن فيهم امرأة واحدة.[1]

و لسنا نقول: إنه ليس للمرأة مشورة مطلقاً، بل قد ثبت أن النبي ﷺ شاور أم سلمة ﵂، وإنما النهى المقصود هو النهى عن مشاورهن فى أمر الولاية الخاصة، كما ذكر ذلك أبوجعفر النحاس فى شرح هذا الحديث، ونقله عنه السهيلى فى "الروض الأنف٤/٥٤".

---

(1) ومما يستدل به أهل الباطل أيضاً قصة مكذوبة عن عبدالرحمن بن عوف-رضي الله عنه- يزعمون فيها أنه شاور النساء فى اختيار عثمان -رضي الله عنه- وسيلى الكلام عن هذه القصة.

وأم سلمة ﵂ ما قدم لها رسول الله ﷺ الاستشارة وهي في مجلس شورى النساء فأعطته رأيها من خلال هذا المجلس وأيدها نساء المجلس أو خالفنها!! وإنما كانت إحدى زوجاته وقد ذكـر لها حالاً طارئة فقالت له: افعل كذا وكذا يتابعك أصحابك، فأخذ برأيها رضي الله عنها، ولا يجوز أن نأخذ من هذه الحادثة أصلاً من أصول الإسلام أو السياسة في الإسلام فنقول: وكان للنساء حق المشورة مطلقاً!!

إذ لو كان الأمر كذلك لقام به رسول الله ﷺ على أكمل الوجوه، ولقام به خلفاؤه الراشدون وأصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان على أحسن الوجوه، وَلَتَكَلَّمَ عنه الفقهاء والمحـدثون والمفسرون والمؤرخون؛ إذ لا يعقل أن يكثروا الكلام في مؤلفاتهم عن الحيض والنفاس وسائر الأحكام التي تتعلق بالمرأة ثم لا يتكلمون عن هذا الأصل الكبير!!!

بل ثبت أن النبى لم يقبل قول عائشة فى مرضه الذى مات فيه عندما أمر أبا بكـر أن يـصلى بالناس، فأرادت هى أن يصلى عمر .

كما أنه من المعلوم أن شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل، فكيف جاز لهم أن يسووا بين شهادة الرجل والمرأة؟ قال الله تعالى: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى).

فإذا كانت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في قضية الشهادة على الدَّيْن، فما بالك في قضية ولاية الأمة كلها، والتي جعلها الشرع بأيدي أهل الحل والعقد؟ أتكون قضية سـهلة، وهـي ولاية المسلمين؟! فكيف جاز لهم أن يتجاوزوا هذه الأدلـة؟ والله يقـول: (وَلَـيْسَ الـذَّكَرُ كَالْأُنْثَى).

بل تفاقم الأمر حتى خرجت بعض النساء لتأييد حلفائهن وأقـاربهن المرشـحين، وصـار لبعضهن توكيلاً فى اللجان الانتخابية، و هذا زج بالنساء في عمق الحزبية والانتصار لها، وأيضاً هذا يجعلها تفتح مشاكل مع أقربائها، لأن الحزبية فرّقت بين الناس، حتى المرأة مـع المـرأة، والأب مع الأب، فقد تطيع أقاربها من جهة الأب في التحزب لفلان، وتغـضب زوجهـا، أو العكس، وقد تفتح لها مشكلة مع جيرانها، فتعظم العداوة والبغضاء.

ولَّما جاءت أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي ﵄، إلى النبي ﷺ وقالت: يا رسـول الله، إني أحب الصلاة معك، قال: «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خـير مـن

صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ».فإذا كان هذا الحال مع الصلاة التى هى عبادة، فكيف بغيرها من أمور الدنيا التى لا حاجة إليها فضلاً عن الأمور المحرمة.

واختلاط المرأة بالرجل سبب من أسباب فساد قلب الرجل والمرأة، كما قال تعالى : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)، والناس لا يصدقون أن من وراء ذلك فساد القلب لأنهم لا يعرفون من الفساد إلا أن يقع الزنا من أول جلسة مع المرأة أومن أول كلمة معها، ونحن نقول آمنا بالله وبما قال الله، ونسأل الله طهارة قلوبنا.

ويا له من زمان هذا الذى صار فيه همُّ الناخبين هو الوصول إلى السلطة على أكتاف النساء، فيدفعون بنسائهم فى هذا المعترك، بل ربما كانت المرأة بكراً وتخرج تتبذل، وتحط من قدرها، فتكلم هذا وتخضع فى القول مع هذا مجاملة له من أجل صوته، وربما تكلمت مع أناس هم من أحط خلق الله وأفسدهم، بل ومع أناس لو رأتهم فى غير هذا الموطن لما التفتت إليهم أصلاً، والنبي ﷺ يقول: " أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أَغْيَرُ منه، والله أغير مني".

وكانت العرب فى الجاهلية تمدح الرجل بالغيرة على عرضه، وبالغوا فى مدح غيرة الرجل على عرضه حتى مدحوا الحمار لما فيه من هذه الخصلة، فقالوا: "لا بهيمة أغير من حمار".

أما هؤلاء الذين دفعوا بنسائهم إلى هذا الاختلاط المشين فلا الشرع اتبعوا، ولا العرض صانوا، وهذه التى تبذلت وخرجت لا أمر الله أطاعت ولا عرضها صانت. نسأل الله أن يسترنا فى الدنيا والآخرة.

قال الإمام مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-: (والمرأة تذهب إلى الانتخابات ويمسك الموظف بيدها ويقبض على أصبعها حتى يضعها في الحبر، حتى تُعرَف أنها انتخبت فلا تنتخب مرّة أخرى!! فعلى المرأة أن تقوم بتربية أبنائها تربية إسلامية وجزاها الله خيراً على هذه الخدمة التي تقدمها للإسلام، ولكن أبوا إلا أن يزجوا بها ويشغلوها عما أراد الله منها، يقول النبي ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء)... اللهم عليك بأمريكا التي أرادت أن تفسد نساءنا بعد أن أفسدت كثيراً من رجالنا، فهي التي فرضت علينا الطاغوت وهي الانتخابات، وأقبح من هذا أن يدافع عن الضلال والكفر ويقال: إنه واجب، فأقول: لا

كتاب ولا سنة ولا شيمة ولا قَبَيْلَة أن تخرج المرأة تنتخب، ثم يأتي من يدافع عنها ويقول: إنها مثل الحج!! فيا أيها المسكين! الحج أوجبه الله عزوجل، وأنت أوجبت الانتخابات الطاغوتية والتي هي زحزحت الإسلام والعقيدة الإسلامية.

فأقول: كفرنا بالديمقراطية الطاغوتية، وبدا بيننا وبينها العداوة والبغضاء، ويجب على المسئولين أن يكفروا بها، بل يجب على جميع الشعب اليمني أن يكفر بها.

فنصيحتي للنساء ليست خاصة للنساء اليمنيات، بل هي نصيحة لجميع نساء الأمة، فالمرأة في أندونيسيا أو في ليبيا أو في الجزائر أو في العراق أو في سوريا أو في مصر، حكم الله واحد، فليس لليمن حكم وهذه البلدان حكم! فأعداء الإسلام يريدون أن نُهَرْوِل بعدهم ولن يرضوا بهذا حتى نكون كفاراً مثلهم والعياذ بالله"اهـ.(١)

المفسدة الرابعة عشرة: حرص المرشح على طلب الإمارة:

وبيان ذلك أن كل مرشح يرشح نفسه للانتخابات سيقوم بتبيين فضائله ومناقبه وصلاحه ومواهبه، بل قد يصل الحال بالبعض منه إلى أن يقوم بتسخير وسائل الإعلام إن كان له قدرة على ذلك، بل الأدهى من ذلك أن يصل الحال ببعض المنتسبين للإسلام إلى تسخير منابر الجمعة والمحاضرات فى المساجد لنشر فضائل ومواهب حزبه أو جماعته.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ : "يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها".

وثبت فيهما أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين: أمِّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: " إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه".وهذا الحديث كاف فى اقناع أصحاب القلوب السليمة بحرمة الانتخاب وأن كل من طلب الرئاسة لا ينبغى أن نعطيه منها شيئاً.

---

(1) "تحفة المجيب"(ص٣٣٩-٣٤٠).

وجاء فى البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: "إنكم ستحرصون علـــى الإمـــارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة". نعم المرضـــعة : أى فى الـــدنيا، وبئست الفاطمة: أى فى الآخرة.

المفسدة الخامسة عشرة: حرص المرشّح على إرضاء الناخبين

المرشّح يصير همه الوحيد ــ وهذا حال الكثير ــ أن يرضي الناخبين له بصورة أو بـــأخرى، إما أن يحاول إيصال مشروع لهم، أو يشفع ليتوظف مجموعة منهم، أو يقوم معهم في قـــضية معينة ــ وإن كانوا على باطل ــ إلى غير ذلك من هذه الأمور، بل يصل الحال إلى إرضـــاء النصارى ببناء كنائسهم وتخصيص الأراضي لها وترميم معابدهم الكفرية أو توظيفهم وتوليتهم الولايات على المسلمين، لأنه يخشى أن يقولوا فيه ما يقولون، ويخشى ألا ينتخبوه مرة ثانيـــة، بل إن بعض الناخبين يشترط على المرشّح أن يفعل كذا وكذا من أمور الـــدنيا، وإن كانـــت محرمة، وهذا محرم في شرع الله قطعاً، بل هذا من عمل المنافقين، قال الله: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ)، وإذا كان الحاصل هـــو إرضـــاء المخلوق على حساب إسخاط الله، فالله يقول: (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ).

هذا جزاء من أرضى الناس بسخط الله، وأي رجل يدعي الإيمـــان، وهـــو يـــسعى ليرضـــي المخلوق، فاعلم أن ذلك لضعف إيمانه وجبنه، والله يقول: (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَـــإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)، بل قال تعالى: (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِـــنَ اللَّهِ شَيْئًا)، وقد جاء من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رســـول الله ﷺ : ((مـــن أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن أرضـــى الله بـــسخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس)).

إذاً لا داعي أبداً لإرضاء المخلوق فيما يُسْخِطُ الله، لأن الخسارة تتضاعف، فلا هو بالـــذي أرضى الله، وبقي مع أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، ولا بقي معه المخلوق، فنعوذ بالله مـــن الخسارة في الدنيا والآخرة.

المفسدة السادسة عشرة: أن المرشّح يُفتَن بالمال

يُعطى المرشح مبلغاً من المال من الحزب الذي هو فيه، وقد لا يُعطى مالاً، وإنما يبيع شيئاً ثميناً كبيت أو أرض، بل وربما يستدين، فإن كان المال مدفوعاً من قبل جهة مختصة، فهو مطالب أن يجمع أناساً ويستميلهم، والحزب يعطيه ما خسره.

وهذا الصنف من المرشحين يُعْطَى أموالاً باهظة، من أجل أن يجدّ في القضية، فهذا المال يدفع الناس إلى طلب الترشيح، ولسان حال المرشّح يقول: إن فزت في "الانتخابات"؛ فذاك ما أبغي، وإن لم أفز؛ فقد حصلت على المال. فالمرشح هذا يكرس جهوده في الدعوة إلى "الانتخابات"، فيرتكب محظورات كثيرة، كالمداهنة والمجاملة، حتى إن بعضهم يترك الصلاة من أجل أن يستميل شخصاً يريد أن يكون معه في صف "الانتخابات". والرياء والكذب والغش والتزوير والخيانة وهذه أمور حاصلة، وغيرها كثير بل قد صرح بعض المرشحين أنه مع النصارى وأنه أخوهم، وبعضهم يصرح بأنه شيوعي أو علماني من أجل الوصول إلى الكرسي، وقد يتعرض لسب الحزب الآخر، وقد يكون مخالفه مسلماً، بل قد يسب العلماء، لا لشيء إلا لأنه مُكلَّفٌ أن يكرس جهوده في جمع أكبر عدد ممكن من الأصوات.

انظر إلى هذه المحاذير الشرعية، كيف تُرتكب وتُنتهك من أجل تفاهة الدنيا، أسألك بالله: هل يرجى من هؤلاء نصرة الإسلام؟ فإذا كان يضيّع دينه من أجل الدرهم والدينار، فكيف يقال هذا سيقيم الإسلام؟! (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ).

المفسدة السابعة عشرة: تبني المبدأ العلماني :" فصل الدين عن الدولة":

وقد سبق الكلام عنه.

المفسدة: الثامنةعشرة: تبنى مبدأ: "الحرية الشخصية اللأخلاقية":

وقد سبق الكلام عنه أيضاً.

الفرق بين الانتخابات والشورى:

يروج كثير من أهل البدع والأهواء لاستخدام الانتخابات مكان الشورى ويزعمون أن هذا هو التطبيق العصري لمبدأ الشورى الإسلامي كما يزعم شيخ الأزهر القبوري الهالك.

والفرق بين الشورى والانتخابات ظاهر معلوم لمن له علم بمصدر كل واحدة منهما، فمن تلكم الفروق: [1]

١- أن النظام الانتخابي متولد من النظام الديموقراطي، فلا سبيل إلى تحقيق الديموقراطية إلا بواسطة الانتخابات البدعية، أما نظام الشورى فإن مصدره الكتاب والسنة وأفعال سلف الأمة-رضوان الله عليهم- ومن أراد الوقوف على بيان ذلك بأدلته فلينظر ما ذكره ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : (وشاورهم فى الأمر).

٢- أن النظام الانتخابي يعتمد على الأغلبية الغوغائية من ضعفة الناس فى الرأى والحكمة، وممن لا يتأهلون للشورى، أما نظام الشورى فيعتمد على عرض الأمر على من يُعتقد فيه أنه أهل لذلك، بأن تكون لديه القدرة على بيان الرأى بشكل يُرتجى منه الوصول إلى الصواب، وهذا المفهوم نفسه أن يتألف مجلس الشورى من أصحاب الخبرة والكفاءة والاختصاص الذين يتصرفون فى الأمور بعين الدقة والفراسة.

والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ).

قال الشوكانى: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ): " وهم أهل العلم والعقول الراجحة، الذين يرجعون إليهم فى أمورهم، أو هم الولاة عليهم، (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أى: يستخرجونه بتدبيرهم وصحة عقولهم"اهـ.[2]

قال السعدي: " (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور

---

(1) انظر : كشف التلبيسات الحزبية (ص١٣٨ وما بعدها)

(2) فتح القدير (٤٩١/١).

ينبغي أن يولّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيـــديهم، فإنـــه أقـــرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ"اهـــ.(١)

وقال صفي الرحمن المباركفوري: "فهذه الآية تفيد أن ضـــعفة النـــاس وغوغـــائهم لا يتأهلون للشورى، بل لابد من رجاحة فى العقل وحصافة فى التفكير، فالذين يعلمون الأمـــور أحق بالمشاورة من الذين لا يعلمون ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ومن الأدلة على أن الشورى لا يُلزِم الأخذَ بها موافقةُ الأغلبية، أنه يجوز لولى الأمر أن يُعرض عـــن الشورى إعراضاً ويَبُتَّ فى الأمر –أحياناً– متوكلاً على الله وحده"اهـــ. (٢)

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

قال ابن جرير الطبري: "فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصـــحابك ومـــا أشاروا به عليك أو خالفها، وتوكل فيما تأتى من أمورك"اهـــ. (٣)

وقال شيخنا محمد أمان الجامى: فالآية صريحة فى أن ولي الأمر إذا حصل لديه عزم على تنفيذ أمر ما، لكونه واضحاً لا غموض فيه، أو كان المقام مقاماً يتطلب الحزم والبت لخطورته، ولديه قناعة كاملة بأن ذلك فى صالح المجتمع الإسلامي، فعليه أن يبت فى الأمر وحده بحـــسم وثبات، متوكلاً على الله، ومعتمداً عليه فى نجاح الأسباب دون استشارة، بل دون قبول لقول المستشار لو قدم رأيه ونصحه دون طلب ولي الأمر"اهـــ. (٤)

ومن مواقف الرسول ﷺ فى ترك الأخذ بالشورى:

أ- ما فعله الرسول ﷺ مع إبرامه لصلح الحديبية، وانفرد بتصديقه أبـــوبكر ﷺ، بينمـــا خالفه المسلمون كلهم فى أول الأمر.

---

(1) تفسير السعدى (٣٧٨/١).

(2) الأحزاب السياسية (ص٧٢).

(3) جامع البيان فى تأويل آى القرآن (٢٠٤/٣).

(4) حقيقة الشورى فى الإسلام (ص٣٩-٤٠).

ب- موقف الرسول ﷺ فى غزوة الفتح حيث لم يُعلن الرسول عنها لأصحابه، بل أخفى خبرها عنهم جميعاً فضلاً عن أن يستشيرهم فى أمرها، ولم يعلم أمر الغزو وسببه من الصحابة غير أبي بكر، لأن الموقف يتطلب الكتمان والتحفظ الشديدين، وهذا من خدع الحرب.

ومن مواقف أبى بكر الصديق:

أ- ما ثبت من أن أبا بكر قد أنفذ جيش أسامة بن زيد، على رغم مخالفة عامة الصحابة، ولا سيما الكبار منهم، حتى قال أبو بكر الصديق:" لو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأنفذت جيش أسامة".

ب- إصراره على قتال أهل الردة، ومانعى الزكاة وعدم التفاته إلى مشورة الصحابة.

أخرج البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة قال: لما توفى رسول الله واستُخلف أبوبكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله"، فقال أبوبكر ﷺ: " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق".واللفظ للبخاري.

والذى نريد أن نصل إليه فى آخر حديثنا من ذكر هذه المواقف الحازمة: أن لولي الأمر أن يأخذ بالشورى، وله ألا يأخذها، حسب مقتضيات الأحوال، واختلاف المواقف فى الحرب والسلم، هكذا يثبت لنا دون أدنى تردد أن الشورى غير ملزمة. [1]

٣- ومن الفروق أيضاً: أن إنابة أهل الشورى من قبل الشعب بإجراء انتخاب عام، رأى جديد لم يعرف فى غابر الزمان، ولاسيما فى عهد الخلفاء الراشدين فإنهم لم يكونوا يستفتون فى ذلك الشعب، بل كانوا يتخذون للشورى أهل العلم والفضل ممن يعرفون بالخبرة والكفاءة والعلم وحصافة العقل وإصابة الرأي.

(1) حقيقة الشورى فى الإسلام (ص٤٦).

٤- أن الانتخابات فريضة فرضها أعداء الله على المجتمعات إلا ما رحم الله، بعكس الشورى فهي ليست واجبة فى كل قضية من القضايا، ولا فى كل الأحوال، بل كما تقدم معنا أنه لا يلزم الأخذ بها.

٥- أن النظام الانتخابي يأتى لمحق شرع الله ومباعدته، فيه تحليل الحرام وتحريم الحلال، وإبطال الحق، وإحقاق الباطل، وهلم جرا ، أما الشورى فهى على العكس من ذلك تماماً، لأنها تحقق الخير وتبصر فى تنفيذ الحق، والفروق كثيرة.

قال العلامة محمد أمان الجامى -رحمه الله- :"والديموقراطية نظام أجنبي لفظاً ومعنى، والإسلام أسمى وأرفع من أن تفسر عدالته بالديموقراطية، لأن الإسلام رسالة الله العادلة الباقية، والديموقراطية حكم البشر، لأنها حكم الشعب الناضج الذى يحكم نفسه بنفسه -كما يزعمون- بواسطة نواب البرلمان الذين يسنون القوانين ويشرعون التشريعات ويضعون العقوبات على حسب رغبة الشعب، دون التفات إلى شرع الله العليم الحكيم، وهم موظفون لدى الشعب لتنفيذ رغباتهم، معرضين عن شرع الله الذى أنزله فى كتابه على رسوله وأمين وحيه، وأمره أن يحكم بين الناس بما أنزل الله، فالإيمان بهذا النظام يتنافى والإيمان بالله وبرسوله وكتبه.

وقد تورطت فى الإيمان بهذا النظام الغربي الجائر والعمل به -بل والدعوة إليه- بعض الجهات، مع دعوى الإسلام تقليداً للغرب، وإذا كان الغرب أو الدول الغربية قد اتخذت رجال البرلمان أرباباً من دون الله يحللون لهم ويحرمون عليهم ويتبعونهم فى ذلك، فتلك عبادتهم، دون الرجوع إلى تحليل الله وتحريمه، لكونهم لا يؤمنون بحاكمية الله وحده، فهل يسوغ للمسلمين تقليد الغرب فى هذا النوع من الكفر، باتخاذ مصدر آخر للتشريع غير شريعة الله عز وجل.

وهذا يعنى عدم الرضا بشرع الله وحكمه، أو عدم الاقتناع بعدالة الإسلام، وهو موقف فى غاية الخطورة، إذا يقول الله تعالى مخاطباً لرسوله عليه الصلاة والسلام ومبيناً لحقيقة الإيمان بالحاكمية : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

ويقول سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

فعلى أولئك الذين يفسرون الشورى فى الإسلام بهذا النظام الغربي الكافر أن يصححوا معلوماهم ،بل عليهم أن يصححوا إيماهم، لأن الدعوة إلى البرلمان دعوة إلى اتخاذ أرباب من دون الله كما أسلفنا"اهـ.

فتاوى العلماء فى حكم الانتخابات

قال العلامة محدث العصر الإمام الألباني –رحمه الله–: " إن المشاركة في الانتخابات هو ركون إلى الذين ظلموا"اهـ. (١)

وقال أيضاً: "وهنا أقول: البديل هو قوله تبارك وتعالى :(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)، البديل تقوى الله عز وجل ولا شك أن تقوى الله تتطلب قبل كل شيء علماً نافعاً ، وثانياً: عملاً صالحاً مقروناً بالعلم النافع فلا يغني عمل صالح عن العلم النافع ، ولا العلم النافع بالذي يغني عن العمل الصالح، بل لا بد من الجمع بينهما ، ولكي يستطيع المسلمون أن يقوموا بهذه التقوى التي تتضمن العلم النافع والعمل الصالح هذا يحتاج إلى جهود جبارة متكافئة بين أهل العلم الذين يقومون بواجب التعليم والتبليغ للإسلام، وبين واجب العمل بهذا الإسلام لجماهير المسلمين ، فحينما يتفاعل عامة المسلمين علماؤهم هؤلاء العلماء بنشرهم للعلم وأولئك بعملهم بالعلم فَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ تبارك وتعالى، فالبديل إذن هو العودة إلى الإسلام فهماً وعملاً "اهـ.

وقال الإمام المجدد مقبل الوادعي –رحمه الله–: "ونحن نقول: الانتخابات طاغوتية و محرمة من قبل و من بعد "اهـ.

وقال أيضاً: " الذي يدعو إلى الانتخابات يعتبر ضالاً فاسقاً، لأنه بهذا يوطّد أقدام الشيوعيين والبعثيين والناصريين والمستوردين الآخرين الذين سيأتون على أرضنا الطاهرة "اهـ.

وقال: "و الذي يشارك في الانتخابات الطاغوتية يخرج من السلفية و لا كرامة "اهـ.

وقال أيضاً : " أما مسألة التصويت فهي تعتبر طاغوتية فليبلغ الشاهد الغائب فإن الله عز وجل يقول في كتابه الكريم: (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ)، ويقول : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم

(1) شريط " خطر الدخول في الانتخابات و البرلمانات".

وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُون)، ويقول مبينًا أن الفاسق لا يستوي مع المؤمن : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّار)، والتصويت يجعل صوت العالم الفاضل وصوت الخمَّار واحدًا، بل أقبح من هذا المرأة صوتها وصوت الرجل واحد، ورب العزة يقول حاكيًا عن امرأة عمران : (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى)، والرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة"اهـ. [(١)]

وسئل الشيخ العلامة مفتى جنوب المملكة أحمد بن يحي النجمي –رحمه الله –: هل دخول الانتخابات البرلمانية ، وسيلة شرعية لنصرة الدين أم لا ؟

فأجاب –رحمه الله و غفر له– :"لا"اهـ.

وقال الشيخ العلامة صالح الفوزان –حفظه الله–: "وأما الانتخابات المعروفة اليوم عند الدول فليست من نظام الإسلام"اهـ.[(٢)]

و قال العلامة المحدث ربيع بن هادي –حفظه الله–: "وأذكرهم بأن الانتخابات التي هي إحدى مقومات الديمقراطية تصادم هدي النبي ﷺ في اختيار الرجال الأكفاء علماً وتقوى وعدالة واستبعاد من يحرص على المناصب ويطلبها "اهـ. [(٣)]

وقال الشيخ العلامة يحي الحجوري –حفظه الله- : " والانتخابات من النظام الديمقراطي المنابذ لشرع الله الحق وهي تشبه بالكفار "اهـ. [(٤)]

وقال الشيخ عبد السلام بن برجس –رحمه الله–: " ومن المعلوم أن الدّخول في تلك البرلمانات هو في حقيقته تضييع لمقاصد الشّرع في الضروريات فضلاً عن الحاجيات فضلاً عن التحسينيات، إذ هو هدم للدّين من أساسه، وتنازل عن أسمى غاياته، وهي تحقيق توحيد الله تعالى"اهـ. [(٥)]

(1) انظر: "مقتل جميل الرحمن الأفغاني"، و" تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب"، و"غارة الأشرطة"

(2) في مقال بعنوان " حكم الانتخابات والمظاهرات".

(3) في مقال له بعنوان"ذكرى للمسلمين عموماً ولعلمائهم وحكامهم خصوصاً".

(4) في كتابه: المبادىء المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة.

(5) "الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية"(ص٣٧-٣٨).

العلماء الذين أفتوا بجواز الانتخابات

إن بعض أهل الباطل أمثال محمد حسان ومحمد عبدالمقصود ومن على شاكلتهما من الإخوان المسلمين وغيرهم من الحزبيين، يستدلون ببعض الفتاوى لبعض علماء أهل السنة، قالوا فيها بجواز دخول الانتخابات فى ظروف معينة وبضوابط معينة، فاستغلوا تلك الفتاوى وأطلقوها ولم يقيدوها، وصاروا يقلدون هؤلاء الأئمة دون نظر فى كتاب الله ولا سنة رسوله، مع أنهم لم يقبلوا فتوى هؤلاء العلماء فى تحريم المظاهرات وتحريم العلميات الانتحارية، والتحذير من أسامة بن لادن، وحرمة الخروج على الحكام، وتكوين الأحزاب، والديموقراطية، وعدم جواز بناء الكنائس فى المدن التى أحدثها المسلمون كالقاهرة، وغيرها.

فإذا أنكر عليهم أهل السنة، قالوا معنا فتوى الألبانى وابن باز، **وهم كما قال الإمام الشوكاني** رحمه الله تعالى: "وقد جرت قاعدة أهل البدع في سابق الدهر ولاحقه، بأنهم يفرحون بصدور الكلمة الواحدة من عالم من العلماء، ويبالغون في إشهارها وإذاعتها فيما بينهم، ويجعلونها حجة على بدعتهم، ويضربون بها وجه منْ أنكر عليهم"اهـ.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن في "فتح المجيد" عند شرحه كلامَ الإمام أحمد رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك، قال : "فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم معنى ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه، كما قال تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُون)، وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) – إلى أن قال:– ولا يخالف في ذلك إلا جهال المقلدة لجهلهم بالكتاب والسنة ورغبتهم عنهما، وهؤلاء وإن ظنوا أنهم اتبعوا الأئمة فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم واتبعوا غير سبيلهم– إلى أن قال:– وهذا يشبه ماوقع من أهل الكتاب الذين قال الله فيهم (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ)"اهـ.

وقد رد العلامة محدث الديار اليمنية مقبل بن هادى الوادعى –رحمه الله- على هذه الشبهة الباطلة رداً قوياً فقال- رحمه الله-:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. أما بعد:

فأصحاب الانتخابات هم أعداء هؤلاء المشايخ، فقد كنا بالأمس نسمع في هيئة المعاهد العلمية بصنعاء أن الألباني ماسوني، عند أن أفتى للذين في فلسطين من المسلمين بأن يخرجوا لأنّها أصبحت دار حرب، شنوا عليه الغارات وضللوه وبدّعوه.

وهكذا الشيخ ابن باز عند أن أفتى في قضية الخليج هاجموه ، وعند أن أفتى بالصلح مع اليهود– ونحن نتكلم على هذا مع قطع النظر عن صحة هذه الفتوى–، فهاجموه وحملوا عليه، ومنهم يوسف القرضاوي –لا بارك الله فيه–.

فهم يريدون إحراق أهل العلم، فلا تصلح لهم حزبية إلا إذا احتيج إلى استفتائهم، فالحزبيون يذهبون إلى مشايخهم أمثال القرضاوي وفلان وفلان، أما العلماء فلا يذهبون إليهم بل يريدون إحراقهم.

وهذه الفتوى قد اتصلت بشأنها بالشيخ الألباني -حفظه الله– وقلت له: كيف أبحت الانتخابات؟ قال: أنا ما أبحتها ، ولكن من باب ارتكاب أخف الضررين.

فننظر هل حصل في الجزائر أخف الضررين أم حصل أعظم الضررين، واقرءوا ترجمة أبي حنيفة تجدون علمائنا ينهون عن الرأي والاستحسان، ويرون أنه سبيل الاعتزال وسبيل التجهم، أما فتوى الشيخ الألباني فهم يأخذونها من زمن قديم.

وأما الشيخ ابن عثيمين فمن عجيب أمره أنه يحرم الأحزاب والجماعات ويبيح ما هو أعظم وأخطر منها وهي الانتخابات التي هي وسيلة إلى الديمقراطية.

فأقول لهؤلاء الملبّسين: لو تراجع هؤلاء المشايخ أكنتم متراجعين عن هذا أم لا؟

ونقول: إننا نرى حرمة التقليد؛ فلا يجوز لنا أن نقلد الشيخ الألباني، ولا الشيخ ابن باز، ولا الشيخ ابن عثيمين، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: (اتّبعوا ما أنزل إليكم من ربّكم ولا تتّبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكّرون).

ويقول سبحانه وتعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم).

فأهل السنة لا يقلدون.

ثم نقول للمشايخ: "إن فتواكم هذه خطيرة جدًا، ألم تعلموا أن بوش أخزاه الله عند أن كـــان رئيسًا لأمريكا يقول: أن السعودية والكويت لم تطبقا الديمقراطية.

فعلى المشايخ أن يتراجعوا عن هذه الفتوى.

وأنا أشهدكم أنني متراجع عن أي خطأ في كتبي أو أشرطتي أو دعوتي لله عز وجل، أتراجـــع بنفس طيبة مطمئنة.

والمشايخ لا عليهم إذا تراجعوا، بل هو الواجب عليهم، لأنّهم لا يدرون بالـــذي يحـــدث في اليمن، وما الذي يدور في المجالس النيابية، وما هو الفساد الذي يحصل بسبب الانتخابـــات، قتل وقتال من أجل الانتخابات، وخروج النساء متبرجات، وتـــصوير للنـــساء مـــن أجـــل الانتخابات، ومساواة الكتاب والسنة والدين بالكفر من أجل الانتخابـــات، وأي مـــصلحة حققت هذه الانتخابات.

فيجب على المشايخ أن يتراجعوا، وسنرسل إليهم إن شاء الله، فإن لم يتراجعوا فنحن نـــشهد الله أننا براء من فتواهم لأنّها مخالفة للكتاب والسنة، رضوا أم غضبوا، أعراضنا ودماؤنا فداء للإسلام، ولا نبالي بحمد الله.

والقوم قد احترقوا، ويعرفون أن كلامهم ليس له قيمة، وإن شئت أرسلت رجلاً ولا يـــشعر الناس، ولكن لا يكون حزبيًا، ليعلموا أن الإخوان المسلمين قد احترقوا في اليمن، والفضل في هذا لله عز وجل. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتراجع ونـــصرة المظلـــوم ونـــصرة إخوانهم أهل السنة يعتبر واجبًا عليهم، ودعونا من الرأي والاستحسان.

ونحن نقول للمشايخ: هل حصلت الانتخابات في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وســـلم عند أن اختلفوا في شأن أسامة بن زيد هل يكون هو الأمير أم غيره؟

فهل قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: انتخبوا فمن حصلت له الأصوات الكثيرة فهو الأمير!؟

وهل حصلت الانتخابات في زمن أبي بكر؟

وهل حصلت الانتخابات في زمن عمر؟

وما جاء أن عبدالرحمن بن عوف تتبع الناس حتى النساء في خدورهن، فهذا يحتاج إلى نظـــر لأنه خارج "الصحيح"، فلا بد من جمع الطرق، وأنا متأكد أنّها إذا جمعت الطـــرق ســـيكون

شاذًا، والشاذ من قسم الضعيف، ثم بحث عنه بعض الإخوة فوجد هذه الزيادة في غاية الضعف.[(١)]

هل حصلت الانتخابات في العصر الأموي أو العباسي أو العثماني؟

أم إنّها جاءتنا من قبل أعداء الإسلام، وصدق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول: "لتتّبعنّ سنن من قبلكم حذو القذّة بالقذّة حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه"، فهي تعتبر فرقة وتشتيت شمل وعداء وبغض، حتى بين الأسرة الواحدة، من أجل هذه الانتخابات الدخيلة، ولا يضحك علينا الإخوان المسلمون فإنّهم ربما ينتخبون شخصًا لا يصلي ويقولون: نيته طيبة أو ينتخبون شيخًا جاهلاً.

ولقد كانوا يمنون الناس في الانتخابات الأولى أن ما بينهم وبين أن يحكموا الإسلام إلا أن تنتهي الانتخابات، فأين الحكم بالإسلام؟ وأين إنجازات وزاراتهم التي كانوا فيها، والإخوان المسلمون هم الذين يقولون: إننا نقرر الأمر في مجلس النواب فتأتينا الأوامر بغير ذلك، ثم نخرج بما أتتنا به الأوامر من هنا وهناك.

فاتقوا الله أيها المشايخ لا تقودونا إلى اتباع أمريكا، وإلى الديمقراطية التي تبيح ما حرم الله، والتي قد أباحت اللواط في بعض الدول الكفرية، وأباحت كل محرم؛ فنحن مسلمون عندنا كتاب ربنا: (وأنّ هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله).

فهل لنا دين في الزمن المتقدم ودين في الوقت الحاضر أم هو دين واحد إلى أن تقوم الساعة؟

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا

---

(1) هذه القصة لا تثبت عن عبدالرحمن بن عوف، وقد ذكرها ابن كثير في " البداية والنهاية" بدون إسناد وصدّرها بصيغة التمريض، والصحيح ما جاء بلفظ: (ومال الناس على عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه تلك الليالي، لا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحداً)، ومن المعلوم أن عبدالرحمن بن عوف شاور أهل المدينة فقط، ولم يشاور بقية البلاد الإسلامية، فأين هذا من الانتخابات الطاغوتية؟ ثم إنه من المعلوم أيضاً أنه لم يشاور العبيد والإماء الموجدين بالمدينة، والانتخابات يؤخذ فيها أصوات جميع المواطنين، ونقول أيضاً: هل رشح عثمان أو علي أو أحد من أصحاب الشورى الستة نفسه ونشر برنامجه الانتخابي على الناس؟ ثم إن عبدالرحمن كان أحد رجال الشورى الستة، فكيف يقال إنه مرشح وقد أجرى الانتخابات-على حد تعبيرهم- على غيره؟ والأثر السابق يبين أنه استشار الرجال ذوي الرأي والعدالة وليس جميع الرجال فضلاً عن استشارة النساء.

يضرّهم من خذلهم حتّى يأتي أمر الله وهم كذلك)، فعسى أن يتراجع المــشايخ عــن هــذه الفتوى، وسننظر ماذا يعمل الإصلاحيون، والله المستعان"اهـ. [1]

ثم إن الإمام الوادعيَّ أرسَــل إلى الإمامِ الألبانيِّ- رحمهما الله تعالى- أوراقا فيها المنع مــن الانتخابات، وأنه لا يجوز الخوض بشيء منها، بتوقيعه وتوقيع بعض مشايخ اليمن، فما كــان من الإمام الألباني إلا الاستجابة وضمّ صوته إلى صوهم، وعليه استقرّت فتواه رحمه الله تعالى، فهل سيتراجع من يحتج بفتواه أم سيبقى على مناصرة الباطل طمعاً في الوصول إلى المناصــب والكراسي؟

(1) تحفة المجيب (ص ٣١١-٣١٦).



الفصل السابع

شبهات حول الدولة المدنية والدولة الدينية

الفصل السابع

شبهات حول الدولة المدنية والدولة الدينية

جاء فى وثيقة الأزهر التى ألقاها شيخ الأزهر (أحمد الطيب): البنــد الأول: دعــم تأسيس الدولة الوطنية الدستورية الديمقراطية الحديثة، التي تعتمد على دستور ترتضيه الأمة، يفصل بين سلطات الدولة ومؤسساتها القانونية الحاكمة، ويحدد إطار الحكم، ويضمن الحقوق والواجبات لكل أفرادها على قدم المساواة، بحيث تكون سلطة التشريع فيها لنواب الشعب؛ بما يتوافق مع المفهوم الإسلامي الصحيح، حيث لم يعــرف الإســلام لا في تــشريعاته ولا حضارته ولا تاريخه، ما يعرف فى الثقافات الأخرى بالدولة الدينية الكهنوتية، التي تــسلطت على الناس، وعانت منها البشرية في بعض مراحل التاريخ، بل ترك للناس إدارة مجتمعــاتهم واختيار الآليات والمؤسسات المحققة لمصالحهم، شريطة أن تكون المبادئ الكليــة للــشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وبما يضمن لأتباع الديانات السماوية الأخــرى، الاحتكام إلى شرائعهم الدينية فى قضايا الأحوال الشخصية."اهـــ.

وقد طالَب يوسف القرضـاوي بالعَمِلِ عَلى بناءِ دَولةٍ مَدنيَّةٍ، وذكر أنَّ مبدأَ دينيَّةِ الدَّولةِ ليسَ منَ الإسلام، كما جاء في مَنشورِ نَدوةِ الاتِّحاد العَالميِّ لعُلماءِ المُسلمين في الدَّوحــةِ، المنشُور بتاريخ ١٤٣٢/٣/٢٧.

وقال عبدالمنعم أبوالفتوح (عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان) وهو يتكلم عما ينتويه الإخوان المسلمون: "لا أحد يطرح إقامة لا دولية ثيوقراطية ولا دينية، ولا الإسلام يوافق على أى دولة دينية بأى حال من الأحوال، الدولة الدينية دى حاجة كانت فى التاريخ فى العصور الوسطى، ودى الدولة التى تحكم بحق الإله، ودي مسألة مرفوضة حتى من وجهة نظر الإسلام، وهي مسألة غير بشرية وغير إنسانية"اهـــ.

وقال أسامة القوصى: "لا توجد دولة دينية فى الإسلام، مفيش فى الإسلام دولــة دينيــة، دولة دينية يعنى دولة يحكمها رجال الدين، وهذه لا وجود لها فى الإسلام"اهـــ.

والجواب عن ذلك أن نقول:-

أولاً: تعريف الدولة المدنية والدولة الدينية:

وإن الباحث فى مفردات اللغة العربية ومعاجمها لا يستطيع أن يفسر المعنى المراد من مصطلح الدولة المدنية إذ إن هذا المصطلح نشأ فى غير بلاد المسلمين ثم صُدِّر إليهم، لذا يجب الرجوع عند فهمه إلى اللغة الأصلية التى نشأ فيها.

فالدولة المدنية هو مفهوم مترجم من الثقافة الغربية ويقصدون به الدولة التى تستقل فى جميع شئونها عن هيمنة وتدخل الكنيسة ورجال الدين (القساوسة والرهبان)، فالدولة المدنية هى التى تضع قوانينها حسب المصالح التى تراها.

ومن المعلوم أن الكنيسة فى الغرب تمثل الدين، فاستقلال الدولة المدنية عن تدخل الكنيسة معناه فصل الدين عن سياسة المجتمع وتنظيم شئونه، فالدولة المدنية عندهم هى الدولة العلمانية التى يكون الدين فيها حبيس الصدر ولا يتعدى الشعائر التعبدية التى لا تؤثر على حرية الآخرين ويكون الدين فيها علاقة كنيسة فحسب.

وقال بعض كتابهم-إدريس أبوالحسن عضو منظمة كتاب بلاحدود (موقع مجلة العصر)-:" إن للدولة المدنية مفهوماً فلسفياً سياسياً مناقضاً للدولة الدينية (الثيوقراطية) والتى يتأرجح مفهومها "نظرياً" بين حكم رجال الدين ويتحكم الدين نفسه فى السياسة بغض النظر عن طبيعة من يحكم به، ويتمثل مفهومها عملياً بتنحية الدين عن السياسة مطلقاً باعتبار الدين مجموعة من قوانين إلهية مميزة للدولة الدينية ... فكانت الدولة المدنية بمبدئها الرافض لتدخل الدين فى السياسة دولة علمانية".

فالحكومة المدنية فى النظام الغربى تعنى تنظيم المجتمع وحكمه بالتوافق بين أبنائه بعيداً عن أى سلطة أخرى لاسيما الدينية منها، أى إن شرط العلمانية هو أساس تلك الدولة.

ويُعرِّف بعضهم هذه الدولة فيقول: "الدولة المدنية هى الدولة التى تقوم على المواطنة وتعدد الأديان والمذاهب وسيادة القانون". وحيد عبدالمجيد، موقع جريدة الغد.

وقد ذهب بعضهم إلى منع تدين السياسة، وتسيس الدين [1] وهذا هو معنى العلمانية التى تدعو إلى فصل الدين عن السياسة.

وهؤلاء ممن يضعون الدولة المدنية فى مقابل ما يسمونه بالإسلام السياسى -على زعمهم- والحقيقة أنه ليس هناك إسلام سياسى وإسلام غير سياسي، فتلك مسميات ما أنزل الله بها من سلطان، فالإسلام دين الله الخالد الذي رضيه لعباده وأنزله ليحكم بين الناس فى كل شئونهم من عقائد وعبادات وتشريعات ومعاملات، وقد أمر الله المسلمين بالدخول فى الإسلام كله وأخذه وقبوله كله، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

ونعى سبحانه على اليهود أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فقال: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

فأما تقسيم الإسلام إلى إسلام سياسي يسمونه الإسلام المتشدد ويهاجمونه ويحاربونه، وإلى إسلام غير سياسي يسمونه بالإسلام المعتدل ويمدحونه، فهذا تقسيم ما أنزل الله به من سلطان، ويشبه صنيع المشركين من قبل (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)، قال ابن عباس: "هم أهل الكتاب جزؤه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه".

الدولة الثيوقراطية:

وهذا المصطلح ليس من ألفاظنا العربية أيضاً، ويعنى عند الغرب الحكم بمقتضى التفويض الإلهى للحكام مما يضفى صفة القداسة والعصمة عليهم، وكان الملوك فى أوروبا فى العصور الوسطى يحكمون شعوبهم بموجب هذا التفويض، وهى عقيدة ابتدعها رجال الدين "البابوات والرهبان فى الكنيسة"، وذلك أن الكنيسة كانت جزء من هذا الظلم الذى ذاقته الشعوب

---

(1) هذا جزء من طنطنة أسامة القوصي الذى تنكب طريق الحق وراح يناصر الباطل بكل صوره، فرحب بالدولة المدنية ونادى بالمواطنة والمساواة بين جميع أفراد الشعب بكل طوائفه، والله تعالى يقول: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)، بل وصرح بأنه لا مانع-عنده- من أن يتولى النصارى حكم البلاد وهذا من زيغ القلوب وانحرافها، نسأل الله العافية.

الأوربية لأنها توطد حكم الملوك والنبلاء بزعمها أنهم يمثلون الإرداة الإلهية ويحكمون بمشيئة الرب.

ثم تقتسم معهم خيرات الشعوب، فعاشت أوروبا حقبة من أشد الحقب ظلماً وتسلطاً من قبل الملوك مدعمين بالحق الإلهى الذي أضفته وساندته الكنيسة بكل قوتها.

فهذه هي الدولة الثيوقراطية (الدينية).

ثم ثارت هذه الشعوب على الملوك ورجال الدين (الكنيسة) وذلك ما يعرف بعصر الإصلاح الديني فى أوروبا، وبدأ المجتمع يسلك فى كل طبقاته طريقاً مناقضاً للكنيسة، وتم عزل الكنيسة عن السياسة نهائياً مرددين : "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس".

وبدأ تأسيس ما يعرف بالدولة المدنية التى تقوم على أساس لا دينى، بل محارب للدين ومناقض لتعاليمه، مرتكز على نظرية السيادة (العقد الاجتماعى) وبدأت تظهر فى أوروبا الدعوة إلى الديموقراطية اليونانية التى خفت ضوءها فترة من الزمان لتكون بديلاً عن الدولة الدينية.

فالدولة المدنية تعنى الدولة العلمانية اللادينية التى يكون حق التشريع فيها للشعب، والأمة فيها مصدر السلطات، مع حماية الحريات والأديان والمساواة بين جميع طبقات الشعب ودياناته، ويكون فيها الدين بعيداً عن التأثير نهائياً في حياة الناس وتعاملاتهم لتحل محله القوانين التى يشرعها الفقهاء الدستوريين كما يُطلق عليهم، وهم فى الحقيقة يصدق عليهم قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ)، وقوله ﷺ فى بيان معنى الآية:"ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فأطعتموهم، قالوا: بلى، قال: تلك عبادتهم".

فهذه هى الدولة المدنية باختصار وبعيداً عن الكذب والتلبيس الذى يسلكه أهل الضلال والبدع كالإخوان المفلسين أو من شابههم كالعقلاني محمد عمارة وأسامة القوصي الذين يحاولون تزيين هذا الكفر البواح أمام أعين الناس، فالدولة المدنية هى الدولة العلمانية الديموقراطية التكنوقراطية الليبرالية... إلخ، فالجميع واحد وإن تعددت الأسماء واختلفت الأقنعة، ولاشك أن هذه الدولة تناقض الإسلام من كل وجه، فالإسلام عقيدة وشريعة تنظم كل شئون الحياة.

وقد سبق بيان مفاسد الديموقراطية وأنها دين يناقض دين الإسلام، أما العلمانية (اللادينية) فهي الإلحاد والزندقة التى يحاربها الإسلام ويكفر معتنقيها (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ

مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)، وهؤلاء يكفرون بالإسلام كله ويحاربونه ويردونه ويجعلون التشريع حقاً للشعب والسيادة له فى سائر السلطات، وأما الدين عندهم فهو حبيس المسجد لا يخرج منه، وحبيس الصدر لا يؤثر فى حياة الناس ومعاملاتهم، مرددين شعارهم العلمانى: "الدين لله والوطن للجميع"، ومعناه: أبعدوا الإسلام عن التأثير فى الدولة وعن التأثير فى الناس!!.

مما سبق من تعريف الدولة المدنية ومراد أصحابها نعلم يقيناً أن هذه الدولة هي دولة علمانية، تفصل الدين عن المشاركة فى السياسة، وتدعو إلى نشر الكفر والإلحاد، وتبديل أحكام الدين بالأحكام الغربية الكافرة.

فمن دعا إلى هذه الدعوة المدنية فهو داع إلى الكفر الصراح، وراد لأحكام الشرع، فهل يُتصور أن يدعو إلى ذلك مسلم يؤمن بالله وشرعه؟

وينبغى على هؤلاء أن يتوبوا من هذه الردة الظاهرة ويراجعوا دينهم ويدعوا الناس إلى الرجوع إلى دين الله جل وعلا وتطبيق شرعه ورد أحكام الكافرين ومعتقداتهم، فهم لايريدون لنا الخير ولا الفلاح فى الدين ولا فى الدنيا والله يقول: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)، فاتباع أهوائهم ومواقفهم هو سبيل الهلاك والعذاب.

قال الشاطبى فى (الاعتصام١/٣٣): " قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلى اليوم أن العقول غير مستقلة بمصالحها استجلاباً لها، أو مفاسدها استدفاعاً لها لأنها، إما دنيوية أو أخروية: فأما الدنيوية فلا يستقل باستدراكها على التفصيل البتة لا في ابتداء وضعها أولاً، ولا في استدراك ما عسى أن يعرض في طريقها إما في السوابق وإما في اللواحق، لأن وضعها أولاً لم يكن إلا بتعليم الله تعالى، لأن آدم عليه السلام لما أُنزل إلى الأرض عُلِّم كيف يستجلب مصالح دنياه إذ لم يكن ذلك من معلومه أولاً، إلا على قول من قال : إن ذلك داخل تحت مقتضى قول الله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) وعند ذلك يكون تعليماً غير عقلي، ثم توارثته ذريته كذلك في الجملة.

لكن فرعت العقول من أصولها تفريعاً تتوهم استقلالها به، ودخل في الأصول الدواخل حسبما أظهرت ذلك أزمنة الفترات، إذ لم تجر مصالح الفترات على استقامة لوجود الفــتن والهــرج وظهور أوجه الفساد، فلولا أن من الله على الخلق ببعثة الأنبياء لم تستقم لهم حياة، ولا جرت أحوالهم على كمال مصالحهم، وهذا معلوم بالنظر في أخبار الأولين والآخرين"اهــ.

نسأل الله أن يحفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين

وصلى الله على نبينا
محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

